

المجلد الثاني

خطب الشيخ

محمد حسان

Mohammed Hassan

منتدى إقرا الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com



قدم له فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين
رحمه الله

وفضيلة الشيخ
عبد الحميد كشك
رحمه الله

وفضيلة الشيخ
محمد صفوت الشوادفي
رحمه الله

دار ابن رجب

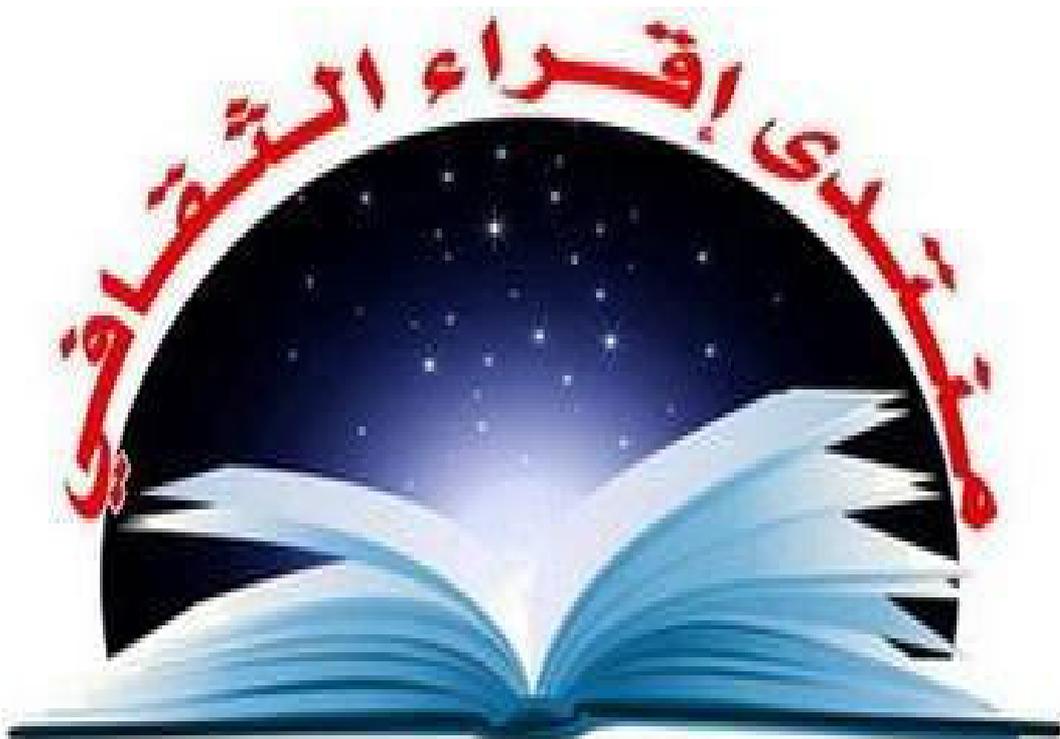
دار الفصول

لتحميل أنواع الكتب راجع: (مُنْتَدَى إِقْرَأِ الثَّقَافِي)

برای دائلود کتابهای مختلف مراجعه: (منتدی اقرأ الثقافی)

بۆدابه زاندنی جۆرهها کتیب: سهردانی: (مُنْتَدَى إِقْرَأِ الثَّقَافِي)

www.iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للکتب (کوردی ، عربی ، فارسی)

خطب الشيخ

محمد حسن

حقوق الطبع و محفوظه

الطبعة الأولى

٥١٤٢٦ - ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع : ٧٦٢٦ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي : 6-057-390-977

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

خُطْبُ الشَّيْخِ

مجلد حسنات

الجزء الرابع

ولاد بن رجب

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى^(*) :

« ولقد جلستُ يوماً فرأيتُ حَوْلِي أكثرَ من عشرة
آلاف، ما فيهم إلا مَنْ قد رَقَّ قلبُه، أو دَمَعَتْ عينُه،
فَقُلْتُ لِنَفْسِي كَيْفَ بَكَ إِن نَجَوْنَا وَهَلَكْنَا؟!
فَصَحَّتْ بِلِسَانِ وَجَدِي: إِلَهِي وَسَيِّدِي إِن قَضَيْتَ
عَلَيَّ بِالْعَذَابِ غَدَاً فَلَا تُعَلِّمُهُمْ بَعْدَابِي، صِيَانَةً لِكَرَمِكَ
لَا لِأَجْلِي، لَثَلَا يَقُولُوا: عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ.»

(*) صيدُ الخاطر ص ١٨٦ طبعة دار ابن رجب.

مقدمة الشيخ محمد حساؤ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
أما بعد : فإن الكلمة مهما كانت مؤثرة ، فإنها لا تعطي مدلولها الحق إلا
لمن أصغى لها سمعه ، وفتح لها قلبه ، وسأل الله أن يلهمه رشده ، ويأخذ بيده
إلى الحق .

فالقرآن الكريم الذي استطاع به المصطفى ﷺ أن يربي جيلاً ، دمدم على
العالم القديم كله بصولجانه وجبروته ، وأذل الأكاسرة ، وأهان القياصرة ،
وأقام للإسلام دولة من فتات متناثر - وسط صحراء تموج بالكفر موجا -
فإذا هي بناء شامخ لا يطاوله بناء !!

هذا القرآن بآياته وكلماته لازال بين يدي المسلمين يتلى ليل نهار .. لم
تخذف منه آية أو تبدل فيه كلمة أو يسقط منه حرف .. لأن الذي تكفل بحفظه
هو الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]
ومع ذلك فإن واقع المسلمين الآن لا يخفى على أحد .. من ذل وهوان
وضياع وجهل .. وذلك لأن الأمة - إلا من رحم ربك - قد أعرضت عن
كلام الله ورسوله ﷺ !! .

وإني لأرجو الله جَلَّ وَعَلَا أن تعي أمتي سر أزمتهما وذهبا ..

فالمنهج الذي ارتقى بالجماعة المسلمة الأولى من درك الشقاء وسفح
الجاهلية السحيق .. هو المنهج ذاته الذي سيرتقي بأمتي على الدرج الصاعد
حتى يصل بها إلى الحق الذي من أجله خلقت وبه أمرت .. وما عليها إلا أن
تفتح القلب ، وتسمع من جديد لله ورسوله ﷺ .. وأن تردد مرة أخرى مع
السابقين الأولين الصادقين : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

[البقرة : ٢٨٥]

أخي الكريم :

هذا هو الجزء الرابع من الخطب بين يديك ، وهذه كلمات لم تكتب في
يوم وليلة ولم تولد حديثا ، وإنما التمعت في صدري وغلت في دمي مع كل
حدث أليم مفجع يصيب أمتنا الجريحة .

فانطلقت بها من منبر لآخر .. متضرعا إلى الله تعالى أن يزيل بها الغشاوة
عن أبصار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .. وأن يجعلها خالصة
لوجهه .. وأن يتفغني وإخواني وأخواتي بها إنه ولي ذلك ومولاه ... وصلى
الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ومحبته

أبو أحمد محمد بن حسام

المنصورة - في الثالث عشر من شهر

ربيع الآخر لعام ١٤١٨ هـ.



الغفلة



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة فكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته، وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد، فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء، وأيها الإخوة الأحباب الكرام الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممثاكم وتبواتم جميعاً من الجنة منزلاً وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتني في الله:

«الغفلة»

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية:

أولاً: التهالك على الدنيا والغفلة عن الآخرة.

ثانياً: الاستخفاف بأوامر الله ورسوله ﷺ.

ثالثاً: الغفلة عن الغاية.

وأخيراً: ففروا إلى الله.

فأعزني سمعك وقلبك أيها الحبيب والله أسأل أن يجعلني وإياك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

أولاً: التهالك على الدنيا والغفلة عن الآخرة:

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبِهِمْ ﴿ [الانباء: ١] كلمات تهز الغافلين هزاً... الحساب يقترب وهم في غفلة، والآيات تتلى، ولكنهم معرضون، لأنهم في اللهو والباطل والملذات والمتاع الزائل غارقون .

«لاهيية قلوبهم» والقلب الغافل اللاهي عن الله صاحبه في ضنك وشقاء، ولو كان في نعيم ورخاء، فالشقاء ثمرة الضلال، والضنك ثمرة الإعراض قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تَنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿ [طه: ١٢٣-١٢٧]

فالشقاء ثمرة الضلال، والضنك ثمرة الإعراض

أيها الأحبة: أليس عجباً أن يعرض المسلم عن الله؟!؟

أيها الأحبة: أليس عجيباً أن يقضي المسلم جُلَّ عمره في غفلة عن مولاه؟! ١٤

لا تزيده نعم الله عليه إلا إعراضاً وعصياناً وضلالاً، ولا يزيده حلم الله عليه وستر الله عليه إلا تمادياً واستخفافاً وإعراضاً فمن الناس من يغتر بنعم الله عليه، ويظن أن الله عز وجل ما أنعم عليه بهذه النعم إلا لأن الله يحبه، ولولا أنه أهل لهذه النعم ما أنعم الله بها عليه، مع أنه مقيم على المعاصي، مقصر في الطاعات، ونسي هذا المسكين أن هذا استدراج له من رب العالمين، كما قال سيد النبيين ﷺ في حديثه الصحيح الذي رواه أحمد والبيهقي في الشعب وغيرهما وحسنه الحافظ العراقي وصححه الشيخ الألباني من حديث عقبة بن عامر أنه ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَاعْلَمْ؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ»^(١).

ثم قرأ المصطفى ﷺ قول الله جل وعلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]

ومن الناس من يغتر بحلم الله عليه، يظلم خلق الله وعباد الله، يصد الناس عن سبيل الله وعن دعوة الله، يرتكب المعاصي والذنوب، ولكن الله عز وجل يمهلهم فلا يأخذه بذنوبه، لا يؤاخذهم بجرمه فيظن هذا المسكين أن المعصية حقيرة، وأن الذنب هين ولو كان الذنب عظيماً عند الله لأخذه الله بهذا الذنب في الدنيا وَلَعَجَلَّ له العقوبة ونسي هذا

(١) رواه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٤١٤) وهو في صحيح الجامع حديث رقم (٥٦١).

المسكين أن الله جل وعلا يهمل ولا يهمل كما في الصحيحين من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» وقرأ المصطفى ﷺ قولَ الله جلَّ وعَلا: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] (١).

ومن الناس من ينصرف بكليته إلى الدنيا، ويكرس لها كل وقته وجهده وفكره... بل ويجعلها كل همه ويتفانى في السعي لها ولو على حساب الآخرة!!

ومع ذلك فقد يقولون: إنا نحسن الظن بالله، ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل. وهذا الصنف من الناس لا يعرف لله طريقاً... لا يعرف لله سبيلاً، إذا ذُكِرَ ما تذكر...!! وإذا نُصِحَ ما انتصح!! وإذا دُلَّ صادق أمين على طريق الله سَخِرَ به!! واستهزأ منه وكأن الأمر لا يعنيه!!

فكل همه الدنيا... كل غايته الدنيا... انصرف بكل طاقة إلى الحياة، فهي معبوده الذي يتوجه إليه بخالص العمل، وبخالص العبادة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مع أنه لن يحصل من الدنيا إلا ما قدره الملك له قال المصطفى ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد وابن حبان والترمذي وغيرهم وصححه الألباني بشواهد في الصحيحة من حديث أنس ومن حديث ابن عباس

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧/٨) في التفسير، باب قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، ومسلم رقم (٢٥٨٣) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، والترمذي رقم (٣١٠٩) في التفسير باب ومن سورة هود، وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٠١٨) في الفتن باب العقوبات.

ومن حديث زيد بن ثابت وغيرهم أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ شِمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ شِمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» (١).

ألم يقل الحق جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ألم يقل الحق جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]

ألم يقل الحق جل وعلا: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١٣]

ما لكم لا توحيدون الله حق توحيدِه؟! ما لكم لا تعبدون الله حق عبادتِه؟! ما لكم لا تعرفون الله حق معرفتِه؟! ما لكم لا تجلون الله حق جلاله!!؟

وقد حذر الله جل وعلا من التهالك على الدنيا والغفلة عن الآخرة تحذيراً شديداً فقال سبحانه: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾

[التكاثر: ١، ٢]

شغلتكم الدنيا وصرفكم نعيمها الزائل فلم تتبهاوا إلا وأنتم في المقابر قد عاينتكم الحقائق كلها .

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤٦٧) في صفة القيامة، باب رقم ٣١ وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٤٩) .

وفي التعبير القرآني بكلمة زرتم إشارة لطيفة إلى أن الميت في قبره ما هو إلا زائر وحتمًا ستنتهي مدة هذه الزيارة ولو طال ليخرج هذا الزائر من القبر ليرجع مرة أخرى إلى الله جل وعلا ليقف بين يديه ليرى ما قدمت يدها في كتاب عند ربي لا يضل ربي ولا ينسى .

قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٥-٤٩]

مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الْأَحْشَاءَ حَيْرَانًا
عَلَى الْعُصَاةِ وَرَبِّ الْعَرْشِ غَضَبَانَا
فَهَلْ تَرَى حَرْقًا غَيْرَ مَا كَانَا
وَأَقْرَرْتَ إِفْرَارَ مَنْ عَرَفَ الْأَشْيَاءَ عِرْفَانَا
وَأَمْضُوا بَعْدَ عَصَى النَّارِ عَطْشَانَا
وَالْمَوْحِدُونَ بَدَارِ الْخُلْدِ سُكَّانَا

تَذَكَّرَ وَقُوفَكَ يَوْمَ الْعَرْضِ عُرْيَانَا
وَالنَّارِ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَقِّ
اقْرَأْ كِتَابِكَ يَا عَبْدُ عَلِيٍّ مَهْلٍ
فَلَمَّا قَرَأْتَ وَلَمْ تُتَكِرْ قِرَاءَتَهُ
نَادَى الْجَلِيلُ خُدُوهُ يَا مَلَانِكْتِي
المشركون غدا في النار يلهبوا

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨] هل سمعت هذه الآية؟ هذا قرآن يتلى!

من رضي بالدنيا واطمأن بها ولها، محالٌ أن يرجو لقاء الله . . . محالٌ أن يفكر في لقاء الله . . . لماذا؟!

لأنه رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها . . . عمرٌ دنياه وخرَّب أخراه . . . فهو يكره أن ينتقل من العمران إلى الخراب .

هل يقبل أحد منا أن يترك العمارة والعمران لينتقل ليعيش في الخراب والصحراء؟ محال!! عمرنا الدنيا وخربنا الآخرة ولذا فنحن نخشى الموت ونكره الموت لأننا نكره أن نتقل من العمران إلى الخراب .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨]

يشرب الإنسان ويعب من كثوس الدنيا كما يشتهي فيفرط في أمور الآخرة، ويتغافل عن كل شيء يذكره بها . . . لا يفكر في الآخرة . . . بل إذا سمع آية تتلى خاف وأغلق أذنيه!، إذا سمع شريط محاضرة أو موعظة خاف وأغلق الكاسيت!

يخشى أن يفتضح أمام نفسه، يخشى أن تعرى نفسه أمام نفسه، فهو لا يريد أن يسمع لله موعظة، ولا يريد أن يسمع لله أمراً، ولا يريد أن يجتنب لله نهياً ولا يريد أن يقف لله عز وجل عند حد!!

فيا أيها الغافلون، بل ويا أيها الطائعون: ﴿اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ

الْكَفَّارِ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿ [الحديد: ٢٠]

هذا كلام ربنا جل وعلا وقد بين لنا المصطفى ﷺ هذه الحقائق بعد ما جلاها وبينها لنا القرآن فالقرآن يؤكد أن من غفل عن الله ومن نسي الله أنساه الله نفسه .

قال جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ
فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ
وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ [الحشر: ١٨-٢٠]

وقال تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴿ [التوبة: ٦٧]

﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ
الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ [السجدة: ١٤]

نسأل الله أن يستر علينا وعليكم في الدنيا والآخرة .

الرسول ﷺ يؤكد لنا هذه المعاني أيها الأجباب، وبين لنا حقيقة الدنيا؛ حتى لا نتخذ الدنيا غاية، يقول المصطفى ﷺ كما في الصحيحين من حديث عمر بن عوف الأنصاري :

«مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تَبْسُطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا
بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»^(١)

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨/١١) في الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، وفي الجهاد باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، وفي المغازي باب شهود الملائكة بدرأ، وأخرجه مسلم رقم (٢٩٦١) في الرقاق، والترمذي رقم (٢٤٦٤) في صفة القيامة، باب خوف الرسول ﷺ على أمته أن تبسط لهم الدنيا .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ» (١)

وفي سنن الترمذي أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» (٢).

وفي الصحيح من حديث أنس يقول رسول الله ﷺ :

«يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْنَعُ فِي النَّارِ صِبْغَةٌ، وَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعَزَّتْكَ مَا رَأَيْتَ نَعِيمًا قَطُّ وَيُؤْتَى بِأَبْأَسِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْنَعُ فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعَزَّتْكَ مَا رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ» (٣)

الله أكبر - أنساه نعيم الجنة كل شقاء والآخر أنساه العذاب والجحيم كل نعيم.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٌ﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨]

- (١) رواه مسلم رقم (٢٧٤٢) في الذكر باب أكثر أهل الجنة الفقراء، والترمذي رقم (٢١٩٢) في جملة حديث في الفتن ورواه ابن ماجه رقم (٤٠٠٠) في الفتن باب فتنة النساء .
 (٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٣٢١) في الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، ورواه ابن ماجه رقم (٢٤١٠) في الزهد، باب مثل الدنيا وهو حديث حسن .
 (٣) أخرجه مسلم رقم (٢٨٩٠٧) في المنافقين، باب صبغ أشدهم بؤساً في الجنة .

اللهم اجعلنا من أهل السعادة ولا تجعلنا بفضلك ورحمتك لا بأعمالنا من أهل الشقاوة إنك ولي ذلك والقادر عليه يا رب العالمين .

أيها الحبيب الكريم، من أجل ذلك كان يوصي النبي ﷺ أصحابه والمؤمنين الصادقين من بعدهم بهذه الوصية فيقول لابن عمر رضي الله عنهما والحديث في البخاري : «يَا ابْنَ عُمَرَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرَ سَبِيلٍ» (*) وكان ابن عمر يقول «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (١) .

إِن لِّلَّهِ عِبَادًا فُطِنَا	طَلَقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا	أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا	صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفِينَا

أيها الحبيب الكريم إنني أرجو ألا تفهم هذه الآيات وهذه الأحاديث فهماً خاطئاً فنحن لا نريد بذلك أن ينصرف الناس عن الدنيا كلا بل إن الإسلام دين عمل، ودين جدُّ ودين بطولة، وكذلك لا نريد أيضاً أن ينغمس الناس في الدنيا على حساب الآخرة... لا إفراطاً ولا تفريطاً بل إن الإسلام دين ودنيا .

(*) قال الطيبي: ليست (أو) للشك، بل للتخيير والإباحة، والأحسن أن تكون بمعنى «بل» فشبّه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يؤويه، ولا مسكن يسكنه، ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مرديّة، ومفاوز مهلكة، وقاطع طريق، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة، ولا يسكن لحظة .

(١) رواه البخاري (١١/١٩٩، ٢٠٠) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب» والترمذي رقم (٢٣٣٤) في الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل .

فهذا رسول الله ﷺ يقول في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -:

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(١).

انظر إلى هذا الجمع البديع بين الدين والدنيا فالدنيا مزرعة للأخرة، وكل ذمٌ وارد في القرآن والسنة في حق الدنيا لا ينصب أبداً على زمانها أو مكانها أو ما فيها من خيرات ونعيم، فزمانها الذي هو الليل والنهار قد جعله الله خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً .

ومكانها الذي هو الأرض قد جعلها الله عز وجل مسكناً لبني آدم وما فيها من خيرات ونعيم من سماء وأشجار وأنهار وكنوز وبحار إنما هي نعم الله عز وجل على عباده

إذن ما هو الذم الوارد في حق الدنيا؟ ما تفسيره؟ وما تفصيله؟

الجواب أيها الأحباب:

أن الذم الوارد في حق الدنيا في القرآن والسنة كما ذكرت ببعضه آنفاً ينصب على كل ما يرتكب فيها من معاص لا ترضي الله جل وعلا فالعاقل اللبيب هو الذي يعرف حقيقة الدنيا ويجعل الدنيا مزرعة للأخرة

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٢٠) في الذكر والدعاء، باب التعود من شر ما عمل، ورواه أيضاً ابن ماجه من حديث ابن عمر والبخاري والطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب.

كما قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :

الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار غنى لمن تزود عنها، ودار نعيم لمن فهم عنها فهي مهبط وحى الله وفيها مصلى أنبيائه وهي متجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة وكسبوا فيها الجنة .

لابد من معرفة هذه الحقيقة لأن كثيراً من إخواننا حينما يتحدثون عن الدنيا يشعرون كل صاحب نعمة في الدنيا أنه قد سقط وذل إلى الهاوية! هذا كلام غير دقيق، إننا نركز الآن على جزئية خطيرة حذر منها الله جل وعلا في القرآن ألا وهي ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾

[يونس: ٧]

غفل عن الآخرة . . نسي القبر، ونسي الموت، ونسي العرض على الله، ونسي الوقوف بين يدي الله، ونسي الميزان، ونسي الصحف، ونسي الجنة والنار.

فتراه هائماً على وجهه يأكل ويتمتع ويشرب وهو يتسبب إلى الإسلام، ولكنه لا يمثل للإسلام أمراً ولم يجتنب للإسلام نهياً ولم يقف للإسلام عند حد .

قال الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الاعراف: ١٧٩]

هذا هو الصنف الذي وصفه الله عز وجل بأنه أضل من الأنعام بنص القرآن ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ له عين ولكنه لا يرى بها،

له أذن ولكنه لا يسمع بها، له قلب ولكنه لا يفقه به، فهو لا ينظر بعينه إلا إلى الحرام ولا يسمع بأذنه إلا الحرام، ولا يفكر ولا يفقه بقلبه إلا عن غير الرحيم الرحمن، وعن غير سيد ولد عدنان ﷺ .

يا مسلمون! كم من الناس الآن يتسبب إلى الإسلام وهو في غفلة، يكاد القلب أن يتمزق ويتقطع لا يكاد يعرف شيئاً عن الدين، لا يكاد يتسبب إلى الدين أبداً .

إن ذكر ما تذكر !! بل ربما يهزأ بك أو ربما يسخر منك .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣١]

فأذكر نفسي وإياكم أيها الأخيار الكرام بأن المال ظل زائل، وبأن المنصب إلى زوال، فالكرسي الذي تجلس عليه الآن أيها الحبيب الكريم جلس عليه قبلك المئات . . بل الألوف . . بل الملايين . . وسيجلس عليه من بعدك الألوف بل الملايين!! فأستحلفك بالله أن يقودك هذا الكرسي إلى الجنة، إياك . . إياك أن يقودك هذا الكرسي إلى النار، فإن الكرسي زائل وإن المنصب فانٍ، وإن المال ذاهب .

المال ظل زائل وعارية مسترجعة، والدنيا مهما طالت فهي قصيرة ومهما عظمت فهي حقيرة؛ لأن الليل مهما طال لا بد من طلوع الفجر، وأن العمر مهما طال لا بد من دخول القبر، فاتخذ الدنيا مزرعة للآخرة، ولا تنسي الآخرة أبداً .

مَثَلٌ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
 إِذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُدْنِيَتْ
 حَتَّى عَلَى رَأْسِ الْعِبَادِ تَسِيرُ
 وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاطَرَتْ
 وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضُّيَاءِ كُدُورُ
 وَإِذَا الْجِبَالُ تَقَلَّعَتْ بِأُصُولِهَا
 فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ
 وَإِذَا الْوُحُوشُ لَدَى الْقِيَامَةِ حُشِرَتْ
 وَتَقُولُ لِلْأَمْلاَكِ أَيْنَ نَسِيرُ
 وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ وَتَخَرَّبَتْ
 خَلَّتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُورُ
 وَإِذَا الْجَلِيلُ طَوَى السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ
 وَطَيَّ السَّجِلَ كِتَابَهُ الْمُنشُورُ
 وَإِذَا الصَّحَافُ نُشِّرَتْ وَتَطَايَرَتْ
 وَتَهَتَّكَتْ لِلْعَالَمِينَ سُتُورُ
 وَإِذَا الْجَنِينُ بِأُمِّهِ مُتَعَلَّقُ
 يَخْشَى الْقِصَاصَ وَقَلْبُهُ مَدْعُورُ
 هَذَا بِلَا ذَنْبٍ يَخَافُ جُنَايَةَ
 كَيْفَ الْمُصِرُّ عَلَى الذُّنُوبِ دُهُورُ
 وَإِذَا الْجَحِيمُ تَسَعَّرَتْ نِيرَانُهَا
 وَلَهَا عَلَى أَهْلِ الذُّنُوبِ زَفِيرُ
 وَإِذَا الْجِنَانُ تَزَخَّرَفَتْ وَتَطَيَّبَتْ
 لِفَتَى عَلَى طُولِ الْبَلَاءِ صَبُورُ

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
 بِنُورِ رَبِّهَا وَوَضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ [الزمر: ٦٨ ، ٦٩]

أيها الأحباب الكرام:

أذكر نفسي وإياكم وأسأل الله جل وعلا أن يجعلنا جميعاً ممن
يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم
أولو الألباب .

وأكتفي بهذا القدر لأعرج سريعاً على بقية العناصر في كلمات
موجزة وأسأل الله أن يتقبل مني وإياكم صالح الأعمال، وأقول قولي
هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وكلِّ من اهتدى بهديه واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام :

ثانياً: «الاستخفاف بأوامر الله ورسوله ﷺ»:

من أشع صور الغفلة أن يستخف رجل ينتسب للإسلام أو امرأة تنتسب للإسلام بأمر الله ورسوله ﷺ ، فإذا قلت له: إن الله عز وجل يأمرك بالصلاة في وقتها . . الله عز وجل يريد أن تخلص له العبادة كاملة . . الله عز وجل يأمرك أن تدعن لشرعه . . الله عز وجل يأمرك يا أختاه بالحجاب الشرعي رأيته يستخف بأمر الله، بل يرد عليك قائلاً: إني مشغول لا أجد عندي وقتاً !!

هذا واقع يعرفه كثير من المسلمين، يسمع الأذان وهو في مكتبه أو في وظيفته أو في تجارته وكأنه ما سمع شيئاً وكان الأمر لا يعنيه .
يا أختاه! الحجاب فرض . . فتقول لك: أريد أن أقتنع أولاً!!

استخفاف بأوامر الله عز وجل وأوامر المصطفى ﷺ ورب العزة جل وعلا يقول لحبيبه المصطفى:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [الجاثية: ١٨]

أمرٌ من الله تعالى للمصطفى ﷺ وإلى المؤمنين الصادقين ﴿ ثُمَّ

جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴿١٨﴾ .

واختذال الشريعة في الحدود أمرٌ ينبغي أن يترفع عنه كل من يحترم عقله ونفسه، فما الحدود إلا جزء من المعاملات، وما المعاملات إلا قسم من أقسام الشريعة بمفهومها الشامل؛ لأننا إذا ما تحدثنا عن الشريعة يرد علينا على الفور: تريدون أن تقطعوا الأيدي؟! تريدون أن ترجموا الزناة؟! تريدون كذا وكذا؟! تتعطشون لشرب الدماء وسفك الدماء؟!!

أبدأً . . . إطلاقاً، بل لا بد أن نعي أن إقامة الحدود لا بد لها من ضوابط، سفة أن نقطع يد سارق وهو لا يجد لقمة وتعرض للتلطف والهلاك . . .

لا بد أن نفهم الدين . . . الإسلام دين عدل وإنصاف . . . الإسلام دين يصلح للبشرية في كل زمان ومكان، لا أقول صالح لكل زمان ومكان، بل يصلح كل زمان ومكان به، لأنه دين الله .

الإنسان الذي يُشرعُ لبني جنسه إنسانٌ محكوم من ناحية الزمان والمكان، محكوم بضعفه . . . محكوم بفقره . . . محكوم بشهوته . . . محكوم بهواه . . . فإن رأى الإنسان في مكان لن يرى ما في غيره . . . وإن عاش الإنسان زماناً لن يعيش زماناً آخر، ومن ثم يأتي تشريعه قاصراً ضيقاً أما تشريع الحق فهو تشريع الخالق الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

لماذا لا نذهب لمنهج خالق الإنسان لنعلم ما يسعده وما يشقيه؟!؟

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿ [الجاثية: ١٨]

فالمؤمن الصادق يسمع هذا الأمر ويمتثل وشعاره «سمعنا وأطعنا».

أمرك بالتوحيد: سمعنا وأطعنا، أمرك بالصلاة: سمعنا وأطعنا

أمرك يا أختاه بالحجاب: سمعنا وأطعنا، أمرك بالإتفاق في سبيل الله:
سمعنا وأطعنا كل أوامر الله، وكل نواهي الله، وكل حدود الله، المؤمن
الصادق يقف أمامها بالسمع والطاعة :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥١-٥٢]

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ
أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ١-٢]

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : إذا كان مجرد رفع الصوت
على صوت النبي ﷺ يُحْبِطُ العمل فكيف بمن قَدَّمَ عقله ورأيه وسياسته
على قول الله وقول رسول الله ﷺ ؟

تدبر هذا جيداً . . . بل أنا أقول : فكيف بمن رمى شريعة الله
وسنة رسول الله ﷺ بالجمود والرجعية والقصور وعدم قدرتها وعدم
مسايرتها لمدينة القرن العشرين ؟

رفع الصوت يحبط العمل . . . فما بالك بمن يرمي شريعة الله
وشريعة رسول الله ﷺ بالقصور والجمود والتخلف والرجعية وعدم
قدرتها لمسايرة روح هذه المدينة !؟

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦٠، ٦١]

فالذي يسمع ويطيع هو المؤمن والذي يصد هو المنافق بنص القرآن
أسأل الله أن يحفظني وإياكم من النفاق وأن يجعلني وإياكم جميعاً من
المؤمنين الصادقين وأتضرع إليه أن يرد الأمة إلى شريعته رداً جميلاً إنه
ولي ذلك والقادر عليه .

ثالثاً : الغفلة عن الغاية :

أيها الوالد الكريم . . . أيها الأخ الحبيب . . . أيها الابن العزيز . . . أيتها
الأخت الفاضلة :

إننا مخلوقون لغاية لا بد أن نعيها وأن نعيش لها من أجلها وألا
نتغافل عنها أبداً ما هي؟

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٨]

هذه هي الغاية التي من أجلها خلقت ورد في الأثر الإلهي عن رب
العزة أنه قال : «... يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا
عَلَى اتَّقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا... يَا عِبَادِي لَوْ
أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَيَّ أَفْجَرَ قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ
مَا نَقُصَّ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ

وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ^(١)، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فاعرف الغاية.

والعبادة لا تقتصر على الصلاة والزكاة والصيام والحج، بل إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

وأخيراً : ففروا إلى الله :

والفرار نوعان : فرار السعداء وفرار الأشقياء

وفرار السعداء : هو الفرار إلى الله .

وفرار الأشقياء : هو الفرار من الله .

ومع ذلك فلن تفر منه أبداً فلا ملجأ منه إلا إليه، أين تذهبون !؟

يَا نَفْسُ قَدْ أَزَفَ الرَّحِيلُ	وَأَظَلَّكَ الْخَطْبُ الْجَلِيلُ
فَتَأْهَبِي يَا نَفْسُ لَا يَلْعَبُ	بِكَ الْأَمَلُ الطَّوِيلُ
فَلْتَنْزِلَنَّ بِمَنْزِلِ	يَنْسَى الْخَلِيلَ بِهِ الْخَلِيلِ
وَلْيَرْكَبَنَّ عَلَيْكَ فِيهِ	مِنَ الثَّرَى ثِقَلَ ثَقِيلِ
قُرْنِ الْفَنَاءِ بِنَا جَمِيمًا	فَلَا يَبْقَى الْعَزِيزُ وَلَا الذَّلِيلِ

رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) في البر والصلة، باب تحريم الظلم، والترمذي رقم (٢٤٩٧)

في صفة القيامة، باب رقم (٤٩).

عد إلى الله أيها الحبيب . . . يا من أشركت . يا من عصيت!! يا من وقعت في كبائر الذنوب!! يا من شربت الخمر!! يا من وقعت في عمل قوم لوط!! يا من ضيعت الصلاة!! يا من ضيعت الزكاة . . . يا من عقلت الوالدين!! يا من ارتكبت الكبائر!! عد إلى الله وأطرق على بابه فمحال محال أن تطرق الباب وأن يغلّق الباب في وجهك: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨]

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

اللهم لا تدع لأحد منا في هذا الجمع المبارك ذنباً إلا غفرته .
 . . . ولا مريضاً إلا شففته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا همماً إلا

فرَّجته، ولا ميتاً لنا إلا رحمته، ولا عاصياً بيننا إلا شرحت صدره
وهديته، ولا طائعاً معنا إلا زدته وثبته.

اللهم لا تتخلَّ عننا بذنوبنا، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم، لا إله لنا
سواك فندعوه ولا رب لنا غيرك فنجوه.

يا منقذ الغرقى . . . ويا منجي الهلكى . . . ويا سامع كل نجوى . . . يا
عظيم الإحسان . . . يا دائم المعروف . . .

اللهم اغفر ذنبنا . . . اللهم استر عيننا . . . اللهم فرج كربنا . . . اللهم
اكشف همنا . . . اللهم أزل غمنا . . .

اللهم اختم بالصالحات أعمالنا، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا
مبلغ علمنا وبلغنا مما يرضيك آمالنا . . .

اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من
كل شر . . .

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها
ومولاها . . .

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا
واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا . . .

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأعل بفضلك كلمة الحق
والدين . . .

اللهم احم المسلمين الحفاة واكس المسلمين العراة، وأطعم المسلمين
الجياع . . .

اللهم اجعل بلدنا مصر واحة الأمن والأمان، اللهم لا تحرم مصر

من الأمن والأمان .

اللهم اجعل مصر سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين .

اللهم ارفع عن مصر الغلاء والبلاء والوباء برحمتك يا أرحم
الراحمين .

اللهم لا تحرم مصر من التوحيد والموحدين .

اللهم وفق ولاة الأمر إلى كل ما تحبه وترضاه برحمتك يا أرحم
الراحمين .

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن
علينا، وإن أردت بالناس فتنه فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين، ولا
مفرطين ولا مضيعين ولا مغيرين ولا مبدلين برحمتك يا أرحم
الراحمين .

أيها الخيار الكرام:

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو سهو
أو نسيان فمني أنا ومن الشيطان والله ورسوله منه براء وأعوذ بالله أن
أكون جسراً تعبرون به إلى الجنة، ويلقى به في جهنم، وأعوذ بالله أن
أذكركم به وأنساه وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم، وأقم الصلاة .



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

فحيّاكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الأحباب الكرام
الأعزاء، وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم جميعاً من الجنة منزلاً
وأسال الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت
المبارك على طاعته، أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة
المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه . . .

أحبي في الله: «مقتضيات الحب الصادق»

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم
المبارك . . . وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا
العنوان في العناصر التالية :

أولاً: البراءة من الشرك .

ثانياً: تحقيق التوحيد .

ثالثاً: تحكيم الشريعة .

رابعاً: الولاء والبراء .

خامساً : سمع بلا تردد . وطاعة بلا انحراف .

وأخيراً : حب يفوق حب النفس والمال والأبناء بلا غلو أو إطرء .

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع اليوم من الأهمية
بمكان، لأننا نرى الأمة في هذه الأيام تحتفل بذكرى ميلاد المصطفى ﷺ
وهي أمة لا تستحي إلا من رحم ربك جل وعلا!!

إذ أن الأمة الآن تدعي أنها تحتفل برسول الله ﷺ في الوقت الذي
نحت فيه شريعته!!

فخذ مني أيها الحبيب المقتضيات التي إن حققتها وامثلتها فأنت ممن
أحب النبي ﷺ حباً صادقاً، تحشر مع النبي بالحب الصادق، كما في

حديث أنس المُخْرَج في الصحيحين:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله! متى الساعة؟ قال: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا» قال: ما أعددت لها كثير عمل إلا أنني أحب الله ورسوله، قال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»^(١).

يقول أنس: فما فرحنا بشيء كفرحنا بقول النبي ﷺ: «المرء مع من أحب» ثم قال: وأنا أحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو الله أن أحشر معهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

أيها الحبيب الكريم: الحب الصادق له مقتضيات . . . الحب الصادق له شروط .

مَنْ يَدْعِي حُبَّ النَّبِيِّ وَلَمْ يَفِدْ مِنْ هَدْيِهِ فَسَفَاهَةٌ وَهَرَاءٌ
فَالْحُبُّ أَوْلُ شَرْطِهِ وَفَرُوضِهِ إِنْ كَانَ صِدْقًا طَاعَةً وَوَفَاءً

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

[آل عمران: ٣١]

إن أردت أن يحبك الله جل وعلا، وأن يحبك رسول الله ﷺ فاتبع . . . اتبع أثر النبي ﷺ واقتف أثر النبي ﷺ، واتبع هدي النبي ﷺ؛ لترى المصطفى ﷺ في نهاية هذا الطريق ينتظرك على الحوض إن شاء الله جل وعلا .

قف على مقتضيات الحب الصادق، لتتعرف على زعم الأمة الباهت،

(١) رواه البخاري ٤٦١/١، ٤٦٢ في الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، ومسلم رقم (٢٦٤٠) في البر والصلة، باب المرء مع من أحب .

أنها تحتفل بالنبِيِّ ﷺ، وكان من الواجب أن يكون قدر النبي ﷺ في قلوبنا عظيمًا كما عظَّمه وأجلَّه ربه جل وعلا.

لا ينبغي أن تحتفي الأمة بالنبي ﷺ في ليلة ساهرة حافلة تحت الطبل والزممر واختلاط فاحش بين الرجال والنساء والشباب والشواب ثم تنفض الليلة عند الفجر لينفض الجميع وما صلى أحد منهم صلاة الفجر لله جل وعلا إلا من رحم ربك، أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن رحم .

أول مقتضى من مقتضيات حبك الصادق للنبي ﷺ :

البراءة من الشرك :

محال أن تدعي الحب للنبي ﷺ ولهدي النبي وسنة الحبيب النبي ﷺ وقلبك ما نُقِّي وطُهِرَ من أي شائبة من شوائب الشرك .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - :

النفي المحض ليس توحيداً وكذلك الإثبات بدون النفي فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات معاً .

قال علماؤنا : لا بد من التخلية قبل التحلية .

والتخلية : هي أن تكفر بالأنداد والأرباب والآلهة والطواغيت .

نقَّب في القلب هل أخليت القلب من هذا ؟ هل تبرأت من الأنداد والآلهة والطواغيت وأخلصت القلب لله وحده لا شريك له ؟ هل كفرت بالطواغيت ؟

والطواغيت : جمع طاغوت، والطاغوت كما قال عمر : هو

الشیطان .

وكما قال مالك: هو كل ما عبد من دون الله .

وكما قال ابن القيم: الطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

فأنت مأمور يا من أحببت الله وأحبيت رسول الله ﷺ أن تكفر بكل الطواغيت على ظهر الأرض قال جل وعلا: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

لاحظ أن الله قد قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، إذ لا بد من التخلية قبل التحلية .

وأن تكفر بالأنداد قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

اللهم ارزقنا حبك وحب نبيك وحب من أحببك يا رب العالمين .

المؤمن الصادق هو الذي امتلأ قلبه بحب الله وحب رسوله ﷺ لكن لاحظ أن كثيراً من الناس قد امتلأت قلوبهم بحبة الأنداد من دون الله أو مع الله . ألم تسمع عن امرأة قد تخلصت من حياتها وانتحرت بسبب موت العنديل الأسود !!؟

ألم تسمع عن رجل جلس في استاد للكرة فصرخ صرخة فقد فيها روحه، لأن فريقه قد مني بهدف من الفريق الآخر !!؟

ألم تسمع قول القائل :

هَيَّبُونِي عِيدًا يَجْعَلُ الْعَرَبَ أُمَّةً وَسَيِّرُوا بِجُثْمَانِي عَلَى دِينِ بُرْهَمٍ
سَلَامٌ عَلَى كَفَرِ يُوحَّدُ بَيْنَنَا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بَعْدَهُ بِجَهَنَّمَ

ألم تسمع قول القائل :

أَمِنْتُ بِحِزْبِ الْبَعْثِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِالْعُرُوبَةِ دِينًا مَالَهُ ثَانِ
ألم تسمع قول القائل :

إن مصر ستظل فرعونية، ولو وقف الإسلام حجرَ عشرة في طريق
فرعونيتنا لَنَحِينَا الْإِسْلَامَ جَانِبًا، لتظل مصر فرعونية !!؟

ألم تسمع قول القائل :

لقد عزمنا على أن نأخذ ما عند الغريين حتى الالتهايات التي في
رثتهم والنجاسات التي في أمعائهم !!؟

ألم يقل ربك : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

قال رجل للحبيب المصطفى ﷺ :

ما شاء الله وشتت يا رسول الله، قال ﷺ : « أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نَدَاءً؟ بَلْ
مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ » (١)

فهل كفرت بالأنداد ؟! هل كفرت بالأرباب ؟ والأرباب جمع رب
قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾

[التوبة: ١٦]

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٧) وابن ماجه (٢١١٧) وأحمد (٢١٤/١)،
٢٩٤، ٢٨٣، ٢٤٧) وحسنه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٣٩).

اتخذوا العلماء والعباد أرباباً من دون الله .

دخل عدي بن حاتم على المصطفى ﷺ وهو يقرأ هذه الآية فقال عدي: لا يا رسول الله، ما عبدناهم من دون الله، ففسر له النبي ﷺ الآية فقال الحبيب ﷺ: «أَلَمْ يُحَلِّوْا لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيَحْرَمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَاطَّاعُوهُمْ؟» قال: بلى قال المصطفى ﷺ: «فَتَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»^(١).

أخي الحبيب: هل صرفت العبادة لله وحده؟ هل امتثلت أمر الله؟ ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] وأخيراً أقول: إن أردت أن تنقب عن حبك للنبي ﷺ في قلبك فسل نفسك، هل تبرأت من الأنداد والأرباب والآلهة ودخلت في المقتضى الثاني ألا وهو: «تحقيق التوحيد للعزیز الحميد»؟ هذا هو المقتضى الثاني: أن تحقق التوحيد بأقسامه لله جل وعلا، وأن تقر بتوحيد الربوبية .

وتوحيد الربوبية معناه أن تعتقد وأن تقر لله بالخلق والرزق والأمر والتصريف والتدبير والإحياء والإماتة .

تدبر قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

هل حققت التوحيد لله؟

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٤) في التفسير، باب ومن سورة براءة، وأخرجه ابن جرير رقم (١٦٦٣١)، (١٦٦٣٢)، (١٦٦٣٣) وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٠) وزاد نسبه لابن سعيد وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني.

ستعجب إذا قلت لك: إن توحيد الربوبية قد أقر به المشرك في أرض الجزيرة العربية .

فإذا سألت أبا جهل من خالقك ؟ قال: الله .

لو سألت المشرك من رازقك ؟ قال: الله .

قال جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥]

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١]

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

[العنكبوت: ٦٣]

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩]

بل لقد انفرد الأحنس بن شريق بأبي جهل .

فقال الأحنس: يا أبا الحكم! لا يوجد معنا أحد الآن يسمعنا، أستحلفك بالله أمحمد صادق أم كاذب!؟

فقال أبو جهل: ويحك يا أحنس والله إن محمداً لصادق!

فتزل قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]

فهم يعلمون صدق النبي ﷺ .

بل قال قائلهم: والله إني لأقر لمحمد بالنبوة أكثر مما أقر لابني بالنبوة لأن الذي شهد بصدق محمد هو الله .

وللأسف الشديد وما يندى له الجبين أنه يوجد من بين من ينتسبون الآن للإسلام من لم يحقق توحيد الربوبية للرحيم الرحمن .

يَا صَاحِبَ الِهْمِّ إِنَّ الِهْمَّ مُنْفَرَجٌ أَبَشْرُ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الحَافِظَ اللّهُ
وَإِذَا بُلِيَتْ فَشَقُّ بِاللّهِ وَارِضَ بِهِ إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلَوَى هُوَ اللّهُ
اللّهُ الَّذِي يُخَدِّثُ بَعْدَ العُسْرِ مَيْسِرَةً لَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الخَالِقَ اللّهُ
وَاللّهُ مَالِكٌ غَيْرِ اللّهِ مِنْ أَحَدٍ فَحَسْبُكَ اللّهُ فِي كُلِّ لَكَّ اللّهُ
وَأَنْ تَقْرَ بِتَوْحِيدِ الأَلُوْهِيةِ (تَوْحِيدِ العِبَادَةِ) .

يعني أن تصرف العبادة بركنيها: من كمال الحب وكمال الذل وبشرطيتها: من الإخلاص والاتباع، إلى من يستحق العبادة وهو الله وحده لا شريك له .

سل نفسك أيها الحبيب: هل استغثت بالله وحده؟ هل استعنت بالله وحده؟ هل سألت الله وحده؟ هل ذبحت لله وحده؟ هل نذرت لله وحده؟ هل حلفت بالله وحده؟ هل طففت بيت الله في مكة فقط؟ هل قال لسانك، وصدق قلبك، وترجم عملك هذه الأقوال وهذه الكلمات؟

اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك . . . وأبرأ من الأمل إلا فيك

وأبرأ من التسليم إلا لك . . . وأبرأ من التفويض إلا إليك

وأبرأ من التوكل إلا عليك . . . وأبرأ من الصبر إلا على بابك
وأبرأ من الذل إلا في طاعتك . . . وأبرأ من الرجاء إلا لما في يديك
الكريمتين . . . وأبرأ من الرهبة إلا لجلالك العظيم .

هل امتثلت أمر الله ؟ هل آمنت بأسماء الجلال وصفات الكمال من
غير تحريف لألفاظها أو لمعانيها، وأُثبتَ ما أُثبتَهُ الله لذاته وما أثبتَه له
رسوله المصطفى ﷺ .

لا يمكن على الإطلاق أن تدعي الحب للحبيب المصطفى ﷺ إلا إذا
حققت هذا التوحيد لله جل وعلا .

المقتضى الثالث : «تحكيم الشريعة» :

أمة تدعي الحب للمصطفى ﷺ وقد نَحَّتْ شريعته فهي أمة كاذبة . أمة
تحتفل بالمصطفى في كل ربيع من كل عام وقد حَكَمَتْ في الأموال
والأعراض والدماء والفروج، القوانين الوضعية الفاجرة الجائرة ونَحَّتْ
كتاب الله وشريعة رسول الله ﷺ . أمة خاسرة، لا ساق لها ولا قدم .
وسترى الأمة تتعرض لمزيد من الضربات من إخوان القردة والخنازير ممن
كتب السله عليهم الذل والذلة، حتى تفيء الأمة إلى منهج ربها وإلى
شريعة الحبيب نبينا ﷺ .

فلا فلاح ولا عز ولا صلاح ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا إذا
عادت من جديد وقد أعلنت توبتها إلى الله وحققت هذه التوبة على
أرض الواقع في إذعان لأمر الله وانقياد لشرع رسول الله ﷺ .

قال الله جل وعلا على لسان نبيه يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة
والسلام :

﴿ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَّفِرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٣٩)
مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴿ [يوسف: ٣٩-٤٠]

فإن أرادت الأمة أن تعلن حب الله وحب رسول الله ﷺ فلتسأل
الأمة نفسها: أين هي من شريعة نبيها المصطفى ﷺ!
أمة ترقص وتطبل وتزمر وتسمع الكلمات الرنانة وتسمع الخطب المؤثرة
وتسمع المواعظ الرقيقة !!

أمة راحت لتذوب في بوتقة الغرب الكافر، وتركت بين يديها أصل
العز والكرامة، ومازلت تقرأ وتسمع إلى آلاف من بين أبناء الأمة
المخدوعين من يتغنى بالغرب !! وكأن الغرب الآن أصبح إلهاً لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه !!

أين الولاء والبراء؟!

قال الله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]

وقال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ
مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَلَإِنَّ لِي لَمَنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٢٠]

وقال جل وعلا: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً
وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]

هذا قرآن ربنا . . . هذا هو القرآن لا زال يتلى علينا في الليل والنهار .

لا يكون توحيد إلا بالولاء والبراء . . . لا يصح اعتقادك إلا بالولاء والبراء :

أن تُوَالِيَ الله ورسوله والمؤمنين، وأن تتبرأ من الشرك والمشركين

أُتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدْعِي وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ إِنَّ الْمَحَبَّةَ أَنْ تُوَافِقَ مَنْ تُحِبُّ فَإِنْ ادَّعَيْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ مَعَ خِلَافِكَ نَعَمْ لَوْ صَدَقْتَ اللَّهَ فِيمَا زَعَمْتَهُ وَوَالَيْتَ أَهْلَ الْحَقِّ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَا كُلُّ مَنْ قَدَّ قَالَ مَا قُلْتَ مُسْلِمٌ مُبَايِنَةُ الْكُفَّارِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَتَصَدَّقُ بِالتَّوْحِيدِ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ هَذَا هُوَ الدِّينُ الْحَنِيفِيُّ وَالْهُدَى	حُبًّا لَهُ؟ مَا ذَلِكَ فِي الْإِمْكَانِ أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ؟ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِلَا نَقْصَانٍ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانٍ لَعَادَيْتَ مَنْ بِاللَّهِ وَيَحْكُ يَكْفُرُ وَلَمَّا تُعَادِيهِمْ وَلِلْكَفْرِ تَنْصُرُ وَلَكِنْ بِأَشْرَاطِ هُنَالِكَ تُذَكَّرُ بِذَا جَاءَنَا النَّصْرُ الصَّحِيحُ الْمَقْرَرُ وَتَدْعُوهُمْ سِرًّا لِذَلِكَ وَتَجْهَرُ وَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ لَوْ كُنْتَ تَشْعُرُ
--	---

المقتضى الخامس : سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ [النور: ٥١-٥٢]

هذا هو شعار المؤمنين . . . سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف

اعرض نفسك أخي الحبيب على الأمر النبوي والنهي النبوي والحد النبوي . . .

هل امتثلت أمر النبي ﷺ؟ هل اجتنبت نهْي النبي ﷺ؟

هل وقفت عند حدود النبي ﷺ؟

إن كنت ممن سمع الأمر وامتثل، والنهي فاجتنب، والحد فوقف عنده، فاسجد لربك شكراً وسل الله أن يزيدك حباً على حب لحبيبيك المصطفى ﷺ.

وإن كنت ممن سمع الأمر فلم ينته، والحد فلم يقف، فاعلم أن زعمك لحب النبي ﷺ زعمٌ باهتٌ بارد لا ساق له ولا قدم .

شعار المؤمنين السمع والطاعة، أما شعار المنافقين السمع والمعصية

قال جل وعلا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠]

هذا هو شعار المنافقين . . . ألم ترى يا محمد إلى هذا العجب العجيب إلى قوم يزعمون أنهم آمنوا بك وما أنزل عليك وما أنزل من قبلك، ومع هذا الزعم الباهت البارد الفارغ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمرهم الله أن يكفروا به .

والله الذي لا إله غيره ما رُحِمَتْ هذه الأمة إلا ببركة السمع والطاعة .

لما نزل على رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ

﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾

[البقرة: ٢٨٤]

قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ فانطلقوا حتى جثوا على الركب بين يديه وقالوا يا رسول الله ﷺ كلّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ولقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فغضب النبي ﷺ وقال: «أتريدون أن تقولوا ما قاله أهل الكتابين من اليهود والنصارى «سمعنا وعصينا»؟ بل قولوا: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» قالوا: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فلما اقترأها القوم، ودلت بها ألسنتهم، أنزل الله في إثرها: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ لَا تَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» [البقرة: ٢٨٥].

فلما فعلوا ذلك: نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: نعم. ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ قال: نعم. ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قال: نعم. ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ قال: نعم. ^(١)

(١) رواه مسلم رقم (١٢٥) في كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق.

استجاب الله وخفف عن الأمة ببركة السمع والطاعة .

وما تحياه الأمة الآن من شقاء وضنك وضيق إنما هو نتيجة لانحراف الأمة عن منهج السمع والطاعة، فإن الأمة تجيد الآن الخطب الرنانة، وتجيد المواعظ المؤثرة، وتجيد السهرات الحافلة، وعشقت الأمة الهزل يوم أن كرهت الجد والرجولة .

ماذا تنتظر من أمة تسهر أمام المباريات إلى مطلع الفجر !!؟

ماذا تنتظر من أمة أقامت الليل أمام المسلسلات والأفلام

والمباريات!؟

والله لن يحرر الأقصى جيل تربى على هذه الميوعة، وتربى على

هذه النجاسة والقذارة . لن يحرر الأقصى إلا جيل تربى على

كتاب الله وعلى سنة الحبيب رسول الله ﷺ .

نسأل الله أن يخرجهم من الأرحام إنه ولي ذلك والقادر عليه .

شعار المؤمنين: السمع والطاعة فيا من تدعي الحب للنبي ﷺ .

أمرك المصطفى ﷺ بالصلاة في وقتها فهل أدت الصلاة في أوقاتها؟

أمرك المصطفى ﷺ بترك الحرام والربا . . فهل تركت الربا ؟

أمرك المصطفى ﷺ بعدم شرب الخمر . . فهل تركت الخمر ؟

أمرك المصطفى ﷺ بترك الزنا . . فهل انصرفت عن الزنا ؟

أمرك ببر الوالدين . . هل امتثلت الأمر ؟

أمرك بالإحسان إلى الجيران . . هل امتثلت الأمر ؟

أمرك بالإحسان إلى الإخوة والأهل والأحباب . . هل امتثلت الأمر ؟

أمرك بإعفاء اللحية . . هل امتثلت الأمر ؟

أوامر كثيرة . . . اعرض نفسك على أوامر النبي ﷺ ونواهيته وحدوده .

فإن كنت ممن امتثل الأمر واجتنب النهي ووقف عند الحد الذي حده المصطفى ﷺ فاسجد لله شكراً وسل الله أن يزيدك حباً على حبك لحبيك المصطفى ﷺ .

واحذر هذه الدعوى التي يغني بطلانها عن إبطالها ويغني فسادها عن إفسادها .

ألا وهي : أنه يجب أن نعود الآن إلى القرآن وفقط لأن السنة فيها الضعيف والموضوع !! احذر هذا . . واعلم يقيناً بأنك إن عصيت رسول الله ﷺ فقد عصيت الله، وإن أطعت رسول الله ﷺ فقد أطعت الله وإن صدقت رسول الله، وإن امتثلت أمر النبي ﷺ فقد امتثلت أمر الله .

قال جل وعلا: ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) ﴾ [الاحقر: ٧]

وقال جل وعلا: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [المائدة: ٩٢]

وقال جل وعلا: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]

وقال جل وعلا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]

قال ابن عباس: أى لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

قال مجاهد: أى لا تفتاتوا شيئاً على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله
على لسان نبيه.

قال القرطبي: أى لا تقدموا قولاً على قول الله عز وجل ولا
تقدموا قولاً وفعلاً على قول وفعل رسول الله ﷺ .

قال الشنقيطي:

لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ولا حلال إلا ما أحله الله ورسوله
ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسول الله ﷺ فمن كذب
المصطفى ﷺ فقد كذب الله ومن ضيع السنة فقد ضيع القرآن، ومن كفر
بالنبي ﷺ فقد كفر بالرحمن .

ولقد حذر النبي ﷺ من هذا الصنف الخبيث الذي يتغنى بالقرآن
والإعراض عن سنة خير ولد عدنان وحبيب الرحيم الرحمن ﷺ ففي
سنن أبي داود من حديث المقدم بن معد كرب أن النبي ﷺ قال:

« أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمَثَلُهُ مَعَهُ (القرآن والسنة) أَلَا يُؤْشِكُ رَجُلٌ
شَبَعَانَ مُتَكِيًّا عَلَى أُرَيْكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ
حَلَالٍ فَأَحْلُوا وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَلَا إِنَّ مَا
حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ»^(١).

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٠٤) في السنة: باب لزوم السنة، والترمذى رقم (٢٦٦٦) في
العلم: باب رقم (٦٠) وقال: هذا حديث حسن، وأخرجه أحمد في المسند (٤/١٣٠ -
١٣٢) وابن ماجه رقم ١٢ في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ .

وخذ مني هذه الهدية وهي من كلام ابن القيم رحمه الله يقول:
 السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:
 الوجه الأول: أن تكون السنة مؤكدة للقرآن من كل وجه وهذا
 يكون من باب تضافر الأدلة .
 الوجه الثاني: أن تكون السنة موضحة لما أجمله القرآن فقد جاء
 الأمر بالصلاة في القرآن وجاءت السنة لتبين لنا كيفية الصلاة وحدود
 الصلاة إلى آخره .
 الوجه الثالث: أن تكون السنة موجبة أو محرمة لما سكت عنه
 القرآن .
 هذا وأستغفر الله لي ولكم وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
 آله وصحبه وسلم .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد فيا أيها الحبيب الكريم :

يجب أن يفوق حبك للحبيب ﷺ حبك لنفسك ولوالدك ولولدك بل والناس أجمعين، روى البخاري ومسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال :

« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »^(١).

سيقول الحضور جميعاً نشهد الله أننا نحب النبي ﷺ أكثر من حبنا لأبائنا وأولادنا وأنفسنا .

أقول لك : قدم البرهان على هذه الدعوى .

ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي » .

فقال النبي ﷺ : « لَا يَا عُمَرُ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ »

(١) رواه البخاري في الإيمان ١/٥٥، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ومسلم رقم (٤٤) في الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ، والنسائي في الإيمان أيضاً (٨/١١٤)، (١١٥) باب علامة الإيمان وأخرجه ابن ماجه في المقدمة رقم (١٦٧) .

فقال عمر: «والذي نفسي بيده لأنت أحب إليّ من نفسي يا رسول الله».

فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»^(١).

قال أهل العلم: أي الآن قد كمل إيمانك يا عمر.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح:

قال الإمام الخطابي: «حب الإنسان لنفسه طبع، وحب الإنسان لغيره

اختيار بتوسط الأسباب»

أي أنا أحبك لأسباب وأنت تحبني لأسباب أما حبك لنفسك وحبني

لنفسى فهذه جبله طبيعية.

يقول: «وما طلب النبي ﷺ من عمر حب الطبع بل ما أراد منه إلا

حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع عما جبلت عليه».

أراد النبي ﷺ أن يلفت نظر عمر إلى أن الله عز وجل قد منّ على

عمر فنجاه من النار لما أرسل له المصطفى المختار ﷺ، ولكن هناك فرق

بين حب يدور على الاتباع وبين غلو يدور على الابتداء.

ففي البخاري من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي

ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ

فقولوا عبدُ الله ورسوله»^(٢)

قال الحافظ ابن حجر: الإطراء: هو المدح بالباطل والكذب.

فلا إطراء ولا غلو.

والحق أن الغلو في رسول الله ﷺ قد بلغ عند بعض مدعى المحبة

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور (٦٦٣٢): باب كيف كانت بين النبي ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٣٥٤/٦، ٣٥٥) في الأنبياء، باب قوله تعالى: «واذكر في الكتاب مريم».

حداً خطيراً فخلعوا على رسول الله ﷺ صفات، ومنحوه خصائص الربوبية والألوهية.

كهذا الذي جعل رسول الله وحده ملاذه وملجأه إذا نزلت به الشدائد فقال مخاطباً المصطفى ﷺ:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
ولن يضيق رسول الله جاهك بي
فإن جودك الدنيا وضرتها
سواك عند حدوث الحادث العمم
إذا الكريم تجلّى باسم متقم
ومن علومك علم اللوح والقلم^(١)

ويقول آخر : فشان محمد ﷺ في جميع تصرفاته هو شأن الله تعالى ، فليس لمحمد من محمد شيء ولذلك كان نوراً ذاتياً من عين ذات الله^(٢).

وهذه الشطحات كثيرة جداً ولا حول ولا قوة إلا بالله ونقول لهؤلاء: تعالوا بنا لتعرف على الحب الحقيقي . . . الحب الصادق .

فهذا هو المغيرة بن شعبة يقف ليظلل على رأس النبي ﷺ من الشمس في الحديبية، فجاء عروة بن مسعود الثقفي رسولاً من قبل قريش للنبي ﷺ في الحديبية .

وجعل عروة بن مسعود يكلم النبي ﷺ وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة عند رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنصل

(١) ديوان البوصيري تحقيق محمد سيد كيلاني ص ٢٠٠ ط. الحلبي.

(٢) النعمات القدسية في شرح الصلوات المحمدية الإدريسية محمد بهاء الدين البيطار . ط دار الجبل بيروت ص ٩.

السيف، وقال: آخر يدك عن حية رسول الله ﷺ^(١).
يبقى أن تعلم أن المغيرة بن شعبه ابن أخي عروة !! هذا هو الحب
الصادق .

وتخيل معي مشهد أبي دجانة في غزوة أحد وهو يترس على رسول الله
ﷺ، والنبل يقع عليه وهو لا يتحرك .

وتدبر معي مشهد طلحة وهو يقاتل أمام النبي ﷺ يمناه ويسرة ويترس
مع النبي ﷺ بترس واحد .

ففي البخاري من حديث قيس بن حازم، قال: «رأيت يد طلحة
شلاء، وفي بها النبي ﷺ يوم أحد»^(٢) هذا هو الحب .

لذلك استحق طلحة - رضي الله عنه - هذا الوسام العالي من سيد
الناس محمد ﷺ .

ففي سنن الترمذي أن الحبيب النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى
شَهِيدٍ يَمْسِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ»^(٣) .

وهذا أبو طلحة - رضي الله عنه - كان يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ
ويرفع صدره ليقية من سهام العدو .

عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس على النبي ﷺ،
وأبو طلحة بين يديه محبوب عليه بجحفة له، وكان رجلاً رامياً شديداً

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢) في الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع
أهل الحرب، وكتابة الشروط.

(٢) رواه البخاري رقم (٣٧٢٤) في فضائل الصحابة باب ذكر طلحة بن عبيد الله، وفي
الغازي.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٧٤٠) في المناقب، باب مناقب طلحة بن عبيد الله، ورواه أيضا
ابن ماجه رقم ١٢٥ في المقدمة وصححه شيخنا الألباني في صحيح سنن الترمذي
(٢٩٤٠)

النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل، فيقول: انثرها لأبي طلحة، قال: ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف بصييك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك يا رسول الله^(١).

أحبتني في الله، هذا هو الحب الصادق إنهم جسدوا الحب إلى واقع . . . إلى عمل . . . ليس الحب كلمة تقال.

إننا نرى أعظم احتفاء بالنبي ﷺ قوله الصديق يوم أن اتهم المشركون رسول الله ﷺ بالكذب ليلة الإسراء فرد الصديق بقوله: إن كان محمد قد قال ذلك فقد صدق^(٢).

هذا هو الاحتفاء .

نرى أن الاحتفاء الحقيقي في قوله فاروق الأمة عمر للنبي ﷺ : ألسنا على الحق؟! فيقول: بلى، فيقول عمر: أليسوا على الباطل؟ فيقول: بلى.

فيقول عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا؟!^(٣) هذا هو الاحتفاء .

نرى الاحتفاء الحقيقي يوم أن ارتقى النبي ﷺ المنبر وحث الناس على الصدقة لتجهيز جيش العسرة فجاء عثمان؟ فقال: يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض النبي ﷺ على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله عليّ مائتا بعير بأحلاسها

(١) رواه البخاري (٢٧٨/٧) في المغازي، باب « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما » وفي الجهاد، باب غزوة النساء وقتالهن مع الرجال، ومسلم رقم (١٨١١) في الجهاد وباب غزوة النساء مع الرجال.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» وقال: رواه البيهقي في الدلائل .

(٣) رواه البخاري رقم (٢٧٣١) في كتاب الشروط باب الشروط في الحرب .

وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش، فقام عثمان فقال: عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فنزل رسول الله ﷺ من على المنبر وهو يقول: « مَا عَلَيَّ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَيَّ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ بَعْدَ هَذِهِ »^(١) هذا هو الاحتفاء.

نرى الاحتفاء الحقيقي يوم أن نام علي في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، وهو يعلم أنه إلى فناء! ولم لا؟ فليفتنى علي وليبقى حامل لواء الدعوة الحبيب النبي ﷺ. هذا هو الاحتفاء.

فإن أرادت الأمة أن تحتفي بالحبيب المصطفى فلتبرأ من الشرك . . . ولتحقق التوحيد . . . وتحكّم شريعة النبي ﷺ . . . وتوالي الله ورسوله والمؤمنين . . . فلتحقق من جديد مبدأ السمع والطاعة؛ لتسمع أمر ربها وأمر نبيها بلا تردد ولا انحراف . . . ثم تنقب عن مكانة النبي ﷺ في قلبها ورحم الله من قال :

مَنْ يَدْعِي حُبَّ النَّبِيِّ وَلَمْ يَفِضْ مِنْ هَدْيِهِ فَسَفَاهَةٌ وَهَرَاءُ
فَالْحُبُّ أَوْلُ شَرْطِهِ وَفُرُوضِهِ إِنْ كَانَ صِدْقًا طَاعَةٌ وَوَفَاءُ

نسأل الله جل وعلا أن يجمعنا وإياكم على حوض الحبيب المصطفى

ﷺ

. . . الدعاء

(١) رواه الترمذي رقم (٢٧٠١) في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد: فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة ، وزكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور، وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا

البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة
المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتني في الله :

«الدَّرُ المنثور في الذُّود عن أصحاب الرسول»

هذا هو عنوان لقائنا في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا فسوف
يتنظم حديثي مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً: حرب حقيرة ليست الأخيرة !!

ثانياً: عدالة الصحابة من القرآن والسنة .

ثالثاً: وهل يسب الخيران !!؟

وأخيراً: هم القدوة فاعرفوا لهم قدرهم .

فأعيروني القلوب والأسماع، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن
يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم
أولو الألباب .

أولاً: حرب حقيرة ليست الأخيرة !!

أحبتني في الله :

إن الصراع بين الحق والباطل قديم بقدم الحياة على ظهر هذه
الأرض، والأيام دول كما قال الله عز وجل :

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] والإسلام
العظيم منذ أن بزغ فجره واستفاض نوره لا زال إلى يومنا هذا مستهدفاً
من قبل أعدائه الذين يشنون عليه حروباً ضارية على كل الجبهات وفي
جميع الميادين . ومن أخطر هذه الحروب «حرب إسقاط الرموز» ابتداءً
من الصحابة رضي الله عنهم وانتهاءً بالعلماء والدعاة .

فهم يريدون أن يشككوا الأمة في دينها حينما يشككون الأمة في

نقلة هذا الدين من الصحابة الخيرين ، والعلماء العاملين والدعاة الصادقين. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يريدون أن يفصلوا بين الأتباع والقيادة، فإذا تم الفصل بين القائد والأتباع تشرذمت الأمة لتصبح ذليلة كسيرة مبعثرة كالغنم في الليلة الشاتية الممطرة!!

ومن آخر هذه الحروب وليست الأخيرة ما ينشر في هذه الأيام على صفحات الجرائد والمجلات السوداء التي تعزف على وتر الجنس لإثارة الغرائز الهاجعة ولاستجاشة الشهوات الكامنة .

هذه الحرب التي تثار الآن حرب سافرة تشن على رءوس هذه الأمة ابتداء من الصحابة الكرام!! .

حيث ترى دفاعاً مبطناً لهذه الجرائد والمجلات على هذا الخطيب الشيعي المحترق الذي سب أصحاب النبي ﷺ سباً فظيماً منكرًا يستحي اللسان العف أن يردد الآن لفظة واحدة مما قال!!

وتعمدت أن لا أعقب على هذا الشيعي المحترق، وما استحللت لنفسي أن أرد عليه إلا بعد سماعي لكلماته بأذني رأسي عبر شريط الكاسيت .

فإنني لا أثق ألبتة فيما ينشر على صفحات الجرائد والمجلات لأنهم كما تعلمون يكذبون على الجميع .

أيها الأحبة الكرام: يُسبُّ أصحاب النبي ﷺ !! ويشوه العلماء !! وتعلن الحرب بضاوة على رءوس الأمة ليتشكك الناس في الدين فمن الذي نقل إلينا عن رسول الله ﷺ ؟

إنهم الصحابة - رضي الله عنهم - ومن سار على دريهم من

التابعين لهم بإحسان والعلماء العاملين والدعاة الصادقين .

وهذه الحرب التي تعلن الآن على الأطهار هي التي دفعتني لأقف اليوم بين أيديكم لأذود عن حرمهم الكريم ولأذود عن عرضهم الطاهر، لا لأرفع من قدرهم وشأنهم، فإن الذي رفع قدرهم هو الله، وإن الذي رفع شأنهم وعدلهم رسول الله ﷺ .

وأنا أتحدث اليوم عن الصحب الأطهار لأرفع من قدر نفسي ومن قدر إخواني وأخواتي وأتضرع إلى الله عز وجل بحبنا لهم أن يحشرنا معهم، فالمرء مع من أحب يوم القيامة بموعده الحبيب محمد ﷺ .

أيها الأحبة الكرام:

والله الذي لا إله غيره لا أرى مثلاً لهؤلاء الموتورين الذين يتناولون اليوم على القمم السماء - لا أرى لهم مثلاً إلا كمثل ذبابة حقيرة سقطت على نخلة عملاقة فلما هَمَّتْ الذبابة الحقيرة بالانصراف والطيوان قالت في استعلاء للنخلة العملاقة: أيتها النخلة تماسكي فإني راحلة عنك .

فقالَت النخلة العملاقة: انصرفي أيتها الذبابة الحقيرة فهل شعرت بك حينما سقطت عليَّ لأستعد لك وأنت راحلة عني !!؟

نعم فهل يضر السماء أن تمتد إليها يد شلاء؟! وهل يوقف سير البواخر العملاقة الطحالب الحقيرة ولو اجتمعت على سطح الماء؟!؟

فحريٌّ بهؤلاء الموتورين أن يحطموا أقدامهم وأن يفرغوها من مدادها العفن .

وَمَنْ يَكُنْ ذَا فَمٍ مَرِيضٍ يَجِدُ مَرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَّالًا!!

اعلموا أيها المسلمون الأخيار: وفقني الله وإياكم لمرضاته وجعلني الله وإياكم ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته .

اعلموا بأنه لا يجوز ألبتة لرجل زائف العقيدة...، مريض القلب...، مشوش الفكر أن يتحدث عن أصحاب النبي ﷺ .

إذ أن الحديث عن الصحب الكرام يتطلب ابتداء صفاء في العقيدة وإخلاصاً في النية ودقةً في الفهم، وأمانة في النقل ونظرة فاحصة مدققة لأراجيف المبطلين والوضاعين، والكذابين، والمغرضين، وأصحاب الأهواء المتدعين، ومن هم على طريقهم كالعلمانيين!! الأبد من الفحص الدقيق لكل ما تقرأ، ولكل ما ينشر عن أصحاب النبي ﷺ، فلا بد أن تعرف قدر هؤلاء، ومكانة هؤلاء فهم الجيل القرآني الفريد الذي تربي على يد من رباه الله على عينه، ليربي به الدنيا .

إنه الجيل الذي تربي على يد المصطفى وكفى .

وكل تلميذ يقتبس في العادة من أستاذه، فلك أن تتصور كيف يكون الاقتباس إذا كان المعلم هو سيد الناس؟

وكل فهم تربوي يترك طابعه على طلابه الذين يتربون عليه ولك أن تتصور كيف يكون الطابع إذا كان المنهج التربوي الذي تربي عليه أصحاب النبي ﷺ هو القرآن العظيم والسنة المشرفة، وهم صفوة الخلق بعد الأنبياء .

أخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى بسند حسن عن ابن مسعود - رضي الله عنه -:

إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب الرجال بعد قلب محمد

ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه^(١).

وهذا الأثر جسد أنهم صفوة الخلق بعد الأنبياء، إنهم المهاجرون والأنصار الذين حملوا دعوة النبي المختار ﷺ، وصدقوا ما عاهدوا عليه العزيز الغفار، فاستحقوا بجدارة واقتدار أن يبشروا وهم في الدنيا بالجنة والنجاة من النار.

إنهم أصحاب النبي ﷺ الذين عدلهم ربهم ونبيهم ﷺ وهذا هو عنصرا الثاني من عناصر هذا اللقاء.

ثانيا: عدالة الصحابة من القرآن والسنة.

قال الخطيب البغدادي في كتابه «الكفاية في علم الرواية»

إن عدالة أصحاب النبي ﷺ ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختيارهم بنص القرآن قال الرحيم الرحمن:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

والمخاطب ابتداءً بالخطاب الرباني هم أصحاب الحبيب النبي ﷺ وهم المخاطبون ابتداءً بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

وهم المخاطبون بقوله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ

(١) أخرجه أحمد رقم (٣٦٠٠) وإسناده حسن وذكره الهيثمي في المجمع (١٧/١، ١٧٨)

وقال: رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير ورجاله موثوقون.

إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
 (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو
 فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤]

وقال الله عز وجل في حقهم مخاطبًا النبي ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ
 اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]

وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم:

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
 نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]

وهم الذين قال الله في حقهم:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
 قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]

وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ
 السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَعْضَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ
 الْيَهُودِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ النَّصَارَىٰ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَوْمِ مَدْيَنَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ حَقًّا أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وهم الذين زكاهم الله عز وجل بقوله:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ
 اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (أ) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا
 الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
 مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ [الحشر: ٨-٩]

وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَابِهِ يَعْعَبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩]

آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل زكى الله بها أصحاب النبي ﷺ وأكتفي بهذا القدر منها، واسمع معي هذه الأوسمة من سيد النبيين ﷺ .

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - :
عن النبي ﷺ قال : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »^(١)
وفي الصحيحين من حديث أنس - رضي الله عنه - قال :

مُرَّ بَجَنَازَةٍ فَأَثْنِي عَلَيْهَا خَيْرًا . فقال النبي ﷺ : « وَجَبْتُ، وَجَبْتُ وَجَبْتُ »، ومُرَّ بَجَنَازَةٍ فَأَثْنِي عَلَيْهَا شَرًّا. فقال نبي الله ﷺ : « وَجَبْتُ، وَجَبْتُ، وَجَبْتُ ». قال عمر : فدى لك أبي وأمي، مرَّ بَجَنَازَةٍ فَأَثْنِي عَلَيْهَا خَيْرًا فقلت : وجبت وجبت وجبت، ومُرَّ بَجَنَازَةٍ فَأَثْنِي عَلَيْهَا شَرًّا فقلت : وجبت وجبت وجبت؟

فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ »^(٢).

(١) رواه البخاري (١٩١ / ٥) في الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، وفي فضائل الصحابة، ومسلم رقم (٢٥٣٣) في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، والترمذي رقم (٣٨٥٨) في المناقب

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٦٧) في الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، ومسلم رقم (٩٤٩) في الجنائز، باب فيمن يشئ عليه خيراً أو شراً من الموتى.

إن الذين زكاهم هو رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»، وفي رواية: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدِ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدُّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١).

وفي صحيح مسلم عن عائذ بن عمرو: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيف الله من عنق عدو الله مأخذها قال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لِئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ» .

فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوانه! أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي!^(٢)

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن الحبيب النبي ﷺ قال: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ قَوْمَكَ يَا نُوحُ؟» فيقول: نَعَمْ، فيقال لأُمَّته: هَلْ بَلَغْتُمْ نُوحًا؟ فيقولون: لَا مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فيقول: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ بِأَنْ نُوحٌ؟ فيقول نُوحٌ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم رقم (٢٥٤) في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، وأبو داود رقم (٤٦٥٨) في السنة، باب النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ، والترمذي رقم (٣٨٦٠) في المناقب باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٠٤) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل سلمان، وصهيب وبلال رضي الله عنهم .

وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] (١).

في صحيح مسلم من حديث أبي بردة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي بعد العشاء قال: فجلسنا. فخرج علينا، فقال: «مَا زِلْتُمْ هَهُنَا؟» قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب. ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء.

قال: «أَحْسَبْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قال: فرفع رأسه إلى السماء - وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء - فقال: «النُّجُومُ أَمْنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتِ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمْنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» (٢).

وأختم بهذا الحديث الذي رواه الترمذي وابن حبان، وأحمد والبيهقي وأبو نعيم وغيره، وللأمانة العلمية أقول: إن به مجهولاً لكن متن الحديث ثابت صحيح كما ذكرت آنفاً من حديث عبد الله بن مغفل أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غُرَضًا، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحَبِّي لَهُمْ أَحَبُّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوْشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ» (٣).

فبعد هذه الآيات وهذه الأحاديث الصحيحة لسنا في حاجة إلى مزيد بيان عن الصحب الكرام.

(١) رواه البخاري رقم (٤٤٨٧) في التفسير، باب «وكذلك جعلناكم أمة وسطا... الآية».

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٥٣١) في فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وكذا رواه ابن حبان.

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٨٦٢)، وأخرجه أحمد في المسند (٤/٨٧، ٥/٥٤، ٥٧).

ومع ذلك فإنني مُصِرٌّ على أن أعطر هذا المجلس كذلك بكلمات ندية لأسد الله الغالب علي بن أبي طالب .

فإن الكلام من علي في هذا الموطن له مغزى وأود أن أحذر الأجابة جميعاً من أن ينتقصوا قدر علي خشية أن يقعوا فيما وقع فيه الروافض . . . كلا!!

فإننا نثبت لعلي مناقبه، ونثبت لعلي مكانته فهو من هو؟! هو أسد الله الغالب . . . هو الذي قال له المصطفى ﷺ يوم خيبر - لما امتنعت حصون اليهود: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ عِندَ رَجُلٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» وفي الصباح اشربأت الأعناق، وتمنى الأبطال القيادة حتى عمر المتجرد التقى المخلص النقي يقول: والله ما تمنيت الإمارة إلا يومها!!

وفي الصباح وقف الأبطال على أطراف الأقدام؛ ليراهم النبي ﷺ وشق هذا السكون صوت النبي ﷺ وهو يسأل عن القائد الذي سيدفع له الراية ليفتح الله عز وجل على يديه فقال ﷺ: «أَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟» ونقب الحضور عن علي فلم يجده: ما حضر اليوم يا رسول الله، لأنه أشتكى وجعاً في عينيه قال ﷺ: «فَارْسُلُوا إِلَيْهِ فَأَتُونِي» فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع(١).

ودفع النبي ﷺ له الراية وأمره أن ينطلق، فانطلق أسد الله الغالب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ففتح الله على يديه حصون خيبر، وهتف الجميع بما هتف به النبي ﷺ أول يوم:

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٧٠١) في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم رقم (٢٤٠٧) في مناقب الصحابة، باب من فضائل علي .

« اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ.. اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ » (١).

أسأل الله عز وجل أن يُخرب حصون اليهود بقدرته إنه على كل شيء قدير .

علي بن أبي طالب: الذي تربي في حجر المصطفى ﷺ وكفى!! أول شبل من أشبال الإسلام يقف ليصلي خلف النبي ﷺ ويسمع القرآن وحده من فم رسول الله ﷺ .

علي بن أبي طالب الذي اضطر يوماً لأن يفخر رضي الله عنه فقال :

وَحَمْزَةٌ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي	مُحَمَّدُ النَّبِيِّ أَخِي وَصَهْرِي
بَطْنِ رَمَعِ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمِّي	وَجَعْفَرُ الَّذِي يَمْسِي وَيَضْحِي
مُنُوطٌ لَحْمُهَا بَدَمِي وَلَحْمِي	وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكْنِي وَزَوْجِي
فَأَيُّكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي؟	وَسَبْطًا أَحْمَدٌ وَلِدَايَ مِنْهَا

اسمع ماذا قال علي رضي الله عنه :

«سيكون بعدنا أقوام ينتحلون مودتنا يكذبون علينا مارقة، وآية ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما» .

لقد ذكروا للإمام مالك بن أنس أن رجلاً ينتقص من أصحاب النبي ﷺ فقرأ مالك بن أنس - رحمه الله - قول الله تعالى :

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٥٩) في المغازي، باب غزوة خيبر، وفي صلاة الخوف : باب التكبير والغسل بالصبح، ومسلم رقم (١٣٦٥) في الجهاد باب غزوة خيبر، ومالك (٤٦٨/٢)، والترمذي رقم (١٥٥٠)، والناسي (١/ ٢٧٢) وأحمد (٣/ ١٠٢، ١٦١، ١٦٤، ٢٠٦، ٢٤٦، ٢٦٣).

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ يُعْجَبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الفتح: ٢٩]

ثم قال مالك: فمن وجد في قلبه غيظًا على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾

وقال الحافظ الكبير أبو زرعة - رحمه الله -: إذا رأيت الرجل يتقص أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فاعلم بأنه زنديق، وذلك لأن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به النبي ﷺ حق، والذي بلغنا ذلك كله عن رسول الله ﷺ هم أصحابه فهؤلاء يريدون أن يهدموا الصحابة ليطلوا القرآن والسنة.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وأختم هذا العنصر بما قاله الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة، قال - رحمه الله -:

ونحب أصحاب الرسول ﷺ ولا نفرق في حب أحد منهم، ونبغض من أبغضهم وبغير الخير يذكرهم، محبتهم دين، وإيمان، وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. اهـ^(١).

(١) مهذب العقيدة الطحاوية (٣٨٢، ٣٨٣).

أحبتني في الله: إننا نعيش زماناً تكلم فيه الروبيضات!!

بل وأفردت الصفحات للروبيضات!!

وحُجزت الساعات الطوال على الشاشات في الإذاعات للروبيضات

هل تدرون من الروبيضات؟ اسمع الجواب من رسول الله ﷺ .

والحديث رواه أحمد والحاكم في المستدرک وصححه الألباني من

حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: « سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ

يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا

الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرَّوْبِيضَةُ» قيل: من الروبيضة يا رسول الله؟ قال:

«الرَّجُلُ التَّافَهُ بِتَكَلُّمِهِ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»^(١)

والله لقد نطق التافهون، بل لقد نطق أبو الهول الذي لم يتكلم

في شيء إلا في سب أصحاب النبي ﷺ، والتشهير بالعلماء

المخلصين والدعاة الصادقين للفصل بين القيادة والأتباع، لتشرذم

الامة ولتصبح ذليلة كسيرة مبعثة، ليسهل على الذئاب أن يفترسوها

وأن يأكلوها أكل الذئب للغنم، أسأل الله عز وجل أن يقر أعيننا

وإياكم بنصرة الإسلام، وعز الموحدين وأكتفي بهذا القدر، وأعرج

على العنصرين الباقيين بسرعة بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي

هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(١) رواه أحمد، والحاكم في المستدرک، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (١٨٨٨).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد، فيا أيها الأحبة الكرام :

ثالثاً : وهل يُسَبُّ الخيران أبو بكر وعمر :

يُسَبُّ هذا الشيعي المحترق أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - !!

والله الذي لا إله غيره بكلمات يعف اللسان عن ذكرها!!

يسب أبا بكر بأقبح الألفاظ !! يسب عمر الفاروق بأشنع الكلمات لا تصدر إلا من شرب الخمر فلعبت برأسه فهو يهذي لا يدري ماذا يقول !!

أبو بكر ذلكم الرجل الذي عاين طائر الفاقة يحوم حول حب الإيثار، فألقى له الصديق حبَّ الحُبِّ على روض الرضا واستلقى الصديق على فراش الفقر آمنة مطمئناً، فرفع الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة وتركه هنالك، ثم علا أفنان شجرة الصدق يغرد للصديق بأعلى وأعلى فنون المدح ويتلو في حقه قول ربه: ﴿ وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتْقَى ﴾ .

إن الأتقى هو الصديق: ﴿ وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتْقَى ﴾ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿ [الليل: ١٧-٢٠]

يسبّ أبا بكر !!؟ الذي استحق أن يكون أقرب الخلق إلى قلب رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم، قال عمرو بن العاص: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قال: من الرجال؟ قال ﷺ: «أبوها»^(١). قال: ثم من؟ قال: «عمر».

يسبّ أبا بكر !!؟ العملاق الذي قال في حقه المصطفى ﷺ والحديث في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة:

«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ، وَبَابِ الرِّيَّانِ» قال أبو بكر: هل على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة؟ وفي رواية قال: وهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»^(٢)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة سأل المصطفى ﷺ أصحابه يوماً فقال: «مَنْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنْكُمْ صَائِمًا؟» قال: أبو بكر: أنا قال: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قال أبو بكر: أنا، قال رسول الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٨٤) والترمذي رقم (٣٨٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، رواه أيضاً أحمد في الفضائل (٢١٤)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٢٣٥) والنسائي في الفضائل (٥).

(٢) رواه مسلم رقم (١٠٢٧) في الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، والترمذي رقم (٣٦٧٤) في الفضائل.

رَجُلٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)

وهل يُسبُّ الفاروق عمر؟!!

ذلكم الرجل العملاق الذي بركت الدنيا بزيتها وزخارفها على عتبة داره فطلقها ثلاثاً وسرحها سراحاً جميلاً وقام ينفض من علائق هذا المتاع الزائل، واستأنف سيره وسط الصحراء تحت حرارة الشمس المحرقة!!

تراه يجري وراء بعير قد نَدَّ من إبل الصدقة يخشى عليه الضياع، يخشى أن يسأل عنه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة.
أو تراه وهو الفاروق الخليفة تراه منحنيًا على قدر فوق نار مشتعلة ينفخ النيران تحت القدر لتنضج النيران طعمة سريعة لأطفال يتضورون جوعاً!!

أو تراه واقفًا أمام خيمة رجل يبكي لامرأته التي أدركها كرب المخاض وهي لا تجد أحداً يؤنسها فيسرع ليأتي بزوجة خليفة المسلمين، لتقف مع هذه المسلمة حتى تضع ولدها!!

أو تراه يمشي في السوق يتفقد أحوال الناس فيرى إبلاً ثمينة فيسأل عمر: إبل من هذه؟!!

فيقولون: إبل عبد الله بن عمر، وكأن حية قد انقضت عليه فلدغته وأفرغت كل سمها في جوفه فيقول: بخ . بخ . بخ!! إبل عبد الله بن عمر!! اتنوني به.

(١) رواه مسلم رقم (١٠٢٨) في الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، وفي فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه.

ويأتي عبد الله يرتجف ويرتعد، وهو من هو؟ إمام في الزهد والورع.

يقول عمر: يا عبد الله ما هذه الإبل؟

فيقول عبد الله: يا أبي إبل مريضة هزيلة اشتريتها بخالص مالي وأطلقتها في الحمى ترعى وأتيت بها إلى السوق لأبتغي ما يبتغيه المسلمون من الربح والتجارة.

فيقول عمر: بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين فإذا رأى الناس إبلك قالوا: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين!! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين!! فتسمن إبلك ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله!! قال: لبيك يا أبتى مرني بما شئت.

فقال عمر: بع الإبل الآن وخذ رأس مالك، ورد الربح إلى بيت مال المسلمين!! يا خالق عمر سبحانك!

هذا هو عمر الفاروق الذي يسبه الآن هذا الشيعي المحترق!! يسب عمر الفاروق؟! عمر الذي اشتهدت زوجته الحلوى يوماً فأبى عليها.

يَا رَافِعًا رَايَةَ الشُّورَى وَحَارِسَهَا	جَزَاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عَن مُحَبِّبِهَا
رَأَى الْجَمَاعَةَ لَا تَشْقَى الْبِلَادُ بِهِ	رَغَمَ الْخِلَافَ وَرَأَى الْفِرْدُ يُشْقِيهَا
إِنَّ جَاعَ فِي شِدَّةِ قَوْمٍ شَرَكْتَهُمْ	فِي الْجُوعِ أَوْ تَنْجَلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا
جُوعُ الْخَلِيفَةِ وَالدُّنْيَا بَقْبُضَتَهُ	مَنْزِلَةٌ فِي الرَّهْدِ سُبْحَانَ مُوَلِّيهَا
فَمَنْ يُبَارِي أَبَا حَفْصٍ وَسِيرَتَهُ	أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ لِلْفَارُوقِ تَشْبِيهَا
يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلْوَى	فَقَالَ لَهَا: مَنْ أَيْنَ لِي ثَمَنَ الْحَلْوَى فَأَشْرِيهَا
مَا زَادَ عَن قُوْتِنَا فَالْمُسْلِمُونَ بِهِ أَوْلَى	فَقُومِي لِبَيْتِ الْمَالِ رُدِّيَهَا
فَذَلِكَ أَخْلَاقُهُ كَانَتْ وَمَا عَهْدَتْ	بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَخْلَاقُ تَحَاكِيهَا

واسمع للمصطفى ﷺ وهو يضع الأوسمة على صدر عمر الفاروق فيقول كما في سنن الترمذي من حديث ابن عمر وهو حديث حسن قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبَهُ»^(١)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال:

«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبَ قَصْرِ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَيْتُ مُدْبِرًا، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»^(٢)

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتَ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعَرَضَ عَلَيَّ ابْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ» قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ»^(٣)

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -

-
- (١) أخرجه الترمذي رقم (٣٦٨٣) في المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإسناده حسن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.
- (٢) رواه البخاري رقم (٣٦٨٠) في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي النكاح، وفي التعبير، مسلم رقم (٢٣٩٥) في فضائل الصحابة باب فضائل عمر بن الخطاب وفي الإيمان وفي التعبير، ومسلم رقم (٢٣٩٠) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- (٣) رواه البخاري رقم (٣٩١) في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عمر بن الخطاب، وفي الإيمان، وفي التعبير، ومسلم رقم (٢٣٩٠) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والترمذي رقم (٢٢٨٧) في الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ، والنسائي (١١٣/٨) في الإيمان باب زيادة الإيمان.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُوتِيَتْ بِقَدْحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيَتْ فَضُلِّي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» قال من حوله: فما أوَلت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم»^(١).

وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على النبي ﷺ، وعنده نسوة من قريش يكلمنه - وفي رواية يسألنه ويستكثرنه - عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر قمن يتدرن الحجاب، فأذن له النبي ﷺ فدخل عمر والنبي ﷺ يضحك، قال عمر: أضحك الله سنك، بأبي أنت وأمي ما أضحكك؟ فقال: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قال عمر: فأنت يا رسول الله لأحق أن يهين، ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن، أتبهنني ولا تهين النبي ﷺ؟ قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إِيه يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَّكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»^(٢).

يسب عمر فاروق الأمة !!؟

يسب الخيران !!؟ أسأل الله جل وعلا أن يجمعنا بهما في جنات

النعيم.

(١) رواه البخاري (٣٦٨١) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي العلم والتعبير، ومسلم رقم (٢٣٩٠) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب، والترمذي رقم (٢٢٨٥) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ اللين والقمص:

(٢) رواه البخاري (٣٧/٧) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسلم رقم (٢٣٩٦) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأخيراً: « هم القدوة فاعرفوا لهم قدرهم »:

وأكتفي بهذا الأثر الذي رواه أحمد بسند حسن من حديث ابن مسعود موقوفاً عليه رضي الله عنه قال: من كان مُسْتَنَّاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

أيها الوالد الكريم:

تعلم سير الصحابة، وعلم أبناءك سير الصحابة، لقد آن الأوان لترنو بأبصارنا إلى هذه القمم... إلى هذه القدوات... إلى هذه المثل... إن شبابنا الآن قدمت له قدوات فاسدة ومثل هابطة، تعلم الكثير عن هؤلاء الأقرام في الوقت الذي لا يعلم فيه شيئاً عن هذه القمم الشماء، وعن هؤلاء الأطهار الخيار الكرام.

تعلم سيرة أصحاب النبي ﷺ، عُد من جديد واسمع السيرة... اقرأ السيرة... اجتهد على أن تسأل عن سيرتهم بعد ما حرمانا من صحبة أنفاسهم وأجسادهم، وربّ ولدك على هذه السيرة لتأخذ العبرة والعظة من ناحية ولتتدفق من جديد في عروقنا دماء العزة والكرامة والزهد والورع من ناحية أخرى والتي ضرب لها أروع المثل أصحاب النبي ﷺ.

إننا نعيش زماناً قدم فيه التافهون ليكونوا القدوة والمثل، وأن الأوان لأن ترنو جميع الأبصار إلى هذه القدوات الطيبة والمثل العليا ويجب

عليك أن تغار لأصحاب نبيك ﷺ إذا قرأت كلمة تمس عرض واحد منهم، يجب عليك أن تغار، ودَعَكَ من هذه السلبية القاتلة.

فهؤلاء هم رموز الأمة، لا ينبغي أن تسقط هذه الرموز، لا ينبغي أن تشوه صورهم.

أسأل الله عز وجل أن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الإسلام وعز الموحدين، وأن يجزي عنا نبينا خير الجزاء، وأن يجزي أصحاب النبي ﷺ خير ما جرى به عباده الصالحين المصلحين، وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم

... الدعاء



الهزيمة النفسية



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة ، وزكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور، وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا

البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.
أحبتني في الله:

لقد ابتلي المسلمون بنكبات وأزمات كثيرة مروراً بأزمة الردة الطاحنة والهجمات التتارية الغاشمة والحروب الصليبية الطاحنة وسقوط الأندلس، وزوال ظل الخلافة، وضياع القدس الشريف!!
فإن الأمة مع كل هذه الأزمات والنكبات كانت تملك مقومات النصر من إيمان صادق بالله واعتزاز بهذا الدين . . . أما اليوم فقد فقدت جُلَّ مقومات النصر!! في الجانب الإيماني، والجانب المادي، على السواء، فهزمت هزيمة نفسية نكراء وهذا هو موضوعنا مع حضراتكم اليوم في هذا اللقاء

« الهزيمة النفسية »

وكعادتنا فسوف نركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان المهم في العناصر التالية :
أولاً: أعراض الهزيمة النفسية.
ثانياً: أسباب الهزيمة النفسية
وأخيراً: العلاج.

فأعزني قلبك وسمعك فإن هذا الموضوع في هذه الأيام من الأهمية والخطورة بمكان، والله أسأل أن يجعلني وإياكم جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الموحدين وعز الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولاً: أعراض الهزيمة النفسية.

أيها الأحبة: إن للهزيمة النفسية أعراضاً كثيرة خطيرة أهمها ما يلي:
العرض الأول: تنحية الشريعة الربانية وتحكيم القوانين البشرية:
وهذا بلا منازع هو أخطر أعراض الهزيمة النفسية التي نُكِبَتْ بها
الأمّة المحمدية في العصر الحديث.

يقول الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾
[آل عمران: ١٤٠] فالأيام دول، والصراع بين الحق والباطل صراع دائم لا
يتتهي ولن يتتهي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولا شك على الإطلاق أن الدولة والجولة الآن للغرب الذي انتصر
في الجولة الأخيرة، فراحت الأمّة المهزومة عسكرياً، واقتصادياً،
ونفسياً تحاكي الغرب الذي انتصر في هذه الجولة.

وباليت الأمّة راحت تنقل أروع ما وصل إليه الغرب في الجانب العلمي
والتكنولوجي! ولكنها بكل أسف نقلت ما وصل إليه الغرب في الجانب
العقدي والإيماني والأخلاقي والروحي حتى رأينا من بني جلدتنا من
يدندن على هذا الوتر، يمجّد الغرب ويسبح بحمده، حتى قال قائل:
قد عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في
رئاتهم والنجاسات التي في أمعائهم!! ولله در القائل:

قَالُوا لَنَا الْغَرْبُ قُلْتُ: صِنَاعَةٌ!!	وسياحة ومظاهر تغربنا
لَكِنَّهُ خَـاَوَ مِنَ الْإِيمَانِ لَا	يرعى ضعيفاً أو يسر حزيناً
الْغَرْبُ مَقْبَرَةُ الْمَبَادِي لَمْ يَزَلْ	يرمي بسهم المغريات الدينا
الْغَرْبُ مَقْبَرَةُ الْعَدَالَةِ كُلَّمَا	رُفِعَتْ يَدُ أَبَدِي لَهَا السَّكِينَا
الْغَرْبُ يُكْفَرُ بِالسَّلَامِ وَإِنَّمَا	بسلامه الموهوم يستهوينَا
الْغَرْبُ يُحْمِلُ خِنْجَرًا وَرِصَاصَةً	فَعَلَامَ يُحْمِلُ قَوْمَنَا الزَّيْتُونَا

كُفِرُوا وَإِسْلَامٌ فَأَنَّى يَلْتَقِي هَذَا بِذَلِكَ أَيُّهَا اللَّاهُوتَا
 أَنَا لَا أَلُومُ الْغَرْبَ فِي تَخْطِيطِهِ لَكِنَّ أَلُومَ الْمُسْلِمِ الْمَفْتُونَا
 أُمَّتِنَا الَّتِي رَحَلَتْ عَلَيَّ دَرْبَ الْخُضُوعِ تُرَافِقُ التَّيِّبَاتَا
 وَأَلُومٌ فِينَا نَخْوَةٌ لَمْ تَنْفُضْ إِلَّا لَتَضْرِبَنَا عَلَيَّ أَبْدِينَا!!

راحت الأمة تقلد الغرب المتصر في هذه الجولة وظنت الأمة
 المسكينة أنها بتنحيتها للشريعة الربانية وتحكيمها لشريعة الغرب
 العلمانية!!

ظنت أنها قد ركبت قوارب النجاة وسط هذه الرياح الهوجاء
 والأمواج المتلاطمة، فخابت الأمة وخسرت وغرقت الأمة وأغرقت، ولا
 زالت الأمة إلى هذه الساعة تجني ثمار الخذلان واليأس والهزيمة النفسية
 بل والعسكرية والاقتصادية، والعلمية.

والعودة إلى شريعة رب البرية ليس نافلة ولا تطوعاً ولا اختياراً،
 فإن الحياة البشرية من خلق الله، ولن تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح
 من صنع الله، ولن تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يقدم لها من
 يد الله، ولا يمكن أبداً أن يتعدى هذا الدواء كتاب الله وسنة الحبيب
 رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
 بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

[النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا
 أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
 مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥١) وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ [النور: ٥١-٥٢]

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿ [الحجرات: ١-٢]

قال ابن القيم:

إذا كان مجرد رفع الصوت على النبي ﷺ يحبط العمل فما ظنك بمن قدم قوله وفعله وسياسته على قول الله وفعل رسول الله ﷺ؟
أسأل الله أن يرد الأمة إلى الشريعة الربانية رداً جميلاً إنه ولي ذلك والقادر عليه.

العرض الثاني: اليأس من إمكانية التغيير:

وهذا عرض خطير أصاب كثيراً من المسلمين في هذه الأيام ممن يرددون هذه الكلمات التي أصبحت تمثل معتقداً لدى غالب المسلمين فهم يرددون: «لا فائدة»، «أنت تؤذن في خرابة»، «أنت تنفخ في رماد»، «عش عصرك» «لا فائدة» «ربي أولادك» «تفرغ لتجارتك.. لأولادك.. لمكتبك.. لكركسيك... لوظيفتك!! هلك الناس!!

إلى آخر هذه الكلمات الخطيرة التي تزيد المهزوم هزيمة، والنشيط يأساً وخذلاًناً.

وقد شخص المصطفى ﷺ هذه النفسات المهزومة تشخيصاً دقيقاً في حديث صحيح رواه الإمام مسلم فقال ﷺ:

« إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ »^(١).

قال الإمام النووي: أهلكهم برفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر ومعناها: أشدهم هلاكاً، وأما رواية الفتح فمعناها: هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة.

واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الازدراء على الناس واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، وتقبيح أحوالهم؛ لأنه لا يعلم سر الله في خلقه، قالوا: فأما من قال ذلك تحزناً لما يرى في نفسه، وفي الناس من النقص في أمر الدين، فلا بأس عليه. ا.هـ.^(٢)

فهذا عرض خطير من أعراض الهزيمة النفسية ألا وهو اليأس من إمكانية التغيير لهذا الواقع المر الأليم الذي تحياه الأمة، ويريد كثير من أبنائها أن يفرضوا سياسة الأمر الواقع على النشطين ممن يتحركون لدين الله ودعوة الله جل وعلا.

العرض الثالث: السلبية القاتلة في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد ظللت سماء الأمة سحابة قائمة من هذه السلبية القاتلة. المسلم يرى أخاه المسلم على معصية، ويهز كتفيه ويمضى وكأن الأمر لا يعنيه.

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٦٢٣) في كتاب البر، باب النهي عن قول هلك الناس.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٤٢٤٨) ط. دار الحديث القاهرة.

وَلَمْ أَر فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

وفي الحديث الذي رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمر: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١).

وقال ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢).

وتغيير المنكر كما نعلم جميعاً يكون بالضوابط الشرعية المعلومة.

فلا عذر لك أمام الله عز وجل فنحن جميعاً ركاب سفينة واحدة فيها الصالح والطالح، وإن نجت السفينة نجا الجميع، وإن هلكت هلك الجميع كما في الصحيح من حديث النعمان قال ﷺ:

« مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا^(*) عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقُوا الْمَاءَ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرَقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؟ فَإِنْ تَرَكَوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلْكَوْا، وَهَلْكَوْا

(١) رواه البخاري (٣٦١ / ٦) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والترمذي رقم (٢٦٧١) في العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، وانظر شرح الحديث في «الفتح» حديث رقم (٣٤٦١).

(٢) رواه مسلم رقم (٤٩) في الإيمان، باب بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان، والترمذي رقم (٢١٧٣) في الفتن: باب ما جاء في تفسير المنكر باليد، وأبو داود رقم (١١٤٠) في صلاة العيدين: باب الخطبة يوم العيد رقم (٤٣٤٠) في الملاحم: باب الأمر، والنهي والنسائي (١١١/٨) في الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان، وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٠١٣) في الفتن، باب الأمر بالعروف والنهي عن المنكر.

(*) استهموا: الاستهام طلب السهم والنصيب، والمراد به: الاقتراع.

جميعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ* نَجُوا، وَنَجُوا جَمِيعًا^(١)

العرض الرابع: الدفاع عن الإسلام كمتهم في قفص الاتهام:

وهذا عرض خطير . . الغرب يثير من آن لآخر بل في كل آن شبهات خطيرة ضد الإسلام مثل: الإسلام دين إرهاب، الإسلام دين تطرف!! الإسلام ظلم المرأة!! البيت للمرأة المسلمة سجن مؤبد!!

الزوج سجان قاهر!! الأمومة تكاثر حيواني!! لماذا تزوج محمد تسعة
لماذا يتزوج الرجل في الإسلام أربعة؟! لماذا حرم الإسلام الخلوة بين
الرجل والمرأة؟! لماذا حرم الإسلام الاختلاط؟!

لماذا تقطع يد السارق؟! لماذا يرحم الزاني؟! إلخ . . . شبهات تثار!!
فينبري للرد على هذه الشبهات فريق من أهل العلم، ولكن بمنطق
أن الإسلام متهم في قفص الاتهام فتأتي الردود هزيلة، لأنها ردود
المهزوم نفسياً.

ومن الجفاء أن أذكر هذا العرض الخطير ولا أذكر بهذا الوجه المضيء
المنير لسلفنا الصالح يوم أن اعتزوا بهذا الدين وارتفعت به رؤوسهم
لتعانق كواكب الجوزاء.

أو إن شئت فقل لفضلهم وكرمهم تنزلت كواكب الجوزاء لتتوج هذه
الرؤوس التي وحدت الله جل وعلا.

فهذا هو ربعي بن عامر ذلكم البطل المسلم . . ضعيف البنية قوي

(*) أخذوا على أيديهم : يقال : أخذت على يد فلان : إذا منعتة عما يريد أن يفعله .

(١) أخرجه البخاري (٩٤/٥) في الشركة، باب هل يقرع في القسمة، وفي الشهادات : باب
القرعة في المشكلات، والترمذي رقم (٢١٧٤) في الفتن، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد
أو باللسان أو بالقلب .

الإيمان الذي ركب جواده، وانطلق لمقابلة قائد الفرس وكلكم يعلم القصة ولكنني أردت أن أنبه لأمر هام ألا وهو الاستعلاء . . العزة بهذا الدين . . . وأراد الحرس أن يدخل ربيعي على رستم وهو يمشي على قدميه فأبى ودخل على ظهر جواده، فسأله رستم قائد الجيوش الكسروية وقال: من أنتم وما الذي جاء بكم؟

فقال ربيعي: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد إن شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة . . ابتعثنا الله بديته لندعو الناس إليه فمن حال بيننا وبين دعوة الناس إلى دين الله قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله .

قال رستم: وما موعود الله؟!

قال ربيعي: الجنة لمن مات على ذلك والنصر لمن بقي منا .

فقال رستم: لقد سمعت مقالتك فهل لكم أن تؤجلوا هذا الأمر لتنظر فيه ولتنظروا؟! فقال ربيعي: كم أحب إليكم، يوم أو يومان؟ قال رستم: لا، بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا .

قال ربيعي: لا، قال رستم: ولم؟! قال: ما سن لنا رسول الله ﷺ أن نُؤجِّل الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث فانظر أمرك وأمرهم .

قال رستم: أسيدهم أنت؟ قال: لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أديانهم على أعلاهم .

عزة . . استعلاء . . الأمة أما الآن قد شربت كؤوس الذل والهوان ألواناً وأصنافاً وأشكالاً، هزمت وراحت لتركع ولتخضع في محراب الشرق الملحد تارة ومحراب الغرب الكافر تارة أخرى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

العرض الخامس: الخوف من إظهار الهوية الإسلامية:

وهذا عرض فتاك من أعراض الهزيمة النفسية، يخشى المسلم الآن في ظل هذه الظروف أن يظهر السنة، وأن يظهر هويته بعزة واستعلاء ويخشى أن يتهم بالإرهاب. يخشى أن يتهم بالتطرف، ويخشى أن يتهم بالجمود والرجعية والتخلف، وضيق الأفق، وعدم القدرة على الانفتاح العصري إلى آخر هذه التهم التي يغنى بطلانها عن إبطالها وفسادها عن إفسادها وكسادها عن إكسادها!!

بل تجرد المسلم الآن إلا من رحم الله إذا تعامل مع غير المسلمين أو سافر إلى بلاد الشرق والغرب يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون!! ويلبس كما يلبسون!! ويتكلم كما يتكلمون!! بل ويخشى أن يقول هذا حلال.. وهذا حرام. وهذه سنة وهذه بدعة وهذا حق وهذا باطل لماذا؟! لأنه مهزوم من داخله.. هزم نفسياً فلا يعتز بدينه ورحم الله من قال:

وَمِمَّا زَادَنِي فَخْرًا وَتَيْهًا وَكَذْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثَّرِيًّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي وَأَنْ أُرْسَلْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

ارفع رأسك واعتز بتوحيدك... أعلن هويتك بكل كرامة.. وأعلن السنة.. تمسك بهذا الدين فأنت لك وظيفة.. أنت لك غاية.. لا تعش كهؤلاء الذين قال الله في حقهم: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٣٩]

أحبتني في الله :

إن هذه الأعراض كانت نتيجة لأسباب عديدة وهذا هو عنصرنا

الثانى :

أسباب الهزيمة النفسية:

وأسباب الهزيمة النفسية في واقعنا عديدة عجيبة منها أسباب داخلية وأخرى خارجية، ويكل أسف اسمحوا لي أن أستهل الحديث بالأسباب الداخلية، لأنه بكل أسف يقلل غالب المسلمين من شأنها مع أن الله عز وجل قال :

﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران : ١٦٥]

الهزيمة من عند أنفسنا من الداخل

أولاً : الأسباب الداخلية:

السبب الأول: ضعف الإيمان عند غالب المسلمين.

أيها الحبيب : هذا بلا منازع أخطر سبب من أسباب الهزيمة النفسية والإيمان ليس قولاً باللسان فحسب، ولكن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.

الإيمان يزيد وينقص، ويقوى ويضعف، وهذا أصل من أصول أهل السنة، وقد جسد لنا الحبيب المصطفى ﷺ هذه الحالة تجسيداً دقيقاً في حديثه الصحيح الذي رواه أبو نعيم الديلمي وصححه الألباني من حديث علي - رضي الله عنه - مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ قَلْبٍ قَلْبٍ إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ فَبَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذَا عَلَتْهُ

سَحَابَةٌ فَأَظْلَمَ فَإِذَا تَجَلَّتْ عَنْهُ أَضَاءٌ» (١).

فكذلك القلب ، تعلق القلب من آن لآخر سحب مظلمة من آثار المعاصي والذنوب، فتضعف الإيمان في القلب، فإذا انقشعت تلك السحب ازداد الإيمان في القلب وأشرق القلب بأنوار التوحيد ازداد الإيمان وقوي صاحب هذا الإيمان .

أيها الحبيب! إذا أردت أن تتعرف على سر الإيمان إذا استقر وازداد في القلوب فبسرعة ارجع إلى التاريخ وعد إلى أصحاب الحبيب محمد ﷺ الذين حولهم الإيمان من رعاة للإبل والبقر، والغنم إلى سادة وقادة لجميع الأمم... انطلقوا بهذا الإيمان إلى أعظم الإمبراطوريات على هذه الأرض وأقاموا للإسلام دولة وسط صحراء تموج بالكفر موجاً في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئاً .

الإيمان هو الذي جعل هذا البدوي الذي لا ذكر له في أرض الجزيرة يرفع إلى عنان السماء يوم أن ترس بجسده على الحبيب المصطفى ﷺ من ظهره حائطاً صَدُّ منيع؛ لتتحطم عليه رماح وسيوف الأعداء ليحمي رسول الله ﷺ وهو يقول للحبيب ﷺ نحري دون نحرك يا رسول الله !!

الإيمان هو الذي جعل هذا العربي البدوي في أرض الجزيرة يقول للحبيب ﷺ: والله لا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن نقول لك يا رسول الله: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٨)، وصحيح الجامع (٥٦٨٢).

إنه الإيمان إنه الإيمان الذي يصنع الأعاجيب . فضعف الإيمان سبب خطير من أسباب الهزيمة النفسية عند غالب المسلمين في هذه الأيام أسأل الله أن يزيد إيماننا وإيمانكم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

السبب الثاني: ترك الجهاد في سبيل الله :

ترك الجهاد يساوى الذل والهوان والاستسلام، وهذا هو كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر أنه رضي الله عنهما قال: « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ وَأَخَذْتُمْ أَدْثَابَ الْبَقْرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالذَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ »^(١) إنه الذل . . . إنه الهوان بترك الجهاد.^(٢)

أيها الأحباب: إن أعداء الأمة يعلمون علم اليقين أن الأمة إذا رفعت من جديد راية الجهاد في سبيل الله لأذلت الشرق والغرب، ولذا هم يحرصون كل الحرص على أن تنحى الأمة عن الجهاد وروح الجهاد وعلى ألا تُربى هذه الأجيال على سِيرِ الجهادِ وسِيرِ الأبطالِ الفاتحين لتظل الأمة ذليلة مبعثرة كالغنم في الليلة الشاتية الممطرة. لا عز لهذه الأمة إلا إذا عادت من جديد لترفع راية الجهاد في سبيل الله العزيز الحميد ولترفع ذروة سنام هذا الدين .

(١) رواه أبو داود رقم (٣٤٦٢) في البيوع، باب في النهي عن العينة وصححه شيخنا الألباني في صحيحه رقم (١١)، والعينة: نوع من أنواع البيوع الربوية المحرمة.
(٢) راجع خطبة (سبعة ثمنها الجنة) الجزء الثالث من كتاب الخطب ص (٧٥) .

السبب الثالث: عدم المعرفة عند غالب المسلمين بطبيعة الطريق إن الطريق إلى الله ليس هينا أيها المسلمون . . . الطريق إلى الله ليس مفروشا بالورود والزهور، بل إن الطريق مفروش بالدماء والأشلاء، محفوف بالعنت وبالأذى والابتلاء، فيأتي كثير من الناس يردد كلمة الإيمان يحسبها سهلة هينة، يرددها في وقت الرخاء وهو يظن أن الكلمة هينة، فإذا ما تعرض على الطريق الأول محك عملي من الفتن والأذى انقلب على عقبيه وتخلي عن طريق الله جل وعلا.

فهو يردد كلمة التوحيد والعقيدة فإن ربحت فهو مع الراحين.

قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

فلا بد من معرفة طبيعة الطريق حتى لا تنزلق مع أول منعطف من المنعطفات على طريق المحن والفتن والابتلاءات قال تعالى:

﴿الْم ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ
 ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
 الْكَاذِبِينَ ﴿ [العنكبوت: ١-٣]

أخي الحبيب : لا بد أن تعي هذه الطبيعة حتى لا تنقلب على عقبيك فمن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا.

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

السبب الرابع: عدم المعرفة عند غالب المسلمين بالقدرات والإمكانيات والطاقات مع قلة الطموحات .

فهذا سبب خطير من أسباب الهزيمة النفسية دائماً نقلل من شأن الطاقات والقدرات والإمكانيات الهائلة التي من الله بها علينا، من أرض ومناخ وأموال وثروات وعنصر بشري هائل جبار فضلاً عن إسلام رضىه العزيز الغفار للبشرية كلها ديناً، ومع ذلك ترى من أبناء الأمة من يقلل من قدر هذه القدرات والطاقات والإمكانيات .

أيها المسلمون: إن أموال المسلمين هي التي تدير دفة السياسة العالمية في بنوك الشرق والغرب .

إن عقول المسلمين والعرب هي التي تخطط وتبني في بلاد الشرق والغرب اسألوا عن علماء الذرة . اسألوا عن علماء الجيولوجيا . !! اسألوا عن علماء الهندسة . !! اعقول إسلامية وعربية حُجِرَ عليها في بلادها فقبولت بقانون الروتين القاتل للإبداع، فرحلت فاستقبلت في بلاد الشرق والغرب استقبال الأبطال الفاتحين، ومنحوا الإمكانيات الهائلة للعمل والعطاء والإبداع فأبدعوا وهذا واقع نعيشه الآن .

لقد مررت على جسر رهيب جدا في نيويورك على المحيط لو نظرت إليه كاد عقلك أن يطيش وكانت المفاجأة حينما وصلنا إلى الشاطئ الآخر ووقف مرافقى فقال لي: هل تعلم أن الذي صمم هذا الذي ترى مهندس مسلم من باكستان؟؟ هذه عقولنا!!

أيها المسلمون: إن سلاحا واحدا كسلاح البترول استخدمه المسلمون والعرب استخداماً صحيحاً للحظات فانقلبت الموازين كلها .

إن عندنا قدرات وطاقات وإمكانيات وثروات هائلة، ولكننا لا نحسن

الاستخدام ونقل دائم من شأن هذه القدرات والطاقات في الوقت الذي لا نرى فيه طموحاً على الإطلاق... لا يمكن أبداً أن ترى شاباً يطمح الآن إلا في أن يتخرج في الجامعة، وأن يتزوج بفتاة جميلة، وأن يسكن سكناً مؤثماً تأثيثاً فاخراً، وإن من الله عليه بسيارة فالحمد لله وهكذا.

هل فكر في هذا الدين؟! هل فكر في أن يغير أمته؟ أبداً لا يفكر في هذا؟! ولا يطمح لهذا؟! ويظل المسلم غالباً لا ينظر إلا تحت قدميه!!

وَمَنْ يَتَّهَبُ صُعُودَ الْجِبَالِ يَعِشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحُفْرِ

وأختم هذه الأسباب حتى لا أطيل بهذا السبب الهام ألا وهو:

السبب الخامس: النظرة الضيقة للزمان والمكان.

شبابنا الآن ينظرون للمكان والزمان نظرة ضيقة فتصيبهم هذه النظرة باليأس والقنوط كيف؟ كثرت الفتن!! قل الملتزمون!! كثرت المتبرجات!! الكتاتيب توقفت!! إذن بعد فترة لن نرى حافظاً للقرآن!!

هذه النظرة الضيقة للمكان الذي يعيش فيه تصيبه باليأس والقنوط فيهزم هزيمة نفسية قاتلة فيشل عقله وفكره، بل وحركته إن كان يستطيع أن يفعل شيئاً، يتوقف تماماً عن فعل أي شيء مع أنه لو خرج بها من قريته أو مدينته أو دولته ونظر نظرة أوسع، ونظرة أشمل إلى المكان ليعلم يقينا أن الأرض ما خلت ولن تخلو أبداً من أبناء الطائفة المنصورة التي لا يخلو منها زمان ولا مكان بشهادة الصادق سيد ولد عدنان... كن واسع النظرة، كن شمولي النظرة كذلك، لا تنظر إلى الزمان نظرة ضيقة فشبابنا الآن يقولون: ضاع الدين.. هزمت الأمة.. إن الإسلام يتعرض لأشد الهجمات.. بل إن المسلمين يتعرضون لأشد الضربات على أيدي الأعداء!! يقولون إذن لا فائدة!! إلى آخر هذه

الكلمات مع أنه لو نظر نظرة واسعة للزمان لعلم يقينا أن الأمة قد نكبت نكبات أشد ومع ذلك غير الله الواقع وبدل الله الحال .

أخي الحبيب: إني أقول لك بلغة يحدوها الأمل وبقلب ملاءه اليقين إن هذا الواقع سيتغير وإن هذا الحال سيتبدل .

يا مسلمون: لقد هجم التتار على المسلمين فملئت شوارع بغداد بأكوام اللحوم والأشلاء، وانطلقت الدماء في الشوارع كالأنهار بلا مبالغة، تعفنت الجثث من كثرة اللحوم والأشلاء، بل ولم تُصلِّ صلاة جماعة في مسجد واحد من مساجد بغداد أربعين يوما إلى هذا الحد؟! نعم أغلقت المساجد!! .

كان المسلم يخشى أن يخرج إلى المسجد خوفا من القتل!!
كان المسلم إذا رأى التتاري، يقف في مكانه لا يتحرك خطوة حتى يأتي المجرم ليقتله!! انظر إلى حجم الهزيمة من الداخل .
ومع ذلك سلب الله على التتار من هزمهم شر هزيمة وغير الله الحال وبدل الله الواقع .

الصليبيون هجموا على المسلمين ووضعوا الصلبان على كل حوائط المسجد الأقصى . . بل ومنعت الصلاة في المسجد الأقصى واحدا وتسعين عاما . . تدبر وتذكر التاريخ، ومع ذلك قيض الله للأقصى من يطهره، وبدل الله الحال وغير الله الواقع .

وإن كان الله قد قيض للأقصى من يطهره فإننا على يقين جازم أن الذي قيض للأقصى من طهره حي لا يموت .

فَلَمَّا عَرَفَ التَّارِيخُ أَوْسًا وَخَزْرَجًا فَلَلَّهُ أَوْسٌ قَادِمُونَ وَخَزْرَجٌ
وَأَنَّ كُنُوزَ الْغَيْبِ تُفْضِي طَلَانِعًا حَرَّةً، رَغَمَ الْمَكَائِدِ تُخْرَجُ!

أيها المسلمون! وهجم القرامطة على المسلمين في بيت الله الحرام . . فقتلوا المسلمين في الكعبة وهم يلبسون ملابس الإحرام، وامتأ بيت الله بالدماء والأشلاء وانطلق المجرم أبو طاهر القرمطي قائد القرامطة فانتزع الحجر الأسود من الكعبة المشرفة وصرخ في جوف بيت الله ورفع رأسه إلى السماء وقال: أين الطير الأبايل؟! أين الحجارة من سجيل!؟

إنها فتنة تعصف بالقلوب يا عباد الله، وظل الحجر الأسود بعيدا عن الكعبة المطهرة ما يزيد على عشرين عاما.

ومع ذلك غير الله الحال وبدل الله الواقع

فيا أيها المسلمون! لا تيأسوا ولا تقنطوا، ولا تنظروا للزمان نظرة ضيقة، ولا تنظروا للمكان نظرة ضيقة فهذا من أخطر أسباب الهزيمة النفسية الداخلية.

أما الأسباب الخارجية للهزيمة النفسية: فتراها بالجملة حتى لا نطيل تتمثل في السبب الخطير « التضخيم والتهويل من قوة أعداء الإسلام » وترّ يعزف عليه بالليل والنهار بقصد أو بغير قصد . . . قوة الأعداء . . القنابل النووية . . القنابل الجرثومية ، . . الصواريخ . . الطائرات والدبابات . . العلم والتكنولوجيا.

لا نود أن ننفي بما وصل إليه الغرب في هذا الجانب، ولكننا نود أن نقول ينبغي أن نعلم يقينا أن الله عز وجل ما أمر المسلمين بالإعداد إلا على قدر الاستطاعة فقال سبحانه:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]

وعبرَ الله جل وعلا بالقوة بصيغة التنكير لِيُبَيِّنَ للمسلمون عن القوة التي تناسب كل عصر ومصر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فما عليك إلا أن تبذل أقصى ما في استطاعتك فإن علم الله منك أنك قد عملت أقصى ما في طاقتك وما في وسعك، فاصبر واطمنن وكُلِّ النتائج إلى من بيده الكون كله .

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

والله لو علم المسلمون قدر قوة الله وازداد إيمانهم وثقتهم بالله، لغيرَ الله الحال ولبدلَ الله الواقع لأن الله عز وجل لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

فلنعد إلى الله ابتداءً ولنحقق الإيمان؛ لأن الله قد علق النصره به ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] فلا ينبغي أن نضخم من قوة الأعداء في الوقت الذي يجب علينا فيه أن نبذل أقصى ما في استطاعتنا لإعداد القوة، وقد شاء الله أن يرينا كيف أرغم الفيتاميون أمريكا ووضعوا أنفها في التراب؟!!!

وكيف وضع الصوماليون الحفاة العراة الجياع أنف أمريكا في التراب؟!!! يوم أن جرَّ شباب الصومال بعض الجنود الأمريكيين في الشوارع والطرقات، ونقلت وكالات الأنباء هذه الصورة فاضطرت أمريكا أن تسحب جيوشها من الصومال في الحال .

كيف وضع المسلمون في البوسنة أنف لا أقول الصرب فحسب، وإنما أقول كيف وضع المسلمون في البوسنة أنف تأمر عالمي حاقد يهودي صليبي علماني رهيب!!!؟

كل المراقبين قرروا أن الحرب في البوسنة لن تستمر أكثر من أسبوع وصمد المسلمون في البوسنة!!

كل المراقبين قرروا أن الحرب في الشيشان لن تستمر أكثر من ثلاثة أيام وصمم المسلمون في الشيشان ومرغوا أنف الدب الروسي الغبي في التراب.

والأفغان يوم أن صدقوا الله ورفعوا الراية للجهاد في سبيل الله وضعوا أنف الدب الروسي في التراب، ويوم أن رفعوا الراية للعصبية المنتنة سلط الله بعضهم على بعض لنعي سنة ربانية لا ينبغي أن نتجاهلها أبدا.

أيها الأحبة: يجب علينا أن نعي هذه الحقيقة، وألا نبالغ، لأن هذه المبالغة تزيد المهزوم هزيمة، وتزيد المنتصر على نفسه خذلاناً وتكاسلاً وأكتفي بهذا القدر لأعرج سريعاً على العنصر الأخير وذلك بعد جلسة الاستراحة وأقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ﷺ اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام

« فما هو العلاج »

العلاج في نقاط سريعة لا تحتاج إلى تفصيل

أولاً: معرفة أسباب الداء فإن تشخيص الداء نصف الدواء

ثانياً: العودة الجادة الصادقة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وتربية أفراد الأمة على العقيدة الصحيحة بشمولها وكمالها ولا بد أن نعي أن العقيدة الآن هي التي تحرك العالم كله، فالحرب في الشيشان حرب عقديّة، والحرب في الصومال حرب عقديّة . . الحرب في فلسطين حرب عقديّة . . والحرب في كشمير حرب عقديّة . والحرب في البوسنة حرب عقديّة .

فلا بد أن نربي الجيل على العقيدة الصحيحة بشمولها وكمالها.

ثالثاً: التخلص من الوهن الذي حذر منه النبي ﷺ .

كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث ثوبان أن

النبي ﷺ قال: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، قَالُوا: أَوْ مِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كَلَّا أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ غُشَاءٌ كَغُشَاءِ السَّيْلِ، وَلْيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَنْزِعَ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَلِيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ»، قيل: وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١)

رابعاً: تربية شباب الأمة على روح الجهاد في سبيل الله

خامساً: العودة الصحيحة إلى التاريخ وسير السلف الصالح لا لمجرد الثقافة الذهنية الباردة، وإنما لأخذ العبرة من ناحية ولتدفق في عروق الأجيال دماء الغيرة والعزة والكرامة من ناحية أخرى.

وأخيراً: الاعتزاز المطلق بهذا الدين وفي نصرته رب العالمين.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾

[الأنفال: ٣٦]

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٩٧) في الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام وفي سننه أبو عبد السلام صالح بن رستم الهاشمي، وهو مجهول لكن قد رواه أحمد (٢٧٨/٥) من طريق آخر بسند قوي، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (٩٥٦)، وصحيح الجامع (٨١٨٣).

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]

قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

[الإسراء: ٨١]

أسأل الله عز وجل أن يتقبل منا وإياكم صالح الأعمال، وأن يرزقنا وإياكم العز والاستعلاء بالإيمان بهذا الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

... الدعاء.



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا
هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾
[الاحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد
ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،
وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد: فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة ، وزكى الله هذه
الأنفس ، وشرح الله هذه الصدور ، وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم
من الجنة منزلاً، وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت
المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة

المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه .
أحبتني في الله :

« صفحات سود من تاريخ يهود »

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك
وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في
العناصر التالية .

أولاً: اليهود ومراحل الصراع .

ثانياً: أسئلة مريرة .

وأخيراً: ما السبيل؟

فأعيروني القلوب والأسماع جيداً فإن هذا الموضوع في هذه الأيام من
الأهمية بمكان .

أولاً: اليهود ومراحل الصراع :

أيها الأحبة: إن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم قدم الحياة
على ظهر هذه الأرض، والأيام دُول كما قال الله جل وعلا:

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ، ولا شك أننا

نعيش مرحلة من مراحل الدولة للباطل وأهله، يوم أن انشغل عن الحق
أهله حيث تمكن أخس وأحققر وأذل أمم الأرض من أبناء يهود من
إقامة دولتهم اللعينة الحقيرة على الثرى الطاهر في الأرض المباركة،
وسيطروا على مسرى الحبيب محمد ﷺ وحركوا منبر صلاح الدين، بل
وهم يقومون الآن بحفريات خطيرة في المسجد الأقصى لهدمه وتدميره
وإقامة ما يسمونه بالهيكل المزعوم .

ومنذ أسبوعين فقط صرح أكبر حاخاماتهم في القدس بأنه لا بد من
هدم المسجد الأقصى لإقامة ما يسمونه بالهيكل المزعوم ثم قال: إن
العرب سيغضبون أول الأمر لكن سيصبح الأمر عادياً بعد ذلك .

وهذا هو رئيس وزراء إسرائيل الجديد يصرح بمنتهى الصراحة

والوضوح ويقول: لامجال الآن للحديث عن تقسيم القدس فإن القدس عاصمة موحدة لإسرائيل .

يعلن بذلك الهوية اليهودية بمنتهى الصراحة والوضوح في الوقت الذي لازال فيه الكثير ممن يتسبون إلى هذا الدين يجهلون هذه الطبيعة اليهودية أو يتجاهلون لها على حد سواء وها أنذا اليوم أريد أن أبين للجميع من هم اليهود فأعيروني القلوب والأسماع جيداً .

أيها المسلمون: اليهود منذ البداية هم نسل الأسباط الاثنا عشر ليوסף وإخوته نزحوا إلى مصر بدعوة من نبي الله يوسف على نينا وعليه الصلاة والسلام ، فعزلوا أنفسهم عن المصريين وأبوا أن يندمجوا مع الشعب المصري على اعتبار أنهم من نسل الأنبياء فتكاثر نسلهم وهم يتواصون فيما بينهم بعدم الاختلاط، وبالغزلة ليقى لكل سبط من الأسباط نسله المتميز المعروف فكرههم الشعب المصري ونبذهم، وزادت الهوة بين الشعب المصري وبين أبناء اليهود يوماً بعد يوم حتى سامهم فرعون مصر سوء العذاب .

ولما أرسل الله نبيه موسى عليه السلام إلى فرعون بقوله سبحانه:

﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزْكَىٰ ﴿١٨﴾

وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿ [التازعات: ١٧-١٩]

رأى اليهود من بني إسرائيل في موسى حبل النجاة فأمن به بنو إسرائيل لعل الله أن ينجيهم من فرعون وملئه فنجاهم الله جل وعلا وشق لهم طريقاً في البحر يبسا وأغرق فرعون وجنوده وامتن الله عليهم بهذه النعمة فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُم وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿ [البقرة: ٤٩: ٥٠]

ومع ذلك لما تركهم نبي الله موسى كفروا بالله سبحانه، وتمردوا على نبي الله هارون، وعبدوا العجل الذهبي من دون الله العلي.
فلما انطلق نبي الله هارون ليقول لهم ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿ [طه : ٩٠ : ٩١]

فلما رجع إليهم نبي الله موسى ردوا عليه باستعلاء واستكبار قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة : ٥٥] ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون، ولعلهم يتوبون إلى الله جل وعلا ولكنهم عاندوا وأعرضوا وازدادوا كفراً فرفع الله جل وعلا فوق رؤوسهم جبل الطور كأنه ظلة تهديداً ووعيداً فارتعدت قلوبهم واضطربت نفوسهم وأعطوا العهود والمواثيق من جديد ولكنهم سرعان ما نقضوا العهود.

أيها المسلمون : هذه طبيعة اليهود وجبتهم التي لا تفارقهم إلى قيام الساعة نقضوا العهد مع الله جل وعلا ونقضوا العهد مع نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام واعتدوا يوم السبت فعاقبهم الله عز وجل فمسخهم قرده وخنزير كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿ [البقرة : ٦٥ : ٦٦]

وقال سبحانه في سورة المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة : ٦٠]

ثم أمرهم الله أن يدخلوا الأرض المقدسة مع نبي الله موسى فكذبوا وعاندوا وأعرضوا وأبوا ورفضوا أمر الله عز وجل، فحكم الله عليهم

بالتيه في الأرض أربعين سنة.

وبعد هذه المدة الطويلة من الله عليهم فأدخلهم الأرض المقدسة ولكن سرعان ما نقضوا العهد مرة أخرى مع الله جل وعلا فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم.

فاليهود لا عهد لهم ولا ذمة، ونقضوا العهد مع الله، ونقضوا العهد مع نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ثم توات عليهم الأنبياء ترا بعد نبي الله موسى فكذبوا فريقاً من الأنبياء، وقتلوا فريقاً آخر كما قال الله جل وعلا: ﴿أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿ [البقرة: ٨٧-٨٨]

كما أرسل الله عز وجل إليهم بعد ذلك نبيه عيسى عليه السلام فاتهموه منذ اللحظة الأولى أنه ولد زنا وأجمعوا على قتله بل أعلنوا ذلك في صراحة ووقاحة كما قال الله عز وجل حكاية عنهم في سورة النساء: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴿ [النساء: ١٥٧]

ولم يكتفوا بما أعلنوه مع نبي الله عيسى في حياته معهم بل دونوا افتراءاتهم عليه لأجيالهم المتلاحقة في كتابهم الخبيث الموسوم بالتلمود.

وأكتفي بذكر فقرة واحدة من هذا الكتاب الفاجر الجنسي الوقح في حق نبي الله عيسى تقول هذه الفقرة: «يسوع النصارى في لجج الجحيم بين الزفت والقطران والنار وأمه مريم قد أتت به من الزنا» وأعلن اليهود الحرب على التوحيد الذي جاء به نبي الله عيسى، وأعلنوا الحرب على الموحدين من أتباع عيسى - عليه السلام - فسلط الله عليهم من لا

يرحمهم فسامهم الرومان سوء العذاب، ومزقهم الرومان شر ممزق فإذا هم أشتات وشرازم مبعثرة لا يخلو منهم مكان. ساحوا في الأرض بعد ضربات الرومان المتلاحقة. ومن الأرض المباركة التي ابتليت بشرزمة قدرة عفنة من هذه الشرازم الممزقة المدينة الطيبة مدينة رسول الله ﷺ «اليهود في المدينة»:

انطلق اليهود إلى المدينة وهناك أعلنوا أن الله عز وجل قد وعدهم في التوراة أنه سيبعث نبيا، وبينت التوراة صفة النبي ﷺ، بل وبينت الأرض التي سيبعث فيها هذا النبي، واستعلى اليهود بمبعثه بل تعالوا بذلك على الأوس والخزرج، وانتظروا مبعث النبي ﷺ ظنا منهم أنه سيبعث منهم فهم شعب الله المختار كما يزعمون. وظلوا يتربصون هذه البعثة، ليجمع لهم النبي المنتظر الملك من جديد فبعث الله نبيه المصطفى ﷺ من العرب لا من اليهود، وقام النبي ﷺ يدعو الأمة كافة إلى لا إله إلا الله ومن هذه اللحظة كفر اليهود برسول الله ﷺ وأعلنوا الحرب والعداء لدعوته ورسالته.

قال الله جل وعلا:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]

كفروا برسول الله ﷺ بل لما ذهب عبد الله بن سلام حبر اليهود

إلى النبي ﷺ ونظر في وجهه وعلم أن وجه النبي ﷺ ليس بوجه كذاب آمن بالنبي ﷺ وقال يا رسول الله! اجمع بطون اليهود واسألهم عني، فجمع النبي ﷺ اليهود وقال:

« مَاذَا تَقُولُونَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ؟ »

قالوا: هو سيدنا وابن سيدنا.

فقام عبد الله بن سلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقام اليهود على لسان رجل واحد وقالوا: هو سفيها وابن سفيها!!

فاليهود متخصصون في نقض العهود والمواثيق، ولا يستحي اليهودي من تغيير الميثاق أو نقض العهد.

لا بد من معرفة هذه الطبيعة اليهودية الخبيثة الماكرة.

وهكذا أيها الأحبة الكرام: هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة؛ ليقم للإسلام دولة وسط الصحراء تروج بالكفر.

وهنا انتقل اليهود من الحرب السرية للنبي ﷺ ولدعوته إلى الحرب العلنية السافرة، فأعلنوا العداء للإسلام بل وعلى رسول الإسلام ﷺ.

ففي أول معركة كبرى من معارك الإسلام مع الشرك في غزوة بدر الكبرى نصر الله المسلمين نصراً مؤزراً وأعز الله جند التوحيد، وهزم الله جند الشرك وتبعثر الجيش المشرك وسط الصحراء كتبعثر الفئران.

وهنا غلت مراحل الحقد والغل والحسد في قلوب اليهود في المدينة فقاموا بحملة إعلامية وهذه طبيعتهم وهذا أسلوبهم، قاموا بحملة إعلامية خبيثة حقيرة للنيل والتقليل والتحقير من النصر الإسلامي في غزوة بدر.

بل وقاموا ليشيروا الفتن والقلاقل وليحرضوا المشركين في مكة للثأر

من محمد ﷺ وأصحابه.

لما سمع النبي ﷺ بمكر اليهود، انطلق إليهم وجمعهم في سوق بني قينقاع، وقال لهم المصطفى ﷺ: « يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا » قالوا: يا محمد: لا يغرنك من نفسك أنك قاتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وإنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتٌّ لَّهُمْ وَأَسَدٌ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فِي الْبُغْيَانِ ﴾ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَعْتِنِ الثَّقَاتِ فَيَتَّقِ اللَّهَ وَأَخْرَى كَافِرًا يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿ [آل عمران: ١٢: ١٣] (١)

وقام النبي ﷺ وتركهم وما لبث اليهود أن قاموا بمؤامرة حقيرة يوم أن جلست مسلمة أئمة - تربت في مدرسة النبي ﷺ - إلى صائغ يهودي في المدينة؛ لتشتري منه ذهباً، فراود اليهود المجرمون المسلمة العفيفة أن تكشف عن وجهها فأبت أن تكشف لليهود عن وجهها، فتسلل الصائغ اليهودي الوقح إلى المسلمة الأئمة فعقد طرف ثوبها في ظهرها، فلما قامت المسلمة انكشفت سواتها، فاليهود متخصصون في كشف السوات والعورات!! فلما انكشفت المسلمة ضحك اليهود وصرخت المرأة، وسمع هذه الصرخة مسلم أبيّ فقام إلى هذا اليهودي فقتله.

شتان شتان بين هذه المسلمة الأئمة التي أبت أن تكشف لليهودي عن وجهها وبين المسلمات اللاتي ارتمين في أحضان الموضات العالمية في هوليدو!! وشتان شتان بين رجل أبيّ سمع صراخ مسلمة فانقض على اليهودي المجرم فقتله وبين رجال رأين أعراض أخواتهن تنتهك ولكن ﴿وَمَا أَنْتَ

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٠١) في الحجاج، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة؟

وأخرجه الطبري رقم (٦٦٦٧).

بِمُسْمِعٍ مِّنَ فِي الْقُبُورِ ﴿١٠٩﴾ إنا لله وإنا إليه راجعون

وهكذا أيها الأحبة: انقض المسلم على اليهودي فقتله، فانقض اليهود على المسلم فقتلوه، فقام الحبيب المصطفى ﷺ وقام الصادقون من الرجال الأطهار وحاصروا اليهود المجرمين على حكم النبي ﷺ فغنم المسلمون أموال اليهود وأخرجوهم إلى أزرعات الشام.

وفي السنة الرابعة دبر يهود بنو النضير مؤامرة حقيرة لاغتيال البشير النذير محمد بن عبد الله ﷺ يوم أن انطلق إليهم النبي ﷺ لتحصيل الدية، وجلس النبي ﷺ إلى جوار حائط من جدران اليهود وخلا اليهود المجرمون ببعضهم البعض وقالوا لن نجد الرجل في مثل هذه الحالة فمن منكم يقوم إلى صخرة كبيرة من فوق سطح هذه الدار ليلقيها على رأس الرجل ليريحنا منه.

فانبعث أشقى القوم عمرو بن جحاش بن كعب وقال: أنا لها، فقام عمرو بن جحاش وصعد إلى سطح هذه الدار؛ ليلقيها على رأس سيد الرجال ﷺ ولكن: ﴿يَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] فأطلع الله نبيه على ما أرادوا فقام النبي ﷺ مسرعاً في الحال، وقام ومعه أصحابه رضوان الله عليهم.

فلما أخبرهم بالخبر، قالوا: يا رسول الله والله لا بد من إجلاء هؤلاء، فانطلق النبي ﷺ مع أصحابه فحاصروا يهود بنى النضير فأخذاهم الله وقذف في قلوبهم الرعب وأجلاهم رسول الله ﷺ وفيهم أنزل الله جل وعلا سورة الحشر بأسرها، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ
وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿الحشر: ٢﴾

وبعد ذلك أيها الأحبة لعب يهود بني قريظة دوراً قديراً حقيراً داخل
المدينة فلقد حاصر الأحزاب المدينة من كل ناحية، وفي وقت حرج
خطير نقض يهود بني قريظة العهد فشكّلوا تحدياً خطيراً للجبهة الداخلية
في المدينة، فلما علم المسلمون بذلك زلزلوا زلزالاً عظيماً حتى قام
النبي ﷺ يرفع يديه إلى الله ويتضرع إليه بهذا الدعاء الحار الذي ورد
في الصحيحين من حديث عبدالله بن أبي أوفى قام النبي ﷺ يلجأ إلى
الله ويقول: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ اللَّهُمَّ
اهْزِمَهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»^(١).

واستجاب الله دعاء حبيبه المصطفى فأرسل الله جنوداً من عنده
ويالها من قوة لا يعرف المسلمون قدرها .

وما يعلم جنود ربك إلا هو . . . لكن المسلمون يخططون
ويضعون الخطط السنوية والخمسية، ويركعون للشرق والغرب، ولا
يضعون ضمن خطتهم أبداً قوة الملك جلّ جلاله .

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [الدثر: ٣١]

أرسل الله على الأحزاب جنداً من الريح فاقتلعت خيامهم وكفأت
قدورهم، وأنزل الله الملائكة فألقت الرعب في قلوب الأحزاب فتبعثوا

(١) رواه البخاري رقم (٢٩٣٣) في الجهاد، باب الدعاء على المشركين، ومسلم رقم
(١٧٤٢) في الجهاد، باب كراهية غني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، والترمذي
(١٦٧٨).

في الصحراء كتبعثر الفئران .

ونصر الله عبده وأعز الله جنده وهزم الله الأحزاب وحده .

وانتهت المؤامرة ونزل جبريل على النبي ﷺ وهو يلبس لباس الحرب

وقال جبريل عليه السلام: يا رسول الله أوقد وضعت لباس الحرب؟!

فوالله إن الملائكة لم تضع لباس الحرب بعد فاخرج إليهم قال:

«إلى أين؟» قال: ها هنا، وأشار إلى قريظة^(١)

فقام المصطفى ﷺ وأرسل منادياً ينادي في الناس: «مَنْ كَانَ سَامِعًا

مُطِيعًا فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»^(٢)

فانطلق الصادقون المؤمنون من أصحاب سيد النبيين والمرسلين ﷺ

إلى بني قريظة فحاصروا يهود بني قريظة حصاراً طويلاً .

وأخيراً نزل اليهود والمجرمون على حكم سعد بن معاذ الذي حكم

فيهم بقتل الرجال، وسبي الذرية، وتقسيم الأموال، فلما حكم فيهم

سعد بن معاذ بذلك التفت إليه المصطفى ﷺ وقال: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ

بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»^(٣) وهكذا أخزى الله يهود بني قريظة .

وفي السنة السابعة انطلق النبي ﷺ إلى يهود خيبر المجرمين الذين

تحصنوا بحصونهم المنيعه المنيفة إلا أن الله عز وجل قد فتح الحصون

على يد أسد الله الغالب على بن أبي طالب الذي قال عنه النبي ﷺ

يومها :

(١) أخرجه البخاري رقم (٤١١٧) في المغازي .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤١١٩) في المغازي، ومسلم رقم (١٧٧٠) في الجهاد والسير .

(٣) رواه البخاري رقم (٤١٢١) في المغازي .

«لَأَعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها، وقال: فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يُعطاهَا، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كُلُّهُمْ يَرَجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فقال: «أَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»، فقيل: هو يا رسول الله يشتكى عينه، قال: فأرسلوا إليه، فَأَتَى بِهِ فَبَصَّقَ فِي عَيْنِهِ، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية»^(١).

وانطلق علي بن أبي طالب ففتح الله على يديه الحصون ويومها هتف الحبيب ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْرٌ.. اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْرٌ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»^(٢).

قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ» [الأنفال: ٦٢] ودبر اليهود مؤامرة حقيرة لسم النبي ﷺ في خيبر إلا أن الله عز وجل قد نَجَّى حَبِيْبِهِ الْمُصْطَفَى ﷺ.

وهكذا أجلى الله عز وجل اليهود من المدينة.

ولم ينته العنكبوت اليهودي الوقح عن نسج خيوطه الدقيقة وجبك

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥/٧)، ومسلم رقم (١٨٠٧)، وأحمد (٥٢ / ٤) من حديث سلمة بن الأكوع، وأخرجه البخاري (٣٦٦ / ٧) في المغازي باب غزوة خيبر، وفي الجهاد فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٩ / ٧) في المغازي، باب غزوة خيبر، وفي صلاة الخوف: باب التكبير والغلس بالصبح، ومسلم رقم (١٣٦٥) في الجهاد، باب غزوة خيبر، ومالك (٢ / ٤٦٨)، والترمذي رقم (١٥٥٠)، والنسائي (١ / ٢٧٢)، وأحمد (٣ / ١٠٢ / ١٦١)، ١٦٤، ١٦٨، ٢٠٦، ٢٤٦، ٢٦٣.

مؤامرتة الرهيبة التي بلغت أوجها في العصر الحديث بإخراج هذه الغدة السرطانية الخبيثة وبوضع هذا المولود اللقيط الذي يُعرف الآن بدولة إسرائيل فوق الثرى الطاهر للأرض المباركة على مسرى الحبيب محمد ﷺ .

وُضعت هذه الدولة غصة في قلب العالم الإسلامي بعد أن نجح اليهود في القضاء على الخلافة الإسلامية، والقضاء على السلطان البطل عبد الحميد - طيب الله ثراه - ذلكم الرجل الذي شوهدت الصهيونية الحاقدة صورته وانطلقت البيغاوات العجماء لتحاكي ما يمليه الأسياد من الشرق والغرب دون وعي أو إدراك .

هذا البطل العظيم الذي حاول معه اليهود بكل الوسائل والسبل أن يبيع لهم أرض فلسطين فأبى وبأوا بالفشل الذريع .

أرسل اليهود للسلطان عبد الحميد أول الأمر اليهودي الماسوني الثري «قره صو» فذهب إليه وقال للسلطان: أنا مندوب إلى جلالتك عن الجمعية الماسونية وجئت لأرجو جلالتك أن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية (انظر إلى وسائل اليهود التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان) إلى خزيتكم الخاصة ولتقبل مائة مليون ليرة ذهبية لخزينة الدولة على أن تمنحوا لنا بعض الامتيازات في دولة فلسطين، فاستشاط السلطان غضباً ونظر إلى الجالسين معه في مجلسه وقال لهم :

أو ما كنتم تعرفون ماذا يريد هذا الخنزير !!؟

والتفت إليه بقوة وقال: اخرج عن وجهي أيها السافل .

ولكن اليهود لا يَمَلُّون، فقرر أن يذهب إلى السلطان بنفسه مؤسس الصهيونية العالمية الأولى (تيودر هيرتزل) وعرض عليه أن يبيع له فلسطين

بأى ثمن فرد عليه السلطان ردًا عجيبًا وقال: إن هذه الأرض امتلكها المسلمون بدمائهم وهي لا تباع إلا بنفس الثمن . . . الله أكبر . . . ثم قال السلطان البطل: انصحوا الدكتور هيرتزل بالألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فإنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبرٍ واحدٍ من هذه الأرض فهي ليست ملكي، ولكنها ملك شعبي الذي ضحى في سبيلها، وروى ترابها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا مزقت إمبراطوريتي يوماً فإنهم يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني أهون عليّ من أن أرى فلسطين وقد بُترت من إمبراطوريتي فإنني لا أستطيع أن أوافق على تشريح أجسادنا ونحن لا زلنا على قيد الحياة .

هذا هو السلطان البطل الذي شوها صورته ودرّسوا صورته المقلوبة لأبنائنا وبناتنا ولا زالت .

إلا إنهم ما ملّوا واستطاعوا أن يحققوا أغراضهم من خلال إثارة النعرات القومية وهذا خطر عظيم أن تثار النعرات داخل البلاد .

انظروا إلى الواقع على أرض أفغانستان اليوم . . . ما الذي دمّر قوة أفغانستان؟! إنها النعرات القومية . هذه طائفة كذا وهذه قبيلة كذا .

إن النعرات القومية من أعظم الأخطار التي تبدد القوى .

استطاع اليهود عن طريق الجمعية الماسونية اليهودية العالمية التي تعرف (بجمعية الاتحاد والترقي) استطاعت أن تثير النعرات القومية لعزل السلطان البطل عبد الحميد لإخلاء الطريق وتلميع اليهودي العميل الخائن كمال أتاتورك - لا طيب الله ثراه - الذي مثل رأس الأفعى

اليهودية في القضاء على الخلافة الإسلامية .

ووقع هذا المجرم العميل الخائن معاهدة الذل والعار (معاهدة لوزان) وقضى بذلك على الخلافة الإسلامية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهكذا أيها الأحبة الكرام انقضت الخلافة، ولُمِّعَ هذا اليهودي على أنه بطل قومي .

وفي الثامن من نوفمبر سنة ألف وتسعمائة وسبعة عشر صدر (وعد بلفور) بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وفي عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين استطاع اليهود بخيانة مفضوحة أن يحتلوا ما يزيد على ثمانية وسبعون في المائة من أرض فلسطين .

وهكذا أسس لإسرائيل دولة لليهود في قلب العالم الإسلامي، ساعدهم في ذلك الشرق الملحد والغرب الكافر، والأنظمة العربية الخائنة وأسست هذه الدولة وأفرزت هذه الغدة السرطانية في قلب العالم الإسلامي .

هؤلاء هم اليهود!! هؤلاء هم اليهود والله ما وعدهم (استالين) بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين إلا ليتخلص من شرهم!!

وما بحث لهم هتلر عن صندوق قمامة عالمية إلا ليظهر ألمانيا من قدرهم!! وأمريكا تعاني منهم اليوم ما تعاني!! ولكنها مغلوبة على أمرها فاللوبي الصهيوني يخنق أنفاسها تماماً!!

هؤلاء هم اليهود الذين أفسدوا العالم ودمروه .

فاليهودي (كارل ماركس) كان وراء الشيوعية الملحدة التي أفسدت فطرة الإنسان .

واليهودي (دور كايم) كان وراء علم الاجتماع الذي قَوَّض الأسرة .
واليهودي (فرويد) كان وراء علم النفس الذي أسس بنيانه على
الجنس الفاضح .

واليهودي (سارتر) كان وراء الوجودية الإباحية الملحدة .

هؤلاء هم اليهود الذين فضحهم القرآن وعرّى نفسياتهم الخبيثة
تعرية واضحة وعدّد القرآن صفاتهم الدنيئة، والقرآن لا زال بين أيدينا
يتلى . . . لكن أين من يتدبر القرآن؟! لقد وضعت الأقفال على
القلوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله علام الغيوب .

وها أنذا أعدد لك أيها الحبيب بعض الصفات التي ذكرها القرآن في
حق اليهود: اليهود متخصصون في الكذب على الله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]

اليهود اتهموا الله باليخل !!: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ
أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]
اليهود اتهموا الله بالفقر: ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ
مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ ﴾ [آل عمران: ١٨١]

اليهود متخصصون في تكذيب الأنبياء وقتلهم :

قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]
﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

اليهود متخصصون في أكل الربا والسحت والحرام:

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿ [المائدة: ٦٢-٦٣]

اليهود متخصصون في نقض العهود والمواثيق ويسعون في الأرض فساداً .

اليهود أحرص الناس على حياة وبأى ثمن .

قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِحَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٩٦]

اليهود متخصصون في كتمان الحق والتليس والتضليل .

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦]

اليهود أجبن خلق الله ولو أظهروا لنا الشجاعة والوحدة والألفة :

قال تعالى: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤]

اليهود ملعونون على ألسنة الأنبياء .

قال جل وعلا: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿ [المائدة: ٧٨-٧٩]

أيها الأحبة : هذه صفات اليهود . . . هذه بعض صفات اليهود في قرآن الله جل وعلا ولا يثبتك عن اليهود مثل خبير .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤]

هؤلاء اليهود يا زعماء العرب والمسلمين . . لا بد أن نعرف طبيعة اليهود قبل أن نمد إليهم أيدينا بالسلام المزعوم، فأنا أتساءل مع حضراتكم أسئلة مريرة وهذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز .
أسئلة مريرة :

لماذا نسيت أو تناست الأمة تاريخ اليهود ؟!! لماذا يا قوم والتاريخ بين أيدينا . سطور ؟!! لماذا يا قوم والحقائق معلومة للأحياء، بل وللأموات داخل القبور ؟!!

لماذا نسيت الأمة تاريخ اليهود ؟!!

سؤال يحتاج إلى جواب، والجواب في كلمات قاطعة لأن المؤامرة على هذا الدين وعلى هذه الأمة قد حبكت تعليمياً وإعلامياً حبكاً دقيقاً محكماً .!!

وضعوا المناهج الدراسية لنا ولأبنائنا وضعاً دقيقاً فشوهوا العقيدة وشوهوا مفهوم لا إله إلا الله، ونحواً عن الحكم شريعة الله وشوهوا التاريخ الإسلامي، ومجددوا هذه المناهج الجاهلية الأرضية .

ومجددوا جاهلية حورس، وجاهلية مينا، وجاهلية «خوفو»!!!

علمونا في هذه المناهج أن «ماجلان» عبقرى وبطل كل زمان!!

ولم يعلمونا أنه هو الذي أضرم في المسلمين النيران!!

علمونا أن الدين هو الرجعية والتخلف!!

علمونا أن الحملة الفرنسية كانت فتحاً لمصر، ولم تكن غزواً، ولم

يخبرونا أن نابليون دخل الجامع الأزهر بخيوله لخرق قلوب العلماء
والمسلمين!!

علمونا أن العلمانية هي الصراط المستقيم!! ومن يعرض عنها فإن له
معيشة ضنكا!!

علمونا أن التمسك بالدين رجعية، وأن التمسك بالدين تخلف، وأن
خليفة المسلمين هو الرجل المريض!!

علمونا فلسفة الشك منذ نعومة أظافرنا وحفظوا لنا « أنا أشك إذن
أنا موجود» ولو صدق المجرمون لقالوا: « أنا أشك إذا أنا دبوس!!»

علمونا منذ اللحظات الأولى في هذه المناهج الدراسية حب جبران،
والسوبرمان وشكسبير وسارتر وسيمون ودييوفوار وكل الوجوديات وما
بها من أفكار وأن هؤلاء هم الذين يقولون الحق ويعدلون به!!
علمونا كيف يكون الاستسلام بذلٍّ وعار؟

بل وكيف يكون القبول للخروج من الأرض والديار؟!

ولا زال مسلسل خروج المسلمين من الأرض مستمرا إلى هذا النهار!
بدأت أولى حلقات « مسلسل خروج المسلمين من الأرض» في بلاد
الأندلس ثم في بلاد مورو في الفلبين في بخارى، وفي طشقند، وفي
طاجكستان، وفي تركستان وفي كشمير، وفي الصومال، وفي البوسنة،
وفي الشيشان، وفي فلسطين.. ولا زال المسلسل مستمرا حتى الآن!!

إنه مسلسل دقيق كتاج مسلسل «دالاس» ولكن الفارق بين
المسلسلين أن مسلسل خروج المسلمين من أرضهم وديارهم لا تتحرك له
مشاعر الرأي العام... ولم لا؟! ولم لا وقد وضع المسلسل بدقة إنه

من تأليف وسيناريو الصهيونية والصليبية العالمية الحاقدة ، ومن ألحان
الماسون وأتباعهم العلمانيين ، ومن إنتاج وإخراج الفاتيكان .

وسؤال مرير آخر يملأ قلبي مرارة .

لماذا انتصر اليهود وانهزم المسلمون ؟!

لماذا انتصر اليهود وهم لا يزيدون عن بضعة ملايين – وانهزم

المسلمون وهم يزيدون على ألف مليون!!؟

والجواب في آية واحدة محكمة من الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ

مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١]

فلما غيرت الأمة دين ربها وشريعة نبيها ﷺ وتخلت عن أصل عزها أذلها

الله إنه الذل لليهود الذين يتلاعبون بالعالم الإسلامي بل بالعالم كله

فاستوى المسلمون مع اليهود في المعاصي والبعد عن الملك، فترك الله

المسلمين لليهود فذل اليهود المسلمين .

سنة ثابتة . . . إن الله لا يحابي أحداً من الخلق بحال مهما ادعى

لنفسه من مقومات المحاباة .

سنن ربانية في الكون لا تتغير ولا تتبدل لا بد أن يعيها المسلمون من

جديد .

وأقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . . . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . . اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد : فيا أيها الأجابة الكرام : بعد هذا العرض المر المؤلم لهذا التاريخ المسطور المعلوم يتساءل الشباب بل والمسلمون : ما السبيل ؟! ما الحل ؟! أين الطريق ؟!

وها أنذا أوجز هذا السبيل أو مشروع الخلاص وتمنيت والله أن يتبنى زعماء العرب والمسلمين هذا المشروع ليسعدوا في الدارين في الدنيا والآخرة . . . لتسعد بهم أمتهم وليسعدوا أمتهم وليعيشوا في عز وشرف وكرامة وشهامة ومروءة ورجولة .

في نقاط محددة نقدم مشروع الخلاص من هذا المأزق الحرج والواقع المر الأليم

أولاً: أن ترجع الأمة إلى الله جل وعلا بتصحيح العقيدة والعبادة وتحكيم الشريعة وتقويم الأخلاق، وتحويل الإسلام إلى منهج عملي وواقع حياة .

ثانياً: أن تصطلح الأمة مع شبابها الطاهر المتوضئ المؤمن الذي تصب الأمة الآن على رأسه جام غضبها في الوقت الذي تكرم فيه الساقطين والتافهين ممن سيكونون أول من يفر ساعة الجحد كفرار الفئران لا بد أن

تعرف الأمة قدر الشباب الطاهر الذي سيقف في الميدان إذا جد الجد وحمي الوطيس . . لا بد من الصلح معه فإن أمة تتحدى شبابها الطاهر أمة خاسرة لا كيان لها ولا بقاء .

هذا الشباب هو المحرك الحقيقي . . هذا الشباب هو الذي دفع اليهود المجرمين إلى أن يجلسوا مع عرفات على مائدة المفاوضات وقد صرح بذلك !!

هذا الشباب هو مصدر القلق والفزع والرعب لأعداء الله جل وعلا بل وقد صرح اليهود بذلك فقالوا: لقد استطعنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في المنطقة أن يظل الإسلام بعيداً عن حلقة الصراع، ولا بد أن يبقى الإسلام بعيداً عن حلبة الصراع!!

يا مسلمون: إن الصراع بيننا وبين اليهود ليس صراع أرض وحدود، ولكن صراع عقيدة ووجود أسأل الله أن يرد الأمة إلى الإسلام رداً جميلاً .

ثالثاً: رفع راية الجهاد في سبيل الله، فلا عز للأمة إلا بالجهاد .

فوالله ما ذلت الأمة وما هانت إلا يوم أن ضيعت الجهاد، الذي جعله النبي ﷺ ذروة سنام هذا الدين .

ولقد حرص أعداؤنا على أن يحولوا بين الأمة وبين الجهاد وحاولوا بشتى الطرق ألا تربى الأجيال المسلمة على روح الجهاد وسير الأبطال الفاتحين!!

وها هو الواقع يصرخ في وجوه المخمورين الغافلين أن مجلس الأمن

وهيئة الأمم المتحدة، وجميع المحافظ الدولية لن تعيد للأمة المكلومة أراضيها أو دماءها أو كرامتها، بل لا سبيل لذلك مطلقاً إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله. فالعالم اليوم لا يحترم إلا الأقوياء!!

كما قال الإرهابي الكبير «مناحم بيجن»: إننا نحارب إذن نحن موجودون!!!

تمنيت أن لو وعت الأمة هذه الحقائق. وأضرع إلى الله سبحانه أن يردّها إلى الحق رداً جميلاً.

ومع هذا فإنني لعلّى يقين أن المستقبل لهذا الدين رغم كيد اليهود المجرمين والمنافقين، أسأل الله أن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وعزّ الموحدين، وأن يأذن بتحرير الأقصى من دنس الخائنين.
... الدعاء.



رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء



إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليفه، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فاللهم اجزه عنا خير ما جزى الله به نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته.

وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى أصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد :

فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الأحباب الأعزاء وطبتم وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم جل وعلا الذي جمعني وإياكم في هذا البيت الطيب المبارك على طاعته، أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في دار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتى في الله : (رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء)

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الطيب الكريم

المبارك، وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية .

أولاً: صبر أيوب .

ثانياً: قصة مثيرة لامرأة صابرة بالمنصورة .

ثالثاً: رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء .

وأخيراً: رسالة إلى أهل العافية من البلاء .

فأعيروني القلوب والأسماع، والله أسأل أن يرزقنا وإياكم الإخلاص .

أولاً: صبر أيوب :

أحبتني في الله: إن الله جل وعلا قد جعل الصبر جواداً لا يَكْبُورُ .
وجنداً لا يهزم . . . وحصناً لا يُهدم، وبين أن الصابرين في معية الله
ويالها من كرامة قال جل وعلا: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[الأنفال: ٤٦]

وبين فضل الصابرين وكرامتهم فقال سبحانه :

﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]

بل وجعل الله الأمانة في الدين منوطة بالصبر مع اليقين قال جل
وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

بل وبين الله سبحانه كرامة الصابرين في الجنة بدخول الملائكة للسلام

عليهم وتهنتهم فقال جل وعلا: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ
بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]

بين جل وعلا في الجملة أن ثواب الصبر لا حدود له فقال سبحانه:
﴿إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]
فما هو الصبر؟

الصبر لغة: المنع والحبس .

والصبر شرعاً: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن
التشكي، وحبس الجوارح عن المعاصي، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
صبر على المأمور: أي صبر على الطاعة .
وصبر عن المحذور: أي صبر عن المعصية .
وصبر على المقدور: أي على ما قدره الله عليك من المصائب
والمحن والبلايا .

والصبر الجميل: هو الذي يبتغي به العبد وجه الله الجليل لا تخرجاً
من أجل ألا يقول الناس جزع، ولا أملاً في أن يقول الناس: صبر، وإنما
يصبر يبتغي بصبره وجه الله جل وعلا، يصبر واثقاً في الله، مطمئناً
بقضاء الله وقدره، مستعلياً عن الألم، مترفعاً على الشكوى .
والتحقيق أن الشكوى نوعان: شكوى إلى الله، وشكوى من الله .
أعاذنا الله وإياكم من الأخيرة .

الشكوى إلى الله: لا تنافي الصبر، فلقد مدح الله نبيه يعقوب وأثبت
له الصبر في قرآنه، وقد رفع يعقوب شكواه إلى مولاه فقال:

﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]

وأثنى الله على عبده أيوب - عليه السلام - فقال جل وعلا:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤]

ومع ذلك فقد رفع نبي الله أيوب عليه السلام شكواه إلى الله كما قال الله جل في علاه: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]

الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر أما الشكوى من الله: أعادنا الله وإياكم منها. هي شكوى للمخلوق من الخالق.

وإذا ذكر الصبر ذُكر نبيُّ الله أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلقد ابتلى الله أيوب في ماله وولده وبدنه .

فقد المال كله!! مات جميع أبنائه جملة واحدة!!

ابتلاه الله في جسده . . . أقعده في الأرض وأصيب بمرضٍ ألزمه الفراش .

لم يسلم من بدنه البتة إلا قلبه ولسانه !! .

فصبر وامتلاً قلبه بالحب لله والرضا عن الله!!!

فلقد ابتلى الله جل وعلا أيوب - عليه السلام - في ماله وولده وبدنه!!

فقد ضاع ماله كله!!

ومات جميع أبنائه!!

وابتلي بمرض في جسده أقعده في الأرض وألزمه الفراش ولم يسلم له من بدنه كله إلا قلبه ولسانه

أما قلبه فقد امتلاً بالحب لله والرضا عن الله وأما لسانه فلم يفتّر عن ذكر الله جل وعلا وهذه والله هي الحياة ففي الصحيحين عن أبي موسى

أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(١).

فالذاكر لله حي وإن ماتت منه الأعضاء!! والغافل عن ذكر الله ميت وإن تحرك بين الأحياء!!

وفزعت زوجته الصابرة الوفية حينما قالت له: ادعُ الله ليفرج كربك فقال نبي الله أيوب: لقد عشت سبعين سنة وأنا صحيح والله عليّ أن أصبر سبعين سنة وأنا سقيم!!

واختلفت الآراء في المدة التي مكثها نبي الله في البلاء وأصح ما ورد في هذه الأقوال ما رواه الإمام الطبري، وابن حبان وابن أبي حاتم والبخاري والحاكم في مستدركة وصححه على شرط الشيخين، وقال الإمام الهيثمي في المجمع ورجال البزار رجال الصحيح من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ:

قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُوبَ مَكَثَ فِي بَلَاءِهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ عَلَيْهِ وَيَرُوحَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُوبُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَإِلَّا لَكُشِفَ عَنْهُ هَذَا الْبَلَاءُ».

قال أهل التفسير: فلما سمع أيوب ذلك خشي الفتنة فلبجأ إلى الله جل وعلا بهذا الدعاء الحنون الذي سجله الله في قرآنه فقال جل وعلا:

(١) رواه البخاري ١١/١٧٥، ١٧٦، في الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم رقم (٧٧٩) في صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٣]

انظر إلى الجواب: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]
ما الذي حدث؟!؟

أمر الملك القدير جل وعلا نبيه أيوب أن يضرب الأرض من تحت قدميه، فضرب أيوب المريض المسكين الأرض ضربة هينة بقدمه ففجر الله له عينا من الماء وإذ بأيوب يسمع النداء من الملك ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

أمر الله أيوب أن يشرب فشرب أيوب من الماء فشفاه الله من جميع أمراضه الباطنة، فأمره أن يغتسل فاغتسل فشفاه من جميع أمراضه الظاهرة وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].
أيها المبتلى:

وَدَعَ الْأُمُورَ إِلَى الْقَضَا	كُنْ عَنْ هُمُومِكَ مُعْرِضًا
تُغْنِيكَ عَمَّا قَدْ مَضَىٰ	وَأَنْعَمَ بِطَوْلِ سَلَامَةٍ
وَرُبَّمَا ضَاقَ الْقَضَا	فَلِرُبَّمَا اتَّسعَ الْمَضِيقُ
فَلَا تَكُنْ مُعْتَرِضًا	اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ..

* * *

يَا شَافِي الْأَمْرَاضِ مَنْ أَرَدَاكَ؟!	قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّقْهُ يَدُ الرَّدَىٰ
عَجَزَتْ فُنُونُ الطَّبِّ مَنْ عَافَاكَ؟!	قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِي بَعْدَمَا

قُلْ لِلصَّحِيحِ مَاتَ لَا مِنْ عِلَّةٍ مَنْ بِالْمَنَابِإِ يَا صَّحِيحُ دِهَاكَ؟!
 بَلْ سَأَلِ الْأَعْمَى خَطَى وَسَطَ الزَّحَامِ بَلَا اصْطِدَامٍ مَنْ يَا أَعْمَى يَقُودُ خُطَاكَ؟!
 بَلْ سَأَلِ الْبَصِيرَ كَانَ يَحْذَرُ حَفْرَةَ فَهَوَىٰ بِهَا مَنْ ذَا الَّذِي أَهْوَاكَ؟!
 وَسَلِ الْجَنِينَ يَعْيشُ مَعزُولًا بَلَا رَاعٍ وَمَرَعَىٰ مَنْ ذَا الَّذِي يَرَعَاكَ؟!
 وَإِذَا تَرَىٰ الثَّعْبَانَ يَنْفُثُ سُمَّهُ فَاسْأَلْهُ مَنْ بِالسُّمُومِ يَا ثَعْبَانُ حَشَاكَ؟!
 بَلْ سَأَلَهُ كَيْفَ تَعِيشُ يَا ثَعْبَانُ أَوْ تَحْيَا وَهَذَا السُّمُّ يَمْلَأُ فَاكَ؟!
 وَاسْأَلْ بَطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ شَهْدًا وَقُلْ لِلشَّهْدِ مَنْ حَلَاكَ؟!
 بِالْ سَأَلِ اللَّبْنَ الْمُصْفَىٰ كَانَ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ مَنْ ذَا الَّذِي صَفَّفَاكَ؟!

قل إن الأمر كله لله . . .

﴿ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: ٤٢]

فاغتسل نبي الله عليه السلام وشرب فشفاه الله عز وجل وعافاه وفي

الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

« أَمْطَرَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ جَرَادًا مِنْ ذَهَبٍ فِقَامَ نَبِيِّ اللَّهِ أَيُوبَ لِيَأْخُذَ الْجَرَادَ مِنْ رَبِّهِ الْعَلِيِّ لِيَضَعَ فِي ثُوبِهِ يَأْخُذُ الْجَرَادَ وَيَضَعُ فِي ثُوبِهِ، فَنَادَى عَلَيْهِ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: يَا أَيُوبُ أَمَا تَشْبَعُ؟، فَقَالَ أَيُوبُ: وَمَنْ يَشْبَعُ مِنْ رَحْمَتِكَ يَا رَبِّ، وَمَنْ يَشْبَعُ مِنْ رَحْمَتِكَ يَا رَبِّ»^(١).

وهكذا نجى الله أيوب ورفع عنه البلاء بعد هذه السنوات الطوال من

الصبر الصادق.

وأود قبل أن أنهى الحديث عن هذا العنصر أن أحذر من لا يجيدون

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٩١) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه...﴾ الآية.

السباحة في البحور الهائجة، ومن لا يجيدون النزال من اقتحام الخطوب والأهوال من أمثال هؤلاء الذين انساقوا وراء إسرائيليات خطيرة سُحنت بها الكتب.

ومن أمثلة هذا الكذب العريض زعموا بأن الله قد ابتلى نبيه أيوب بالدود، وكانت كلما سقطت دودة من جسده انحنى إليها وردّها إلى جسده مرة أخرى، وانبعثت منه رائحة كريهة اشمأز الناس منها، وانصرف الناس عنه !! كذب عريض.. كذب حقير خطير يمتهن العقول السليمة والطباع الكريمة التي تعلم يقيناً أن الله جل وعلا قد نزه أنبياءه ورسله من مثل هذا.

ثانياً : قصة مثيرة لامرأة صابرة بالمنصورة :

أحبتي في الله : لولا أنني وقفت على هذه القصة بنفسي ورأيت هذه المرأة المسلمة الصابرة بعيني لظننت أن قصتها ضرب من الخيال .
امرأة من أمة الحبيب المصطفى ﷺ تجسد لنا في قرننا العشرين صبر نبي الله أيوب.. الحمد لله أن رأينا من أمة الحبيب من يحاكي صبر الأنبياء!!

هذه المرأة تبدأ قصتها بمولدها بقرية جُدَيْدة الهالة بمركز المنصورة .
وفي الثامنة عشرة تتزوج .

وبعد سنتين تنجب طفلها الوحيد، وفي عام سبعة وستين يهاجمها المرض فتحس بالآلام شديدة في بطنها فَتُنْقَل على الفور إلى المستشفى الجامعي بالمنصورة ويشخص الأطباء المتخصصون الحالة بأنها انسداد في الأمعاء الدقيقة ويقرر الأطباء للمريضة المسلمة الصابرة جراحة عاجلة لاستئصال جزء من الأمعاء!!

وبعد ستة أشهر قرر الأطباء مرة أخرى جراحة ثانية لاستئصال جزء
آخر من الأمعاء!!

وبعد ستة أشهر قرر الأطباء جراحة لاستئصال جزء جديد من
الأمعاء!!

وفي هذه المرة اكتشف الأطباء أن المرأة مصابة بمرض خطير مشهور
ألا وهو مرض «الدرن» المعروف عالمياً بـ T.B وهنا قرر الأطباء عدم
التدخل الجراحي واكتفى الأطباء بالعقاقير والحقن، وتركوا أمرها لله جل
وعلا . .

صبرت المرأة واستسلمت لقضاء الله جل وعلا ونامت على سريرها
الأبيض وفي فراشها البيضاء مستسلمة لقضاء الله وقدره جل وعلا .
لا يفتر لسانها عن ذكر الله سبحانه ويلهث لسانها بالثناء وبالشكر على
الله جل وعلا .

ثم هاجمها المرض هجوماً عنيفاً بعد ذلك فانتقل هذا المرض الخطير
إلى الأمعاء الدقيقة كلها!! ثم انتقل المرض بعد ذلك إلى كليتها اليمنى
فتوقفت الكلية اليمنى تماماً!!

ثم انتقل المرض بعد ذلك إلى الرحم فأصيب الرحم بهذا المرض!!
ثم انتقل المرض بعد ذلك إلى العظام فنخر المرض العظام نخرأ!!
وأصبحت العظام هشة متآكلة ثم فقدت عينها اليسرى فلم تعد ترى
بها !!

انظر إلى هذه المراحل من مراحل الابتلاء ومع كل مرحلة إذا ما
عَلِمَت من الطيب المسلم ما ابتلاها الله به تبتسم، وتنظر إلى السماء
وتقول: الحمد لله . . الحمد لله . .

جَبَلٌ من جِبَالِ الصبر . . منذ عام سبعة وستين لم تفارق سريرها في
المستشفى الجامعي!!

طلّقها زوجها بعد ست سنوات من المرض، ثم مات ولدها الوحيد
وهو في الرابعة من عمره واحتسبته عند الله جل وعلا . .

وفي عام ٨٥ قبل موسم الحج سمعت في إحدى المحاضرات
والأشرطة محاضرا يتحدث عن الحج فقررت قراراً عجيّباً . .

ما هو؟ قررت أن تحج بيت الله الحرام!! ما هذا!؟!

وقالت للطبيب المختص أريد أن أحج بيت الله الحرام!! فابتسم

وقالت: لقد عَزَمْتُ وتوكلت على الله، فهدها الأطباء بأنها لو

فارقت سريرها ستعرض حياتها للخطر في التو واللحظة . .!!

فقلت بكل ثقة ويقين: أريد أن ألقى الله وأنا على طاعة له!! الله

أكبر!!

قررت أن تلقى الله على طاعة . . فباعته ما تملك من الأرض وقررت

حج بيت الله الحرام واقتربت منها طبيب تقني نقي وحثها على ذلك

وسأل الله عز وجل لها الثواب .

وجاء يوم السفر وجيء بالسيارة التي ستحملها إلى المطار تقدم

الأطباء لتنزع الخراطيم من هذا الجسد النحيل الضئيل فهي امرأة لا تعيش

إلا بهذه الخراطيم، أستغفر الله بل لا تعيش إلا بأمر الملك رب العالمين .

الخرطوم الأول ينزع . . ما وظيفته؟ توصيل المحاليل الغذائية لأن

المرأة لا تأكل منذ عام سبعة وستين . .!!

بل تعيش على هذه المحاليل الغذائية عبر هذه الخراطيم .

الخرطوم الثاني أعزكم الله . . . لاستخراج الفضلات .

الخرطوم الثالث لاكياس الدماء يوصلونها للبدن الضئيل .
الخرطوم الرابع لإخراج الرايل من الأمعاء الدقيقة عن طريق الأنف .
ومع ذلك وقف الأطباء يتوقعون لها الموت مع نزع أول خرطوم
فَتَزَعَت الخراطيم واحداً تلو الآخر، والمرأة تتحدث وتبتسم وهي سعيدة
أنها ذاهبة لحج بيت الله الحرام !!!

وحملت في السيارة ثم إلى الطائرة، وحملت في جميع مناسك
الحج وأدت فريضة الله جل وعلا بإعجاز الملك الذي يقول للشيء كن
فيكون، وهي تحكي هذه القصة وتعجب وتقول ما أكلت شيئاً إلا عن
طريق الفيتامينات وعن طريق الأدوية !!

قضت هذه الفترة وهي تبكي طول الرحلة تشكر الله جل وعلا الذي
أعانها أن رأت بيته وانطلقت إلى المدينة لزيارة المسجد النبوي والسلام
على الحبيب النبي ﷺ .

وعادت بعد حج بيت الله الحرام، وزيارة مسجد النبي عليه الصلاة
والسلام، إلى السرير مرة ثانية ونامت في فراشها . . في سريرها
الأبيض وطلبتني لزيارتها فذهبت لزيارتها مع بعض الأحبة وهم معنا
الآن في المسجد، ذهبت إليها لأذكرها بالله . . ووالله ذهبت لأذكرها
بالله فذكرتني هي بالله !! وخرجت من عندها وقد احتقرت نفسي
واحتقرت جهدي واحتقرت عملي لله جل وعلا . .

امرأة عجيبة لا يفتر لسانها عن ذكر الله، ولا يفتر لسانها عن الثناء
والحمد لله جل وعلا .

انظر إلى غرفتها أيها المسلم قسمت الغرفة إلى قسمين، فصلت
الغرفة بستارة وجعلت النصف مسجداً لله جل وعلا، وجعلت النصف

الآخر لسريها ووضعت إلى جوارها صندوقاً لجمع التبرعات من أراد أن يتبرع لفقراء المرضى ممن يعجزون عن شراء الدواء وجعلت إلى جوارها مكتبة صغيرة للأشرطة مع جهاز الكاسيت إذا ما دخل عليها طبيب، أو ممرضة أعارته شريطاً لمحاضرة من المحاضرات .
وهي في هذه الحالة . . تدعو إلى الله . . إنها الحياة . . هذه والله هي الحياة . .

فكم من أناس يتحدون الله بنعمه عليهم وهذه المرأة في هذه الحالة لا تفتقر عن الدعوة إلى الله جل وعلا !!
تدعو إلى الله بالأشرطة الإسلامية . . تدعو إلى الله بالصدقة . .
تدعو إلى الله بالإصلاح بين الأطباء وبين الطبيبات . . تدعو إلى الله بالإصلاح بين المرضى . . هيات حياتها كلها لطاعة الله جل وعلا
ولسانها ذاكر . . وقلبها شاكر . . وجسدها على البلاء صابر .
فذهبت إليها قبل أن تلقى الله بأربعة أيام وجلست إلى جوارها فقلت
كيف حالك؟! قالت: الحمد لله، فأثنت أنا عليها خيراً . . فقالت:
والله إني لخائفة . .
قلت: لماذا؟

قالت: أخشى ألا يتقبل الله مني صبري طيلة هذه السنوات!! ولكن ادعُ الله لي أن يرزقني حسن الخاتمة . .
قلت: أبشري لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعثَ عليه وفي يوم الأربعاء العاشر من أبريل لعام ستة وتسعين توفيت ولسانها رطب بذكر الله - رحمها الله تعالى - وجمعنا بها في جنات النعيم وصدق الله إذ يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزْلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]

ما أرخصها من حياة إن عشت لشهواتك ونزواتك . ما أرخصها من حياة يا من لا تعيش إلا من أجل متاع الدنيا الحقيقير، ما أرخصها من حياة يا من تعيش من أجل كرسيك الزائل، كرسيك القاني !! وما أغلاها من حياة يا من بذلت وقتك كله لطاعة الله، ما أغلاها من حياة يا من استخدمت كل نعمة من نعم الله التي أنعم الله بها عليك لمرضاة الله جل وعلا، ومن ثم فيها أنذا أوجه رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء .

رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء:

إلى كل مسلم ومسلمة من أصحاب الأمراض والبلاء وقد حبسهم المرض على الأسرة البيضاء، فصبروا على قدر السله واطمأنت قلوبهم بالقضاء .

أيها المسلمون المبتلون على فراش المرض أو في أي مكان اصبروا وأبشروا .

أيها المبتلون الصابرون! اعلموا أن الحياة الحقيقية هي حياة القلوب حينما تمتلئ بالإيمان بعلام الغيوب، اعلموا أن الحياة في انطلاق اللسان بذكر الرحمن وإن حبست عن الحركة الرجلان واليدان!!

أيها المبتلون الصابرون! أبشروا بحديث رسول الله ﷺ ففي الحديث

الذي رواه مسلم من حديث صهيب الرومي أن النبي ﷺ قال: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١).

أبشروا أيها المبتلون الصابرون بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري وغيره قال الحبيب ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ حَطَايَاهُ»^(٢).

وقد ابتلى المصطفى ﷺ بالحمى، وانتفض جسد الحبيب من شدة حرارتها ودخل عليه ابن مسعود والحديث في الصحيحين فقال ابن مسعود: إنك توعدك وَعَكًّا شديدا يا رسول الله، فقال المصطفى ﷺ: «أَجَلٌ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّي أُوْعِدُكَ كَمَا يُوْعِدُ الرَّجُلَانِ مِنْكُمْ».

فقال ابن مسعود: ذلك بأن لك أجرين يا رسول الله؟

قال: «أَجَلٌ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَىٌّ مِنْ مَرَضٍ فِيمَا سِوَاهُ - حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا - إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحَطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَّهَا»^(٣).
المرض يحط عنك الخطايا أيها المسلم المبتلى الصابر.

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩) في الزهد، باب المؤمن أمره كله خير .

(٢) رواه البخاري رقم (٥٦٤١، ٥٦٤٢) في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ومسلم رقم (٢٥٧٣) في البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، والترمذي رقم (٩٦٦) في الجنائز، باب ما جاء في ثواب المريض .

(٣) رواه البخاري رقم (٥٦٤٧) في المرضى، باب شدة المرض، ومسلم رقم (٢٥٧٢) في البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، والموطأ (٩٤١/٢) في العين، باب ما جاء في أجر المريض، والترمذي رقم (٩٦٥) في الجنائز، باب ما جاء في ثواب المريض .

قال الله تعالى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿ [العنكبوت: ٢-٣]

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُؤُا الْبِأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]

أيها المبتلى الصابر أبشر بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه أحمد والترمذي وهو حديث حسن صحيح من حديث مصعب بن سعد بن مالك عن أبيه قال:

سألت النبي ﷺ وقلت: يا رسول الله أى الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتدَّ بلاؤه وإن كان في دينه رقةٌ ابتلاه على حسب دينه فما يبرحُ البلاءُ بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»^(١).
فالبلاء رحمة إن صبرت عليه، يكفر الله به عنك الخطايا أيها المبتلى المسلم الصابر .

وأذكركم يا أصحاب الأسرة البيضاء بهذا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضُرِّ وَقَعَّ بِهِ فَإِنْ كَانَ لِأَبَدٍ فاعِلًا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٤٠٠) في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح وهو كما قال ورواه أيضاً أحمد والدارمي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وغيرهم، وهو في صحيح الجامع رقم (٩٩٢) والصحيحة (١٤٣).

الوفاة خيراً لي^(١).

وأختم هذه الرسالة إليكم أيها المسلمون الصابرون بهذه الكلمات الدقيقة لشداد بن أوس - رضي الله عنه - إذ يقول: «أيها الناس لا تتهموا الله في قضائه، فإن الله لا يظلم أحداً، فإذا أنزل بك شيئاً تحبه فاحمد الله على العافية، وإذا أنزل بك شيئاً تكرهه فاصبر واحتسب، واعلم بأن الله جل وعلا عنده حسن الثواب».

أسأل الله جل وعلا لهذه المرأة المسلمة أن يغفر لها وأن يتقبلها عنده في الشهداء، فإن النبي ﷺ قد أخبر أن من مات من المسلمين بيظنه فهو شهيد عند الله جل وعلا، والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال النبي ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟»

قالوا: من قتل في سبيل الله فهو شهيد قال المصطفى ﷺ: «إِنْ شُهِدَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلَ»

قالوا: فمن هم يا رسول الله؟

قال: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٢).

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٧١) في المرضى، باب تمنى المريض الموت، وفي الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة ومسلم رقم (٢٦٨٠) في الذكر والدعاء، باب كراهية تمنى الموت، والترمذي رقم (٩٧١) في الجنائز، باب في النهي عن تمنى الموت، وأبو داود رقم (٣١٠٨)، (٣١٠٩) في الجنائز، باب كراهية تمنى الموت، والنسائي (٣/٤) في الجنائز، باب تمنى الموت.

(٢) رواه مسلم رقم (١٩١٥) في الإمارة، باب بيان الشهداء، والموطأ (١/١٣١) في صلاة الجماعة، باب ما جاء في العتمة والصبح والترمذي رقم (١٠٦٣) في الجنائز، باب ما جاء في الشهداء من هم.

وفي رواية الموطأ والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ وَالْمَبْطُونُ وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» والمبطنون: هو الذي يشكو بطنه .

هذا فضل الله جل وعلا، أسأل الله جل وعلا أن يتقبلها عنده في الشهداء، وأسأل الله لجميع إخواننا وأخواتنا من أصحاب الأسرة البيضاء، ممن ابتلاهم الله عز وجل بالأمراض والبلاء أن يجعل شفاءهم سهلاً، ميسوراً، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين .

اللهم اجعل شفاءهم سهلاً ميسوراً يا أرحم الراحمين، اللهم أبدلهم لحماً خيراً من لحمهم، ودماً خيراً من دمهم، وأنزل عليهم رحمة عاجلة عليهم يارب العالمين .

وأخيراً أختم هذا اللقاء برسالة إلى أهل العافية من البلاء أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأرجئ الحديث عن هذا العنصر إلى ما بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .
اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه
وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .
أما بعد .

رسالة إلى أهل العافية من البلاء :

أيها الأحبة: أذكر نفسي وإياكم جميعاً وأقول: اسجدوا لله شكراً على
العافية بعد الإسلام، فإن الصحة تاجٌ على رؤوس الأصحاء يتلألأ لا
يراه إلا المرضى !! .

يا مَنْ مَنْ الله عليك بالعافية بعد الإسلام اسجد لربك شكراً على
هذه النعمة .

يا مَنْ مَنْ الله عليك بالعافية، اسجد لربك شكراً على هذه النعمة،
واعلم بأن نعمة الله عليك بالعافية بعد الإيمان هي أعظم نعمةٍ عليك .
هناك من الناس من يظن أن الرزق هو المال ونسي نعمة العافية ونعمة
الصحة ونعمة الإسلام قبل ذلك .

واعلم بأن الشكر يدور على ثلاثة أركان:

الاعتراف بالنعمة باطناً، والتحدث بالنعمة ظاهراً، واستغلال النعمة
في طاعة الله جل وعلا .

فالحمد يدور على القلب واللسان، أما الشكر فإنه يدور على القلب
واللسان والجوارح والأركان .

قال الرحيم الرحمن ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]
 وفي الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - قام النبي ﷺ
 حتى تفترت قدماه فقبل له ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
 تأخر؟!!

فقال المصطفى ﷺ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١)

النَّفْسُ تُجْزَعُ أَنْ تَكُونَ فَاقْبِرَةَ وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى يُطْفِئُهَا
 وَغِنَى النَّفْسِ هُوَ الْكَفَافُ فَإِنْ أَبَتْ فَجَمِّعْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يَكْفِيهَا
 هِيَ الْقِنَاعَةُ فَالزَّمْنَهَا تَكُنْ مَلَكًا لَوْلَمْ تَكُنْ لَكَ إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ
 وَأَنْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِاجْمَعِهَا هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ الطَّيِّبِ وَالْكَفَنِ

وقد قيل لرجل كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري
 أيتهما أفضل، ذنوب سترها الله علي لا يستطيع أحد أن يعيرني بها.
 ومودة قذفها الله لي في قلوب عباده لا يبلغها عملي!!
 فإن من الله عليك بالعافية فاشكر الله عليها.
 فالشكر لا يكون إلا باستغلالها في كل ما يرضيه.
 إن من الله عليك بالأولاد فاشكر الله على هذه النعمة، فيكون
 الشكر بترية الأولاد على كتاب الله وسنة الحبيب رسول الله ﷺ.

(١) رواه البخاري (١٢/٣) في التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل، وفي تفسير سورة
 الفتح، وفي الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، ومسلم رقم (٢٨١٩) في صفات
 المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، والترمذي رقم (٤١٢) في الصلاة، باب
 ما جاء في الاجتهاد في الصلاة، والنسائي (٣/٣١٩) في قيام الليل، باب الاختلاف على
 عائشة في إحياء الليل.

إن مَنْ الله عليك بالزوجة فاشكر الله على هذه النعمة واتقِ الله فيها
 وربها على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ
 إن مَنْ الله عليك بمنصب أو كرسي فاشكر الله على هذه النعمة
 وسخر الكرسي والمنصب لتفرِّج هموم الناس وكربات الناس .
 إن مَنْ الله عليك بالأموال فاشكر الله على هذه النعمة واعلم بأن
 الشكر لا يكون إلا بالبذل والعطاء والإنفاق .
 إن مَنْ الله عليك بالعلم فاعلم بأن الشكر لا يكون إلا بالتعليم
 والتحرك هنا وهناك والدعوة لله جل وعلا .

ثانياً: من رسالتي لأهل العافية:

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨]

أما تستحي يا من تستعمل نعمة العافية في معصية الله !!
 أما تستحي بعد سماع هذا الموضوع في الجمعة الآن أو عبر الشريط
 في أى مكان !!
 أما تستحي يا من تتجرأ على معصية الله بنعمة الله ألا وهي العافية!!
 يا من استعملت بصرك لتتبع العورات والحرام أما تستحي !!
 تَذَكَّرَ من فَقَدَ بصره .
 يا من استعملت سمعك في سماع الحرام أما تستحي !!
 تَذَكَّرَ من فقد سمعه .
 يا من استعملت يدك التي تبطش وتظلم بها أما تستحي !!
 تذكر من فقد يده .
 يا من استعملت رجلك في السعي لمعصية الله أما تستحي !!
 تذكر من ألزمه المرض الفراش .
 يا من استعملت منصبك وكُرسِيَّكَ الذي جلست عليه لظلم العباد

والتحقير لخلق الله أما تستحي !!
تذكر ضعفك وفقرك وعجزك، فأنت مسكين وضعيف ولولا أن الله
عز وجل قد أطلق البدن لَلزِمَتِ الأرض وللزمت الفراش .
فإياك أن يغرك مركزك !! إياك أن يغرك منصبك !! إياك أن يغرك
جاهك ووجاهتك !! فأنت ضعيف أيها المسكين !!
تحمل البصاق في فمك !! وتحمل المخاط في أنفك !! وتحمل العرق
تحت إبطيك !! وتحمل البول في مثانتك !! وتحمل النجاسة في بطنك !!
وتمسح عن نفسك النجاسة بيدك كل يوم مرة أو مرتين !!
يا أيها الإنسان ما غرَّكَ بربك الكريم . . . يا من غرَّكَ جاهك . . . اعلم
بأن الله جل وعلا قادر على أن يسلبه منك . . . واعلم بأن كرسيك إلى
زوال، وأن منصبك إلى فناء، إذ لو دام الكرسي الذي جلست عليه
لأحد ما وصل إليك .
اعلم بأن الدنيا كلها إلى زوال، وبأن المناصب كلها إلى فناء .

أَيْنَ الظَّالِمُونَ؟! وَأَيْنَ التَّابِعُونَ لَهُمْ
في العِيَّة؟ بَلْ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانَ؟!
أَيْنَ مَنْ دَوَّخُوا الدُّنْيَا بِسَطْوَتِهِمْ
وذكرهم في الورى ظلمٌ وطغيانٌ؟!
هَلْ أَبْقَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
أَوْ هَلْ نَجَا مِنْهُ بِالسُّلْطَانِ إِنْسَانُ
لَا وَالَّذِي خَلَقَ الْأَكْوَانَ مِنْ عَدَمٍ
الْكُلُّ يَفْنَى فَلَا إِنْسٌ وَلَا جَانُ

وصدق الله إذ يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو

الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]

تذكروا هذا يا أهل العافية، لا تبخلوا على إخوانكم المرضى بالزيارة والدعاء، فحق المريض علينا الزيارة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

« حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ، رَدُّ السَّلَامِ، وَعِبَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ »^(١).

واسمع إلى هذا الحديث الجميل الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَبْدِي مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي! فَيَقُولُ الْعَبْدُ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: لَقَدْ مَرَضَ عَبْدِي فَلَانَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعَمْتَكَ فَلَمْ تُطْعَمْنِي!، فَيَقُولُ الْعَبْدُ: يَا رَبِّ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: لَقَدْ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تُسْقِنِي! فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: لَقَدْ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانَ فَلَمْ تُسْقِهِ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي »^(٢).

(١) رواه البخاري (٩٠/٣) في الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، ومسلم رقم (٢١٦٢) في السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، وأبو داود رقم (٥٠٣٠) في الأدب، باب في العطاس، والترمذي رقم (٢٧٣٨) في الأدب، باب ما جاء في تشميت العاطس، والنسائي (٥٣/٤) في الجنائز، باب النهي عن سب الاموات.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٦٩) في البر والصلة، باب فضل عيادة المريض.

فمن حق المرضى علينا نحن أهل العافية أن نזורهم وأن ندخل عليهم السعادة والبسمة والسرور وأن نكثر لهم من الدعاء .

وأخيراً أقول أيها الأحبة الكرام جددوا التوبة والأوبة، وتذكروا أن الحياة الدنيا دار ممر وأن الآخرة هي دار المقر، فخذوا من ممركم لمقرم ولا تفضحوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

أقبلوا على الله وعودوا إلى الله أيها الشباب يا من استغللتم نعمة الله العافية - في معصية الله .

أيها الرجال . . أيها الشباب . . أيتها المسلمات فلنعد جميعاً إلى الله سبحانه ونحن على ثقة في رحمة الله، ونحن على يقين بكرم الله وعفو الله، قال جل في علاه ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[الزمر: ٥٣]

اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، اللهم اجعل شفاءهم سهلاً ميسوراً يارب العالمين .

اللهم أنزل عليهم رحمة من عندك، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبداً ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا .

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين وأعلِّ بفضلك كلمة الحق والدين .
اللهم لا تدع لأحد منا ذنباً إلا غفرته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا عاصياً إلا هديته، ولا طائعاً إلا ثبته ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها يا أرحم

الراحمين .

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوماً، وتفرقتنا من بعده تفرقاً
معصوماً، ولا تجعل فينا ولا منا شقياً ولا محروماً .

اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى .

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن
علينا، اللهم عليك باليهود وأتباعهم يارب العالمين، اللهم كما أفرع
اليهود إخواننا في فلسطين فاملأ قلوبهم وبيوتهم رعباً وفزعاً يا أرحم
الراحمين .

اللهم إنا نشكو إليك خيانة الخائنين، وإجرام المجرمين، وتكاسل
الزعماء والقادة يا أرحم الراحمين .

اللهم عليك باليهود وأتباع اليهود اللهم شتت شملهم، اللهم فرق
صفهم، اللهم املأ قلوبهم وبيوتهم رعباً وفزعاً يارب العالمين .

اللهم ثبت إخواننا المجاهدين المسلمين في كل مكان يارب العالمين .

اللهم أقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين، اللهم اشف صدور
قوم مؤمنين اللهم اشف صدور قوم مؤمنين .

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو زلل أو
سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وأعوذ بالله
أن أكون جسراً تعبرون به إلى الجنة ويلقى به في النار، وأعوذ بالله أن
أذكركم به وأنساه وصلّ اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله
وصحبه وسلم وأقم الصلاة .



في رحاب سورة



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة، فكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

فأللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته .

وصل اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، وأحبابه، وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الأحباب الكرام الأعزاء وطبتم جميعاً، وطاب ممثاكم وتبواتم جميعاً من الجنة منزلاً وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتني في الله:

نحن اليوم مع سورة تهز القلوب الغافلة، وتزلزل القلوب القاسية الجامدة، وتأخذ الناس أخذًا من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة.

إن لقاءنا اليوم أيها الأحباب مع سورة «الزلزلة» حقا والله إنها زلزلة للقلوب القاسية، والله إنها زلزلة للقلوب الغافلة.

هذه السورة التي تقل كلماتها كثيراً ولكنها تحمل من المعاني ما يخشع لها الجبال وتهتز لها القلوب في الصدور هذه السورة التي قال الله تبارك وتعالى فيها:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا ۝ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝ (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ (٤) بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝ ﴾ [الزلزلة: ١-٨].

إنها زلزلة للقلوب القاسية أيها الأحباب.

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا ۝ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ ﴾

متى يحدث هذا المشهد؟ ومتى سيكون ذلك؟

إذا أراد تبارك وتعالى إحياء خلقه من يوم أن خلقهم إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، يأتي الله تبارك وتعالى بهذه العظمة الصغيرة التي توجد في آخر السلسلة الفقرية لكل إنسان خلقه الله جل وعلا هذه العظمة تسمى «عجب الذنب»

هذه العظمة الصغيرة الدقيقة هي التي لا تبلى من أي إنسان، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ

يَبْلَى إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَمِنْهُ يَرْكَبُ» (١)

يأتي الله بهذه العظمة ويركب من حولها جسد صاحبها .

ما ذهب من جسده في البحار وما ضاع من جسده في
الأنهار، ومراح غذاء للأشجار، يأتي الله جل وعلا بهذ كله ليكتمل
بدن الإنسان كما كان .

فإذا ما اكتملت الأجساد في القبور أمر الله جل وعلا بالأرواح فتلقى
الأرواح في الصور .

والصور هو البوق الذي يأمر الله إسرافيل بالنفخ فيه .

فيأمر الله جل وعلا إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة البعث، قال
تعالى: ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]

فإذا نفخ إسرافيل في الصور خرجت الأرواح لها دويٌّ كدويِّ
النحل فيقول ربنا جل وعلا: «وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لِيَرْجِعَنَّ كُلُّ رُوحٍ إِلَى
جَسَدِهِ» كما ورد في حديث الصور الطويل الذي رواه الإمام الطبراني
والبيهقي وأبو يعلى الموصلي وذكره الإمام أبو العز الحنفي في شرحه
للعقيدة الطحاوية وضعفه الحافظ ابن كثير:

تسري الأرواح في الأجساد كما يسري السم في اللديغ - وهنا - إذا
ما اكتملت الأجساد في القبور - يأمر الله جل وعلا بأن تزلزل الأرض

(١) رواه البخاري (٤٨١٤) في تفسير سورة الزمر، باب قوله: «ونفخ في الصور فصعق من
في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله» وفي تفسير سورة «عم يتساءلون»،
ومسلم رقم (٢٩٥٥) في الفتن، باب ما بين النفختين، والموطأ (٢٣٩/١) في الجنائز، باب
جامع الجنائز، وأبو داود رقم (٤٧٤٣) في السنة، باب في ذكر البعث والصور، والنسائي
(١١١/٤) في الجنائز، باب أرواح المؤمنين.

وأن تنشق الأرض .

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ تَنْفُضِ الْأَرْضَ لَتَخْرِجَ مَا فِي جَوْفِهَا إِخْرَاجًا ۝ وَلَتَلْفِظَ مَا فِي بطنِهَا لَفْظًا ۝ وَأَسْمِعِ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۝٤٣ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝﴾ [ق: ٤١-٤٤]

أيها الأحباب: إنه يوم القيامة . إنه يوم الأزفة . إنه يوم القارعة . إنه يوم الحاقة . إنه يوم الصيحة . إنه يوم الانقلاب الكامل لكل مشهود ومعهود، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي بسند حسن من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾»^(١)

إنه يوم القيامة أيها الأحباب ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۝٢ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۝﴾ [الانشقاق: ١-٥]

أي حقَّ عليها وحقُّ لها أن تخضع وأن تخشع لأمر ربها جل وعلا . . . وهنا أيها الأحباب يبدأ أول مشهد من مشاهد القيامة يخرج الناس من القبور حفاة عراة غرلاً . . . وهنا فزعت أمنا أم المؤمنين

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٣٠) في التفسير، باب ومن سورة «إذا الشمس كورت» ورواه أيضا أحمد في المسند رقم (٤٨١٦، ٤٩٣٤، ٤٩٤١، ٥٨٥٥) والحاكم (٥١٥/٢) وصححه ، ووافقه الذهبي وهو كما قال ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٣).

عائشة رضي الله عنها لما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» فقالت عائشة: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض، قال: «الأمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَهْمَهُمْ ذَلِكَ» (١)

يخرج الناس من القبور.. الأرض تتشقق هنا وهناك! يبعث الناس.

تَذَكَّرْ وَقُوفَكَ يَوْمَ الْعَرْضِ عُرْبَانَا	مُسْتَوْحِشًا فَلِقَ الْأَحْشَاءِ حَيْرَانَا
وَالنَّارِ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنْقٍ	عَلَى الْعُصَاةِ وَرَبُّ الْعَرْشِ غَضَبَانَا
اقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدُ عَلِيٍّ مَهْلٍ	فَهَلْ تَرَى فِيهِ حَرْقًا غَيْرَ مَا كَانَا
فَلَمَّا قَرَأَتْ وَلَمْ تُنْكِرْ قَرَاءَتَهُ	وَأَقْرَرَتْ إِقْرَارَ مَنْ عَرَفَ الْأَشْيَاءَ عِرْفَانَا
نَادَى الْجَلِيلُ خُدُوهُ يَا مَلَائِكَتِي	وَأَمْضُوا بِعَبْدِ عَصَى لِلنَّارِ عَطْشَانَا
الْمُشْرِكُونَ عَدَا فِي النَّارِ يَلْتَهَبُوا	وَالْمُوحِّدُونَ فِي دَارِ الْخُلْدِ سُكَّانَا

من هنا وهناك... إنه مشهد لا عهد للبشر به.. إنه مشهد الخروج من القبور يا عباد الله.

من هنا تتشقق الأرض... ومن هنالك تتشقق الأرض.. ويخرج الناس من القبور إذا ما خرج العبد من قبره لا ينظر عن يمينه ولا ينظر عن شماله ولا ينظر خلفه وإنما أخذ بصره وامتدت رقبته وأخذ يتتبع هذا الداعي الذي جاء بأمر الله جل وعلا ليقود الناس إلى أرض المحشر: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]

(١) رواه البخاري (٣٣٤/١١) في الرقاق، باب الحشر، ومسلم رقم (٢٨٥٩) في الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، والنسائي (١١٤/٤) في الجنائز، باب البعث.

أين أصحاب الأصوات العالية؟ .. أين أصحاب الكلمات الرنانة في الصحف ووسائل الإعلام؟!

أين الذين حاربوا الإسلام؟ .. وأين الذين امتلأت قلوبهم غيظًا وحقداً على دين الله؟ أين الذين قالوا، وقالوا، وقالوا؟! ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿

ما الذي جرى؟! وما الذي حدث؟!

إن الأرض كانت آمنة .. وكانت هادئة!!

ما الذي غيرها؟! وما الذي بدلها؟ وما الذي حول أمنها واستقرارها إلى هذه الزلزلة وهذا الدوار .. وما لها؟!

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿

أتدرون ما أخبارها يا عباد الله؟!

ورد في الحديث الذي رواه الترمذي بسند حسن صحيح أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فقال: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إِنْ أَخْبَارُهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَيَّ كُلُّ عَبْدٍ، وَعَلَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، فَتَقُولُ: عَمِلَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا» (١)

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن یسترنا وإیاکم فوق الأرض وتحت الأرض ویوم العرض إنه ولی ذلك ومولاه .

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٥٠) في التفسير، باب ومن سورة إذا زلزلت، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه أحمد في مسنده (٣٧٤/٢) والحاكم في مستدرکه (٥٣٢/٢) وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]

إنه مشهد من أزهب مشاهد القيامة يا عباد الله . . من الناس من يبعث ونورٌ يشرق من وجهه وأعضائه لأن النبي ﷺ قال في الحديث الذي رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله:

«يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(١)

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

لقد أجرى الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه.

كما قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: «منهم من يكون نوره كالجبل . . ومنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يكون نوره كالرجل القائم ومنهم من يكون نوره على إبهامه يتقدُّ مرةً ويُطفأ مرةً»^(٢)

* ومنهم من يُبعث والظلمة تحيط به من كل جانب .

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]

ولا حول ولا قوة إلا بالله

* ومنهم من يُبعث والدم يندفع منه له رائحة كرائحة المسك وهؤلاء هم الشهداء الذين ماتوا في سبيل الله كما رواه البخاري ومسلم

(١) أخرجه مسلم رقم (٣٨٧٨) في الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

(٢) ذكره الإمام السيوطي في الدر المشور وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه ورواه

الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين وتعقبه الإمام الذهبي فقال: بل هو

صحيح على شرط البخاري .

* ومنهم من يبعث وهو ينطلق في أرض المحشر وهو يقول :
«لبيك اللهم لبيك» وهؤلاء هم الذين ماتوا بلباس الإحرام كما ورد في
الحديث الذي رواه البخاري .

* ومنهم من يُبعث وكأس الخمر معلق في رقبته .

* ومنهم من يُبعث وقد التف الأطفال من حوله في أرض المحشر
يتعلقون به وبرقبته أتدرون من هو؟ إنه الذي أكل أموال اليتامي ظلماً .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَيَصِلُونَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ١٠] .

* ومنهم من يُبعث في أرض المحشر وقد التف الناس من حوله
هذا يتعلق في رقبته وهذا يجره من ذراعه وهذا يتعلق به ، من هذا؟! من
هؤلاء؟! إنهم أصحاب المظالم الذين ظلموا عباد الله في الدنيا . . الذين
ظلموا خلق الله في الدنيا . . الذين غرتهم قدرتهم على ظلم العباد
ونسوا قدرة رب العباد جل وعلا ، فظلموا خلق الله وأكلوا حقوق عباد
الله تبارك وتعالى .

* ومنهم من يبعث وقد حمل على كتفيه حملاً ثقيلاً .!!

إن هذا هو الذي سرقه وغله في هذه الحياة . . يأتي من سرق
بنكاً، ويأتي من سرق أمة! ويأتي من سرق دولة! ويأتي من سرق بيضة!

قال تعالى ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]

إنه يوم الفصائح يا عباد الله . . إنه يوم الذل والخزي والعار للمجرمين
العاصين نسأل العزيز الغفار جل وعلا أن يسترنا وإياكم بمنه
وكرمه : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾

وهكذا ينطلق الناس في أرض المحشر فإذا ما وصلوا إلى الأرض
التي حددها الله جل وعلا اقتربت الشمس من الرؤوس كما ورد في

الحديث الذي رواه مسلم من حديث المقداد بن الأسود أن النبي ﷺ قال: «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ» - زاد الترمذي: أو اثنين، قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني الميل: أمسافة الأرض؟، أو الميل الذي تكتحل به العين؟ قال: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَامِأً» وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه (١)

هكذا يا عباد الله يقف الناس ويطول الموقف بل ويزداد الهم والغم ويزداد الكرب إذا ما وقف الناس في أرض المحشر وأمر بجهنم «فَيُؤْتَى بِهَا لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا» (٢)

فإذا ما رأَت الخلائق زفرت، وجثت الأمم على ركبها «وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً» [الجنّة: ٢٨] فتحيط جهنم بالخلائق من كل ناحية، ومن كل جانب فيزداد الهم ويزداد الغم والكرب.

وهنا ينطلق الناس من هول هذا الموقف ويقول بعضهم لبعض: ألا ترون ما نحن فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، وينطلق الناس إلى أنبياء الله ورسله عليهم السلام، إلى آدم، إلى الخليل إبراهيم، إلى موسى، إلى عيسى، ويقول كل واحد منهم نفسي نفسي!! إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي حتى يذهبون إلى النبي ﷺ ويقولون

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٦٤) في صفة الجنة، باب صفة يوم القيامة، والترمذي رقم (٢٤٢٣) في صفة القيامة باب رقم (٣) والحقو: مشد الإزار عند الحصر.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفة الجنة، باب في شدة حر نار جهنم، والترمذي رقم (٢٥٧٦) في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار.

يارسول الله لقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر، وأنت خاتم رسل الله ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ماقد بلغنا؟! ألا تشفع لنا إلى ربك؟! فيقول أنا لها. أنا لها قال رسول الله ﷺ: «فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذِنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ، قُلْ يَسْمَعُ، سَلْ تُعْطَى، اشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ»^(١) هَذَا هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ تَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]

وهذا ما قاله الإمام أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية :
هذه هي الشفاعة الأولى والشفاعة العظمى .

ثم تنزل الملائكة يا عباد الله من أهل السموات وبعدها ينزل الحق جل وعلا تنزلاً يليق بكماله وجلاله، فكل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] لانعطيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] لانقولوا جاء أمر الله، ولا تقولوا جاءت قدرة الله وإنما ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ مجيئاً يليق بكماله وجلاله، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

يأتي الحق تبارك وتعالى إتياناً يليق بذاته جل وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وهنا يقول ربنا تبارك وتعالى:
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

(١) رواه الترمذي رقم (٣١٤٧) في التفسير، باب من سورة بني إسرائيل، وقال الترمذي :
هذا حديث حسن وحديث الشفاعة بطوله في البخاري (٦/٢٦٤/٢٦٥) ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان وليس فيه الشفاعة العامة (راجع شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٣١ ط المكتب الإسلامي الطبعة التاسعة).

(٦٠) وَأَنْ عِبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿ [يس: ٦٠-٦٧]

لامجال للنفاق هنا . . ولا مجال هنا للممارة الكلامية الكاذبة

ستتكلم الأيدي التي كتبت . . ستتكلم الأيدي التي بطشت . .

ستتكلم الأرجل التي سعت لمعصية الله . . ستنطق الجوارح وتشهد . .

ستشهد الجلود . . أنطقها الله الذي أنطق كل شيء .

وبعد كل هذا الهول يبدأ الحساب . . بعد كل هذا الرعب والفرع

بقي الحساب؟! يبدأ الحساب بالعرض على الله .

فمن الناس من يأخذ الكتاب بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله أو

من وراء ظهره ويقف الناس في هذا الموقف الرهيب، وينادي على كل

أحد باسمه كما ورد في حديث عدي بن حاتم الذي رواه البخاري أنه

ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيَمَنْ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا

مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ

بَشِقِّ تَمْرَةً» (١)

(١) رواه البخاري (١٧/٢٥٤، ٢٥٥) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل، ومسلم رقم

(١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، والترمذي رقم (٢٤٢٧) في

صفة القيامة في شأن القصاص.

سيكلمك الله يا عبد الله ليس بينك وبينه ترجمان، ينادي عليك: أين فلان بن فلان؟ أنا؟! هذا هو اسمي؟! أنا صاحب هذا النداء؟! ماذا تريدون يا ملائكة الله؟!

أقبل للمثول بين يدي الله جل وعلا.!

فتخطى الصفوف يا عبد الله وسط هذا الزحام وفي هذا المشهد صفوف الملائكة و صفوف البشر و صفوف الجن، لترى نفسك بين يدي ملك الملوك جل وعلا. .

لتقف بين يدي الله العليم الحكيم الخبير .

ويقرع النداء قلبك . . فيصفر وجهك . . وترتعد فرائصك . . وتضطرب جوارحك وأنت تتقدم لتعطى كتابك، هذا الكتاب الذي لا يغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسرتها.

فكم من معصية قد كنت نسيتها ذكرك الله إياها؟!

كم من مصيبة قد كنت أخفيتها أظهرها الله لك وأبداها؟!

فيا حسرة قلبك وقتها على ما فرطت في دنياك من طاعة مولاك .

فإن كان العبد من المؤمنين الموحدين الصادقين - جعلنا الله وإياكم منهم بمنه وكرمه - يقربه الله عز وجل منه كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه ﷺ قال:

«يُدْنِي الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنْفَهُ» (كنف

الإنسان: ظله وجانبه والمراد به: قرب الله تعالى ودنو رحمته وفضله على العبد، تقول أنا في كنف فلان أي: في ظله وجانبه) «فَيَقْرَرُهُ بِدُنُوبِهِ: تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: أَعْرِفُ رَبًّا، أَعْرِفُ - مَرَّتَيْنِ - فَيَقُولُ سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تَطْوِي صَحِيفَةً

حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَيُنَادِي بِهِمْ عَلَى رِعْوَسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^(١)

عباد الله: إن المؤمن إذا أتى الله بقراب الأرض خطايا ثم لقي الله لا يشرك به شيئا غفر له كما جاء عن رسول الله ﷺ كما رواه الترمذي بسند صحيح: «... يَا بَنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ أَتَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(٢)

فيعطى المؤمن كتابه بيمينه وينطلق في أرض المحشر، وقد نجح في الامتحان وفاز في الاختبار الحقيقي.

وأخذ كتابه بيمينه فينطلق وقد أشرق وجهه وأنيرت أعضاؤه ..
ينطلق في أرض المحشر ليبشر المؤمنين .. ليبشر الموحدين ..
ينطلق وكتابه بيمينه فيمر على الناس ويقول لهم: ألا تعرفونني؟!
فيقولون من أنت؟! من أنت غمرتك كرامة الله ..
فيقول: انظروا .. هذا كتابي بيمينني شاركوني الفرحة ..
شاركوني السعادة .. شاركوني البهجة .. اقرءوا معي هذا الكتاب ..
انظروا .. هذا توحيددي وهذه صلاتي .. وهذا صيامي .. وهذه
زكاتي .. وهذا حجي .. وهذا برِّي .. وهذه صدقتي .. هذه
أعمال الصالحات ..

(١) رواه البخاري (٧٠ / ٥) في المظالم، باب قول الله تعالى: «ألا لعنة الله على الظالمين»، وفي تفسير سورة هود، باب قوله تعالى: «ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم» [هود: ١٨]، وفي الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، وفي التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم رقم (٢٨٦٨) في التوبة، باب توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٢) رواه أحمد (١٧٢ / ٥) والترمذي (٢٧٠ / ٢)، والدارمي (٣٢٢ / ٢) وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٢٧).

انظروا ﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ﴾ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴿٢٠﴾
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا
وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَقْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿الحاقة: ١٩-٢٤﴾ يالها من
سعادة، ويالها من فرصة، وياله من فوز . . اللهم اجعلنا من الفائزين .

وإن كانت الأخرى والعياذ بالله وعرض على الله جل وعلا وأخذ
كتابه بشماله أو من وراء ظهره اسودَّ وجهه، وكسي من سراويل القطران
وانطلق في أرض المحشر وهو يصرخ ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوْتِ كِتَابِيهِ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيهِ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي
مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩]

أين المال؟! أين السلطان؟! أين الجاه!؟

ذهب كل شيء، وضاع كل شيء!!!

احتضر هارون الرشيد وقام على فراش الموت فقال: «أنشدكم الله
أريد أن أرى قبوري الذي سأدفن فيه، فحملوا هارون الرشيد إلى
قبيره، فنظر هارون إلى قبره وبكى وازداد البكاء وارتفع النشيج، ثم رفع
هارون رأسه إلى السماء وقال : يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال
ملكه، ما أغنى عني ماله هلك عني سلطانيه» .

أَرَىٰ يَا عَبْدُكُمْ يَرَاكَ اللَّهُ عَاصِيًا حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا وَلِلْمَوْتِ نَاسِيًا
أَنْسَيْتَ لِقَاءَ اللَّهِ وَاللَّحْدَ وَالشَّرَى وَيَوْمًا عَبُوسًا تَشِيبُ فِيهِ النَّوَاصِيَا
لَوْ أَنَّ الْمَرءَ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَجَرَّدَ عُرْيَانًا وَلَوْ كَانَ كَاسِيَا
وَلَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ حَيًّا وَبَاقِيَا
وَلَكِنَّهَا تَفْتَنِي وَيَفْتَنِي نَعِيمُهَا وَتَبْقَى الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي كَمَا هِيَ

النَّفْسُ تُبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ
لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرِ طَابَ مَسْكُنُهُ
أَمْوَالُنَا لِلذُّوِي الْمِيرَاثِ نَجَمُهَا
وَكَمْ مِنْ مَدَائِنٍ فِي الْأَفَاقِ قَدْ بُنِيَتْ
لَا تَرْكُنَنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
وَأَعْمَلْ لِدَارِ غَدٍ رُضْوَانُ خَازِنِهَا
قُصُورُهَا ذَهَبٌ وَالْمَسْكُ طِينُهَا
أَنْهَارُهَا لَبَنٌ مُصَفًى وَمَنْ عَسَلَ
وَالطَّيْرُ تَجْرِي عَلَى الْأَغْصَانِ عَاكِفَةٌ
فَمَنْ يَشْتَرِي الدَّارَ فِي الْفِرْدَوْسِ يَغْمُرُهَا

أَنَّ السَّلَامَةَ فِيهَا تَرَكَ مَا فِيهَا
إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ بَيْنِهَا
وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا
وَدُورُنَا لَخَرَابِ الدَّهْرِ نَبِيهَا
وَأَمَسَتْ خَرَابًا وَأَفْنَى الْمَوْتِ أَهْلِيهَا
فَالْمَوْتُ لَا شَكَّ يُفْنِينَا وَيُقْنِيهَا
الْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ نَاشِيهَا
وَالزَّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابَتْ فِيهَا
وَالخَمْرُ بِجُرِي رَحِيقًا فِي مَجَارِيهَا
تُسَبِّحُ اللَّهَ جَهْرًا فِي مَغَانِيهَا
بِرَكْعَةٍ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ يُحْيِيهَا

﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩) خُذُوهُ ﴾

[الحاقة: ٢٨ : ٣٠]

خذوه وهو المعاند لله جل وعلا .. خذوه وهو المحارب لشرع الله
... خذوه وهو القائم على المعاصي والذنوب ..

وبعد ذلك كله تنصب الموازين .. بعد هذا كله؟! نعم

قال الإمام ابن أبي العز في الطحاوية^(١): قال القرطبي: قال
العلماء: إن الحساب لتقرير الأعمال، وإن الميزان لبيان مقدارها ليكون
الجزء بحسبها ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٢) وَمَنْ

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٧ ط المكتب الإسلامي

خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿

[المؤمنون ١٠٢-١٠٣]

ونحن نؤمن بالميزان ولاننكر ذلك كما أنكره بعض من يدعي العلم ورد في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْعَظِيمِ الثَّمِينِ فَلَا يَزَنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ثم قال ﷺ: «أَفْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَلَا نَقِيمَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ [الكهف ١٠٦]» (١).

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح أن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - صعد يوماً ليجني سواكا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ: «مَمَّ تَضْحَكُونَ؟»، قالوا: يانسى الله، من دقة ساقيه، فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ» (٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح إيمان أبي بكر» (٣).

وبعد ذلك أيها الأحباب ينصب الصراط ونكمل إن شاء الله بعد جلسة الاستراحة لنرى ما الذي سيحدث أسأل الله جل وعلا أن يسترنا وإياكم في الدنيا والآخرة وأقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) متفق عليه.

(٢) حسنه شيخنا الألباني في تخريج الطحاوية وقال: رواه الإمام أحمد في المسند (٤٥٠ / ١) بسند صحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة وعبد الله ابن الإمام أحمد بسند حسن في كتاب السنة.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العلمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه
وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد: فيا أيها الأجباب بعد هذا كله ينصب الصراط بين ظهراني
جهنم كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا
مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مریم: ٧١-٧٢]

ويمر الناس على الصراط كل بحسب عمله في هذه الحياة، فمنهم
من يمر على الصراط كالبرق ومنهم من يمر عليه كالريح ومنهم من يمر
عليه كأجاود الخيل ومنهم من يمر عليه يمشي، ومنهم من يمر عليه
يزحف على يديه وقدميه، ومنهم من يكرس في نار جهنم والعياذ
بالله. ومنهم من يعبر الصراط إلى جنات النعيم أتدرون ما جنات النعيم
قال عنها النبي عليه الصلاة والسلام:

في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة:

«قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(١).

نسأل الله جل وعلا أن نكون وإياكم من أهل الجنة، وأن يمتعنا بالنظر
إلى وجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

... الدعاء.

(١) رواه البخاري (٢٣٠/٦) في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، ومسلم رقم (٢٨٢٤)
في الجنة في فاتحته، والترمذي رقم (٣١٩٥) في التفسير، باب ومن سورة السجدة.

خُطْبُ الشَّيْخِ

مُحَمَّدِ حَسَنٍ

الجزء الخامس

دار ابن كثير



الشرك بالله



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر
الأمر محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في
النار .

آحبتني في الله .. نبدأ اليوم مع حضراتكم بإذن الله تعالى سلسلة

منهجية جديدة بعنوان :

« اجتنبوا السبع الموبقات »

وهي شرح لحديث صحيح رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»^(١).

اجتنبوا السبع الموبقات : أي المهلكات وسميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبها والعياذ بالله .

وقال الحافظ ابن حجر: الموبقات أي الكبائر .

وبدأ النبي ﷺ بالحديث عن أكبر الكبائر وهو الشرك .

وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز

الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية :

أولا : خطورة الشرك .

ثانيا : رحلة الشرك .

ثالثا : أقسام الشرك .

رابعا : فضل التوحيد .

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان .

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ

اليتامى ظلما﴾ ، وفي الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، وفي المحاربيين، باب

رمي المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم

(٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم والنسائي (٢٥٧/٦)

في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم.

أولاً : خطورة الشرك :

أحبتني في الله :

إن الشرك هو أظلمُ الظلم، وأقبحُ الجهل، وأكبرُ الكبائر .

ولذلك لم تدعُ الرسل جميعاً إلى شيء قبل التوحيد، ولم تنه الرسل جميعاً عن شيء قبل التنديد ، ولم يتوعد الله على ذنب أكثر مما جاء في الشرك من الوعيد الشديد .

قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٤٨) ﴿ [النساء : ٤٨]

وقال سبحانه : ﴿ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ

النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٧٢) ﴿ [المائدة : ٧٢]

بل وخاطب الله جل وعلا صفوة خلقه وهم الرسل قائلاً :

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٨) ﴿ [الأنعام : ٨٨]

بل وخاطب حبيبه وخليله وسيد أنبيائه وإمام أصفياه وقائد الموحدين وقدوة المحققين محمداً ﷺ بقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

﴿ ٦٥ ﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦٦) ﴿ [الزمر : ٦٥ ، ٦٦]

ومن ثم ورد في صحيح البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله

عنه أن النبي ﷺ قال : « مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ »^(١) .

(١) رواه البخاري رقم (١٢٣٨) في الجنائز في فاتحته، وفي تفسير سورة البقرة ،باب ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ﴾ ، وفي الإيمان والنذور، باب إذا قال : والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو هلل فهو على نيته، ومسلم رقم (٩٢) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

قال ابن مسعود: ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .
وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله أن رجلاً أتى النبي
ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ، ما المُوَجَّبَاتُ؟
فقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ
بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ»^(١).

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: كنت ردفت رسول الله
ﷺ، ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل: (كور البعير، ومؤخرته: الخشبة
التي في آخره يستند إليها الراكب).

قال: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ».

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك .

ثم سار ساعة فقال: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» .

قلت: لبيك الله وسعديك .

ثم سار ساعة فقال: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» .

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك .

قال: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»

قلت: الله ورسوله أعلم .

قال: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» .

ثم سار ساعة ثم قال: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» .

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك .

قال: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ» .

قلت: الله ورسوله أعلم .

(١) رواه مسلم رقم (٩٣) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

قال: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»^(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه كما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال:
«أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ
الْجَنَّةَ» فقلت: وإن زنى وإن سرق؟
قال: «وَأِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»^(٢).

وفي الصحيحين عن سعيد بن المسيب عن أبيه - رضي الله عنهما -
قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل
وعبدالله بن أبي أمية.

فقال النبي: «أَيُّ عَمٍّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ أَحْجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»،
فقال أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرَّغِبُ عَنْ مَلَةِ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ؟

فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان لتلك المقالة، حتى
قال أبو طالب آخر ما كلمهم: بل على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول:
لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: «لَا سَتُغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَّهُ عِنَّا»، فنزل

(١) رواه البخاري رقم (٧٣٧٣) في التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى
توحيد الله تبارك وتعالى، وفي الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، وفي اللباس، باب حمل
صاحب الدابة غيره بين يديه، وفي الاستئذان، باب من أجاب بليك وسعديك، وفي
الرفاق باب من جاهد نفسه، وفي العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، ومسلم رقم
(٣٠) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، والترمذي
رقم (٢٦٤٥) في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

(٢) رواه البخاري (٨٨/٣)، (٨٩) في الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله
إلا الله، وفي التوحيد باب كلام الرب جبريل ونداء الله الملائكة، ومسلم رقم (٩٤) في
الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، والترمذي رقم (٢٦٤٦) في
الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

قول الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهم أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣) ﴿

[التوبة: ١١٣]

وأُنزل الله عز وجل في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ :
 ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦) ﴿ [القصص: ٥٦] (١) .

والآيات والأحاديث في خطورة الشرك كثيرة جداً ولا يتسع الوقت
 للوقوف عليها .

ثانياً : رحلة الشرك :

فالسؤال الذي يقفز إلى الأذهان الآن ونحن نتحدث عن الشرك هو
 كيف وصل الشرك إلى الأرض؟
 وكيف دنس الفطرة التي فطر الله الناس عليها ؟
 والمشهور عند العلماء أن بداية ظهور الشرك كانت في قوم نوح
 على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

فلقد كان بنو آدم على ملة أبيهم آدم عليه السلام على شريعة من
 الحق والهدى كما روى ذلك شيخ المفسرين ابن جرير الطبري بسنده عن

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٨٣) في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، وفي الجنائز،
 باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، وفي تفسير سورة براءة، باب قوله تعالى :
 ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ وفي تفسير سورة القصص، وفي
 الإيمان والتذوق، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم فضلى أو قرأ أو سبح أو هلل فهو على
 نيته، ومسلم رقم (٢٤) في الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ولم
 يشرع في النزح والنسائي (٤/ ٩٠، ٩١) في الجنائز باب النهي عن الاستغفار للمشركين .

ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث النبيين مبشرين ومنذرين .
نعم . . كان الناس على شريعة من الحق والهدى حتى زين الشيطان - عليه لعنة الله - لقوم نوح عبادة الأصنام التي نصبوها بأيديهم لرجال صالحين من قوم نوح من أجل أن لا تُنسى سيرتهم ويظلوا يذكرونهم دائماً .

فلما انقضت الأعمار وهلك هؤلاء ونسي العلم عُبِدت هذه الأصنام من دون الله عز وجل كما روى البخاري ذلك في كتاب التفسير في سورة نوح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال:

« صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما وُدُّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سُوَاعُ فكانت لهذيل، وأما يغوثُ فكانت لمراد، ثم لبني غُطَيْف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نَسْرٌ فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عُبِدت »^(١) .

ومعنى تنسخ العلم: أي علم تلك الصور بخصوصها .

وقال الحافظ في الفتح:

أخرج الفاكهي من طريق عبيد بن عمير قال: أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح، وكانت الأبناء تبر الآباء، فمات رجل منهم

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٢٠) في التفسير، باب (ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق)

فجزع عليه، فجعل لا يصبر عنه، فاتخذ مثالا على صورته فكلمنا اشتاق إليه نظره، ثم مات ففعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فلما مات الآباء فقال الأبناء: ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم فعبدوها. اهـ^(١).

فلما أراد الله أن يرحمهم وأن يخرجهم من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد أرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل في الليل والنهار في السر والعلانية .

ولكنهم عاندوا وأصروا واستكبروا استكباراً عنيداً:
﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]

فلما يش منهم نبي الله نوح دعا عليهم بقوله :
﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦]
فاستجاب الله لنيبه فأهلكهم بالطوفان قال تعالى :
﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ
وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [٤٠] وَقَالَ
ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ
تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ
ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ
الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ

(١) فتح الباري (٨ / ٥٣٧) ط . دار الريان في شرح أثر ابن عباس السابق .

فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

﴿٤٤﴾ [هود: ٤٠-٤٤]

ثم جاء من بعد قوم نوح قوم عاد فعبدوا آلهة أخرى مع الله جل وعلا منها هذا وصدى وصموداً فأرسل الله إليهم هوداً عليه السلام فدعاهم إلى التوحيد وقال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠] فاستكبروا وكذبوا فأهلكهم الله بالريح .

ثم جاء من بعدهم قوم ثمود فأرسل الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى التوحيد فكذبوه وحاربوه وعاندوه فأهلكهم الله بالصيحة .

ثم جاء من بعدهم قوم إبراهيم عليه السلام فعبدوا الأصنام والشمس والقمر والنجوم فأرسل الله إليهم خليله إبراهيم عليه السلام ولم يبعث من بعده نبياً إلا من ذريته، فكل الأنبياء والرسل من ذرية إسحاق عليه السلام .

أما إسماعيل فلم يبعث الله من ذريته إلا نبينا محمداً ﷺ الذي فضله الله على جميع الأنبياء والمرسلين .

ثم انتقل الشرك إلى بنى إسرائيل، فعبد أولهم العجل الذي حرّمه موسى وهارون - عليهما السلام - وعبد آخرهم عزيزاً وجعلوه ولدأ لله تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

ثم عبدالنصارى المسيح ابن مريم .

ثم انتقل الشرك إلى العرب، وانتقل إلى أرض الجزيرة العربية على يد عمرو بن عامر الخزاعي - قبحه الله - .

كما أخبر بذلك نبينا ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من

حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال :
 «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ الْخَزَاعِيَّ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ
 السَّوَابِقَ» .

وفي لفظ أحمد « وَغَيْرِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ »^(١) .
 وَقُصْبَهُ بضم القاف وتسكين الصاد يعني أمعاءه .
 ثم بدأت الأصنام تكثُرُ وتنتشرُ في أرض الجزيرة بل وحول الكعبة
 حتى ثبت في الحليه وسير أعلام النبلاء بسند صحيح عن أبي رجاء
 العطاردي قال: كنا نعبدُ الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً أحسنَ
 منه ألقينا الأول وأخذناه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا كومةً من تراب ثم
 جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به .
 فمَنَّ الله عليهم بل وعلى البشرية كلها، فبعث فيهم إمام الموحدين
 وقدوة المحققين وسيد الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ وامتن الله عليهم
 بذلك فقال:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو
 عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي
 ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

فقام النبي ﷺ يدعوهم إلى توحيد الله عز وجل ينقذهم من هذا
 الجحيم الذي أشعلوه بأيديهم وعشقوا التلظى بناره، فمنهم من عاند
 وأعرض وكفر وقالوا:

(١) رواه البخاري رقم (٣٥٢١) في الأنبياء، باب قصة خزاعة، وفي تفسير سورة المائدة،
 باب (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)، ومسلم رقم (٢٨٥٦) في
 الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء .

﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ [ص: ٥-٧]

وقامت هذه الفئة الكافرة لتصب الفتن والإيذاء والعذاب صباً على رؤوس أصحابه، وتضع الحواجز والسدود في طريق الدعوة !! .
ولكن هذا كله لم يزد المؤمنين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان إلا صبراً وصلابة وإيماناً حتى جاء نصر الله ودخل الناس في دين الله أفواجاً.
وظلت الأمة ترفل في ثوب التوحيد الذي كساها إياه إمام الموحدين وقدوة الناس أجمعين ﷺ حتى أطلت الفتن برأسها الظلوم ووجهها الكالح الغشوم، وابتعدت الأمة رويداً رويداً عن حقيقة التوحيد!!
وبدأ الشرك يُطل برأسه من جديد، وكثرت صورته ومظاهره ووقع فيه كثير ممن يتسمون بالمسلمين إلا من رحم الله جل وعلا !!!

فلم يعد الشرك متمثلاً في هذه الصورة الساذجة التي كان يزاولها المشركون قديماً في صورة حجر يصنعونه بأيديهم ثم يصرفون له العبادة من دون الله عز وجل بل لقد تعددت صورُ الشرك وكثرت الآلهة التي تُعبد في الأرض من دون الله عز وجل في مجال الاعتقاد وفي مجال النسك، وفي مجال التشريع !!

ولا يتسع الوقت للتفصيل ولكن يكفي أن نعلم أنه إلى يومنا هذا يوجد في الهند أكثر من مئتي مليون بقرة تُعبد من دون الله عز وجل !!
وتُقام المعابدُ الفخمة الضخمة التي تقرب إليها القرابين والنذور !!
ولكن هل يا ترى أتعلمون ما هي الآلهة التي تعبد في هذه المعابد الضخمة !!! إنها الفئران !! نعم .. إنها الفئران !!!

وهذا كله يُلقى علينا نحن الموحدين مسئولية كبيرة أمام الله عز وجل .

فما الذي قدمناه !!؟ وما الذي بدلناه !!؟
 علماً بأن إصدار الأحكام على الناس فقط دون التحرك وبسرعة
 لدعوتهم إلى التوحيد الخالص لن يغير من واقع الأمر شيئاً .

ثالثاً : أقسام الشرك :

أحبيتي في الله : الشرك نوعان : أكبر وأصغر .
 فالشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه .
 وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحبُّ الله ويخافُه كما
 يخافُ الله عز وجل وهذا هو شرك التسوية، كما قال الله حكاية عن
 المشركين لآلهتهم في النار : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ
 نُسَوِّدُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]

نعم فلقد كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة !!
 كما أنهم اتخذوهم أرباباً يشرعون لهم من دون الله عز وجل
 فعظموا تشريعهم وآراءهم أعظم من شرائع الله رب العالمين !!
 ولذلك لما سأل أبو هريرة - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ قائلاً يا
 رسول الله : من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟!
 قال : «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَوْلَ مِنْكَ،
 لَمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ
 قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»^(١) .

(١) رواه البخاري رقم (٩٩) في العلم باب الحرص على الحديث ، وفي الرقاق، باب صفة
 الجنة والنار .

والشاهد هو كيف أن رسول الله ﷺ قد جعل أعظم الأسباب التي تُنال بها شفاعته هي تجريد وإخلاص التوحيد لله العزيز الحميد .
فلا شفاعاة على الإطلاق لهذه الآلهة المكذوبة المدعاة التي يعبدها عبادهما ظناً منهم أنها ستشفع لهم عند الله عز وجل :

وقد قال الله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقال عز وجل : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الانبيا: ٢٨]

وأنة تعالى لا يرضي من القول والعمل إلا التوحيد .
وصدق الله إذ يقول : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الاسراء: ٥٦]
القسم الثاني : الشرك الأصغر :

وقد عرّفه النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والطبراني في الكبير وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع من حديث عمران بن الحصين أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ » .

قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال : « الرِّبَاءُ ، يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَازَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَنَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً »^(١)
والرياء لغة : مشتق من الرؤية .

وشرعاً : هو أن يقوم العبد بالأعمال لا يريد بها وجه الله عز وجل فحدّ الرِّياء هو إرادة العباد ببطاعة الله عز وجل .

(١) رواه أحمد والطبراني في الكبير وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم

والرياءُ محبطٌ للأعمال لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً .

والخالص: هو ما ابتغي به وجه الله عزَّ وجلَّ .

والصواب: هو ما كان موافقاً لهدي رسول الله ﷺ .

يقول الله تعالى :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

أحداً ﴾ [الكهف: ١١٠]

وفي الحديث الذي رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَّفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَن يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَّفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، بَلْ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَّفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١).

(١) رواه مسلم رقم (١٩٠٥) في الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق

النار، والترمذي رقم (٢٣٨٣) في الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة، والنسائي

(٢٣/٦، ٢٤) في الجهاد، باب من قاتل ليقال: فلان جريء.

وأخيراً أرى من الحكمة أن نريح القلوب الموحدة بعد أن أتعناها بهذا الحديث الطويل عن الشرك . . . وأن نرف إليها بعض البشريات النبوية الكريمة في فضل تحقيق التوحيد وإخلاص العبودية والعبادة لله العزيز الحميد .

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

« مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » .

وفي رواية « أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيُّهَا شَاءَ »^(١) .

وفي رواية عتبان بن مالك: « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَغَيَّرُ بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ » .

وفي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصحح الحديث شيخنا الألباني في صحيح الجامع من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي قال: « إِنْ اللَّهُ سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ ثُمَّ يَقُولُ أَنْتَ كَرُمٌ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبْتِي » .

(١) رواه البخاري رقم (٣٤٣٥) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ »، ومسلم رقم (٢٩) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، والترمذي رقم (٢٦٤٠) في الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يتحمل مع اسم الله تعالى شيء^(١).

ومعلوم أن السر الذي ثقل البطاقة وطاشت من أجله السجلات هو التوحيد الخالص الذي لو وضعت ذرة منه على جبال من الذنوب والخطايا لأذابتها وبددتها بحول الله جل وعلا فإن للتوحيد نوراً يبدد ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة هذا النور .

ونختم بهذا الحديث الصحيح الذي رواه مسلم والترمذي وهذا لفظ الترمذي من حديث أنس أن النبي ﷺ قال:

قال تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني: غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(٢)

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه شيخنا

الألباني في الصحيحة (١٣٥) وصحيح الجامع (١٧٧٦) .

(٢) رواه الترمذي في الدعوات رقم (٣٥٣٤) باب رقم (١٠٦) وذكره الحافظ في الفتح

وقال: رواه ابن حبان وصححه وحسنه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٢٧) وصحيح

الجامع رقم (٤٣٣٨) وقال: رواه الترمذي والدارمي (٢/٣٢٢)، وأحمد (٥/١٧٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ - فيما يحكى عن ربه
تبارك وتعالى - قال: «أذنبَ عبدٌ ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقالَ
تبارك وتعالى: أذنبَ عبدي ذنباً فعلمَ أن له رباً يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ،
ثم عادَ فأذنبَ، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي فقالَ تبارك وتعالى: عبدي
أذنبَ ذنباً فعلمَ أن له رباً يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ، ثم عادَ فأذنبَ، فقالَ:
أي رب، اغفر لي ذنبي، فقالَ تبارك وتعالى: أذنبَ عبدي ذنباً، فعلمَ أن له
رباً يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»^(١).

والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم

... الدعاء

(١) رواه البخاري رقم (٧٥٠٧) في التوحيد ، باب قول الله تعالى: «يريدون أن يبدلوا
كلام الله» ومسلم رقم (٢٧٥٨) واللفظ في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب.



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل
ضلالة في النار .

أحبتني في الله ...

هذا هو لقاءنا الثاني مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ

في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:

« اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » قالوا: يا رسول الله وما هن؟
قال: « الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ،
وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّيَ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ
الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ »^(١).

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الثانية ألا وهي: «السحر»

السحر:

والسحرُ عالمٌ عجيبٌ تختلط فيه الحقيقة بالخرافة.. والعلم
بالشعوذة.. كما تختلط فيه الدوافع والبواعث.. والغايات
والأهداف!!

وهو عالمٌ ظاهره جميلٌ خلابٌ يفتن قلوبَ البسطاء ويخدعُ السذج
والرعاع!!

وباطنه قذرٌ عفن يتجافي عنه أولو الألباب وينأى عنه أصحابُ
القلوب المستنيرة والفطر السليمة!!

وتاريخ السحر تاريخٌ أسود قاتم!!

فهو خدعة شيطانية يضل بها شياطين الإنس والجن عبادَ الله فيوقعونهم
بالسحر في أعظم جريمة جريمة الكفر والشرك والضلال!!^(٢)

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو
داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، والنسائي
(٢٥٧/٦) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم.

(٢) عالم السحر والشعوذة لعمر الأشقر ص ٧، ٨.

أحبتني في الله :

لقد أصبح التوجه إلى السحر والسحرة في هذا العصر المتطور منذراً
بالخطر!!

فلقد أذقت الحياةُ الماديةُ الجافة البشرية البلاء العظيم فلقد قست
القلوب! وجفت ينابيع الخير في أرواح أكثر الناس!!

فكثرت العقد والمشكلات النفسية التي أصبحت سمة العصر .
وأخذ كثيرٌ من الذين فقدوا راحة القلب وطمأنينة النفس يلجأون
إلى السحرة والمشعوذين!!

يبحثون عندهم عن حل لمشكلات استعصت على علماء النفس
وأساتذة علم الاجتماع، فكانوا بذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار!!^(١)
ونظراً لخطورة هذا الموضوع فسوف أفردُ له لقاءين كاملين بإذن الله
جل وعلا وسينتظم حديثي في العناصر التالية :

أولاً : تعريف السحر في اللغة والاصطلاح .

ثانياً : حقيقة السحر وأنواعه .

ثالثاً : هل سحر النبي ﷺ .

رابعاً : حكمُ السحر وحدُ الساحر .

خامساً : الوقاية من السحر .

فأعيروني القلوبَ والأسماعَ فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان .

(١) المصدر السابق .

أولاً: تعريفُ السحر في اللغة والاصطلاح:

يُطلق السحرُ في لغة العرب على كل شيءٍ خفي سببه .

وقال أبو عبيد: أصلُ السحرِ صرفُ الشيء عن حقيقته إلى

غيره، قال عز وجل: ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) ﴾ [المؤمنون: ٨٩]

أى فأنى تصرفون، وهذا الصرف قد يكون للعين وهو الأخذة التي تأخذ العين فلا ترى الأشياء على حقيقتها، وقد يكون للقلب من

البغض إلى الحب أو من الحب إلى البغض .

وقد يكون هذا الصرف بالقول الحلال فهو البيان .

ومن صحيح البخاري وغيره في كتاب الطب من حديث عبدالله

ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: « إِنْ مِنَ الْبَيَانِ

لِسِحْرًا »^(١)

أما تعريف السحر في اصطلاح العلماء :

قال الفخر الرازي في تفسيره: اعلم أن لفظ السحر في عرف

الشرع مختص بكل أمرٍ يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري

مجرى التمويه والخداع .

(١) رواه البخاري رقم (٥٧٦٧) في الطب، باب إن من البيان لسحراً، والموطأ (٩٨٦/٢)

في الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، وأبو داود رقم (٥٠٠٧) في

الأدب، باب ما جاء المتشدد في الكلام، والترمذي رقم (٢٠٢٩) في البر، باب ما جاء

في أن من البيان سحراً، ورواه مسلم رقم (٨٦٩) في الجمعة، باب تخفيف الصلاة

والخطبة وأبو داود رقم (١١٠٦) في الصلاة، باب إقصار الخطبة، عن أبي وائل قال: خطبنا

عمار، فأوجز وأبلغ فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت

تنفست؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنْ طُولُ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصْرُ خُطْبَتِهِ

مِنَّةٌ مِنْ فَهْمِهِ، فَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ وَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا» .

ووافقه الإمام الجصاص في هذا التعريف وغيره وهؤلاء هم الذين يرون بأن السحر لا حقيقة له إنما هو تخيل وسوف نوضح هذا إن شاء الله عز وجل .

وعرف السحر الإمام ابن قدامة في كتاب المغني مع الشرح الكبير في المجلد العاشر فقال: السحرُ هو عُقدٌ ورُقَى وكلامٌ يتكلم به (أى الساحر) ويكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له وله (أى للسحر) حقيقة، فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يُحبب بين اثنين . ١. هـ .

وهنا يجب أن نفرق بين السحر والكرامة والمعجزة، فالسحر اتفاق بين الساحر والشيطان على أن يقوم الساحر بفعل الكفر والشرك وكل ما هو محرم في مقابل أن يساعده الشيطان وأن يعينه في كل ما يطلبه منه الساحر .

وكلما ازداد الساحرُ كفرًا بالله وعبادةً للشيطان كلما ازداد الشيطان له طاعة .

أما الكرامة فلا تكون إلا للولي .

وأما المعجزة فلا تكون إلا للنبي .

وجماعهما الأمرُ الخارقُ للعادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى في المجلد الحادي عشر .

ثانياً : حقيقةُ السحر وأنواعه :

بعد أن تعرفنا على معنى السحر لغة واصطلاحاً نقف الآن على حقيقة السحر .

يقول الإمام القرطبي^(١) : «ومذهبُ أهلِ السنة والجماعة أن السحر ثابت وله حقيقة وقد اتفق على هذا أهلُ الحِلِّ والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ولا عبرة مع اتفاقهم للمخالفين » .

وقال الإمام النووي : «قال بعض أصحابنا - أي من الشافعية - : بأن السحر لا حقيقة له وإنما هو تخيل ، والصحيح أن السحر له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدلُّ عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة»^(٢) .

واستدل القائلون بأن السحر تخيلٌ لا حقيقة له بقول الله عز وجل :

﴿ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه: ٦٦]

ويقول جل وعلا: ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦]

واستدلوا بأن السحرة لا يقدرُونَ أبداً على قلب حقائق الأعيان كتحويل الحصى إلى ذهب أو كتحويل الورق إلى أموال وغير ذلك ولو كانوا يملكون ذلك لكانوا أغنى الناس وما تحايلوا على أكل أموال الناس بالباطل .

استدلوا أيضاً بأن السحرة لو قدروا على فعل ذلك لاختلط الحق بالباطل والسحر بالمعجزة .

(١) تفسير الإمام القرطبي : (٤٦/٢) .

(٢) عالم السحر والشعوذة ص ٩٠ نقلا عن روضة الطالبين للنووي (٣٤٦/٩) .

واستدل الجمهور من أهل العلم على أن السحر حقيقة لا تخيل بأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة .

كقول الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٢]

فقد أخبر الحق تبارك وتعالى في هذا النص القرآني الكريم أن الشياطين يعلمون الناس السحر وأن الناس يتعلمون منهم .

وإذا لم يكن للسحر حقيقة فماذا يُعلمون وماذا يتعلم الناس !!؟
وأن النص القرآني قد صرح بأن الساحر يفرق بسحره بين المرء وزوجه، واستدلوا بقول الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]

والنفاثات في العقد هن الساحرات اللواتي يعقدن السحر وينفنن عليه .

قال الجمهور: ولولا أن للسحر حقيقة ما أمر الله بالاستعاذة منه واستدلوا على حقيقة السحر بوجوده في الواقع .

يقول ابن القيم: والسحر الذي يؤثر مرضاً وثقلاً وعقلاً وحباً وبغضاً ونزيفاً موجود تعرفه عامة الناس .

ومن أقوى أدلتهم سحر النبي ﷺ وسوف أتحدث عنه في العنصر

الثالث حالاً بإذن الله .

ولكن يجب أن نعلم أن تحقيق هذا الخلاف أن الذين قالوا بأن السحر كُله حقيقة قد جانبوا الصواب في المسألة . وكذلك الذين قالوا إن السحر كله تخيل لا حقيقة له قد جانبوا الصواب أيضاً .

والتحقيق أن السحر أنواع منه ماله حقيقة ومنه ما هو تخيل لا حقيقة له .

فالسحر الحقيقي: هو الذي يعتمد فيه الساحر على الجن والشياطين وعبادة الكواكب والنجوم .

وكلما ازداد الساحر كفراً وزندقة ازداد الجن والشيطان له طاعة . وسحر التخيل الذي لا حقيقة له في الواقع، مبني على الأخذ بالعيون فترى الشيء على خلاف ما هو عليه، في الحقيقة .

يقول الحافظ ابن كثير:

وإن سحر سحرة فرعون كان من هذا النوع وقد جاءت النصوص القرآنية صريحة بأنه كان تخيلاً وأخذاً بالعيون قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيهِمْ يَخِيلُ إِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦]

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الاعراف: ١١٦]

لأن إيقاع السحر على أعين الناس يدل على أن أعينهم تخيلت غير الحقيقة الواقعة .

ومن ثم نخلص إلى أن السحر منه ما هو حقيقي ومنه ما هو تخيل والله أعلم .

وهنا يثور هذا التساؤل الخطير: هل سحر النبي ﷺ حقاً ؟

والحديث رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والنسائي والبيهقي وغيرهم من عدة طرق عن عدد من أصحاب النبي ﷺ وهذا لفظ حديث عائشة في صحيح البخاري في كتاب الطب قالت:

سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَيْدٌ بِنِ الْأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ ^(١) حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعُرْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتَهُ فِيهِ؟».

قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: «أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَا أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرَ عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ، فَقَالَ مَطْبُوبٌ (أَي مَسْحُورٌ) قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَيْدٌ بِنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِي. قَالَ فِي أَي شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ «والمشاطة أي الشعر المتساقط من الرأس واللحية عند ترجيلهما» وَجُفٌّ طَلَعَةٌ ذَكَرَ (أَي عَلَى الْغِشَاءِ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الطَّلَعِ) قَالَ وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بَثْرِ ذِي أَرْوَانَ» ومن الرواة من قال: «فِي بَثْرِ ذَرْوَانَ»، قال: وذروان: بثر في بني زريق - فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البثر فنظر إليها، وعليها نخل.

قال: ثم رجعت إلى عائشة - رضي الله عنها، فقال: «وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْجَفَاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ».

قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟

(١) قال النووي في شرح مسلم: قال القاضي عياض: كل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الضلالة، قال: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده.

قال: «لا، أمّا أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أتورّ على الناس منه شراً» وأمر بها فدُفنت^(١).

وعن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: سحر النبي ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، فأتاه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك، عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا، فأرسل رسول الله ﷺ فاستخرجها فحلّها، فقام رسول الله ﷺ كأنما أنشط من عقالٍ، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط^(٢).

وقد ردّ كثيرٌ ممن ينسبون إلى العلم هذا الحديث الصحيح وتبعهم في ذلك من يقدمون العقل على النقل ويردون النصوص التي لا تقبلها عقولهم.

ويرون عقولهم ميزاناً يعرفون به صحيح الحديث من سقيمه معرضين عن منهج المحدثين من سلف الأمة الذين أرسوا قواعد علم الحديث ومصطلحه.

ولو كانت العقول وحدها ميزاناً لمعرفة الصحيح المنقول من سقيمه لكان كل خبر دائراً بين القبول والرد.

نعم فهؤلاء يرونه موافقاً لعقولهم فيقبلونه وآخرون يرونه مخالفاً

(١) رواه البخاري رقم (٥٧٦٦) في الطب، باب السحر، وباب هل يستخرج السحر، وباب السحر وفي الجهاد باب هل يعفى الذمي إذا سحر، وفي الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، ومسلم رقم (٢١٨٩) في السلام، باب السحر، ورواه أيضاً أحمد والنسائي وابن سعد والحاكم وعبد بن حميد وابن مردويه، والبيهقي في «دلائل النبوة» وغيرهم.

قال ابن القيم في «بدائع الفوائد»: وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم متلقى عندهم بالقبول.

(٢) رواه النسائي (١١٢/٧، ١١٣) في تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب، وإسناده صحيح.

لعقولهم فيردونه .

ورضي الله عن عليٍّ إذ يقول : لو أخذ الدين بالعقل لكان المسح
على باطن الخف أولى من المسح على أعلاه !!

فالعقل له دوره وله وظيفته وله أيضاً حدوده ونور الوحي لا
يطمس نور العقل أبداً بل يباركه ويقويه ويزكيه .

وليس إبداع العقل في الجانب المادي والعلمي دليلاً على صوابه
ودفته في الجانب الديني الذي لا بد فيه من التقيد بنور الوحي .

نعم . . فهذا هو العقل الروسي الجبار يدافع عن الكفر والإلحاد
وشعاره أنه يؤمن بثلاثة ويكفر بثلاثة، يؤمن بماركس ولينين وستالين،
ويكفر بالله وبالدين وبالملكية الخاصة !!!

وهذا هو العقل الأمريكي الجبار يدافع عن الشذوذ الجنسي، وعن
زواج الرجل للرجل، وعن العنصرية اللونية البغيضة، وما أحدث
لوس أنجلوس عنا ببعيد !!!

وهذا هو العقل اليوناني يدافع عن الدعارة !!!

وهذا هو العقل الروماني يدافع عن مصارعة الثيران !!!

وهذا هو العقل الهندي يدافع عن عبادة البقر !!!

وهذا هو العقل العربي في جاهليته الأولى يدافع عن وأد البنات
وهن أحياء !!

وهذا هو العقل العربي يدافع عن الكفر والإلحاد باسم البعثية
والقومية فيقول قائلهم :

آمنتُ بالبعث ربّاً لا شريكَ لهُ وبالعرُوبَةِ ديناً ما لهُ ثَانٍ !!!

ويقول آخر :

هَبُونِي عِيداً يَجْعَلُ الْعَرَبَ أُمَّةً وَسِيرُوا بِجُثْمَانِي عَلَى دِينِ بَرِّهِمْ
سَلَامٌ عَلَى كُفْرٍ يُوحِدُ بَيْنَنَا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بَعْدَهَا بِجَهَنَّمَ
هذا هو العقل البشري الذي فَجَّرَ الذَّرَّةَ في الجانب المادي يفجر
الكفر والإلحاد والزندقة في الجانب الديني !!!

هذا هو العقل البشري الذي غاص في أعماق البحار يغوص في
أعماق الكفر والشرك والأحوال !!!

فالعقل له حدوده وله دوره ولا ينبغي أن يتعدى هذه الحدود أو
يتخطاها وأن يحكم على النصوص الصحيحة الصريحة بعقله القاصر
وحكمه الضيق .

فالذين ردّوا حديث سحر النبي ﷺ ادّعوا بأن الحديث باطل
ومقدوح في سنده والحديث مخرج في أصح كتابين بعد كتاب الله عز
وجل في صحيح البخاري ومسلم .

وإذا وجدت الحديث قد اتفق عليه الشيخان فإنه يكون في ذروة
قمم الصحة، وإذا وجدت الرجل يطعن في حديث رواه الشيخان فاعلم
بأن بضاعته في علم الحديث مزجاء . هذا إن أحسنَّ الظن به !!

أما دعواهم بأن الحديث يقدح في مقام النبوة ويتنافي مع العصمة
التي منحها الله لنبيه ﷺ في قوله ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

[المائدة: ٦٧]

وأن هذا الحديث يصدق المشركين الذين اتهموا الرسول بأنه مسحور
كما قال الله عز وجل فيهم : ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَّسْحُورًا﴾ (٤٧) ﴿[الاسراء: ٤٧]

والجواب على هذا أن الرسول ﷺ معصوم باتفاق في جانب التبليغ

والتشريع : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾

[النجم: ٤]

وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية كأنواع المرض والآلام والإصابة في المعارك فهذا لا يقدر في مقام النبوة ولا ينافي العصمة وجميع الأنبياء يعترهم من ذلك ما يعترى البشر جميعاً :

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [إبراهيم: ١١]

وقال جل وعلا مخاطباً رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠]

والسحر علة من علل الدنيا ومن أمراضها كسائر الأمراض .
وهذه قدر الله أن تكون للنبي ﷺ كما تكون لغيره .
فقد أثرت فيه الحمى وأثر فيه السم وجرح وجهه في غزوة أحد، وكسرت رباعيته .

وسبقه من إخوانه من الرسل من قتل، ومن عذب، وأوذى .
وفي سنن الترمذي وقال حسن صحيح من حديث سعد - رضي الله عنه - قال : يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال : «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُتَلَى الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بِلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلَاهُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(١) .

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤٠٠) في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وقال الترمذي حسن صحيح وهو كما قال، ورواه أيضاً أحمد والدارمي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وغيرهم .

وأما قولهم بأنه موافق لقول المشركين : ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٨].

فمن المعلوم لكل أحد أن المشركين أرادوا بذلك أن ما يتلوه محمد
من قرآن نزل عليه من عند الله إنما هو سحر يفرق بين الابن وأبيه
والأخ وأخيه والزوج وزوجه .

كما حكى منهم ذلك في سورة المدثر حكاية عن الوليد بن المغيرة
: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَفَقْتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ
نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) ﴾ [المدثر: ١٨-٢٥]

ويبقى لنا أن نتحدث عن حكم السحر وحد الساحر وعن طرق
الوقاية من السحر وإبطاله، وهذا موضوعنا في اللقاء القادم إن شاء الله
جل وعلا .

وصلى الله وسلم على محمد ﷺ .

... الدعاء



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل
ضلالة في النار .

أحبتني في الله :

هذا هو لقاؤنا الثالث مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قالوا: يا رسول الله، وما هن؟

قال « الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ »^(١).

ولا زال حديثنا عن السحر وأحكامه .

ولقد تحدثنا في اللقاء الماضي عن السحر لغة واصطلاحاً وعن حقيقة السحر وأنواعه، ثم أجبنا على سؤال هام ألا وهو هل سحر النبي ﷺ!

ونحن اليوم على موعد مع العنصرين الآخرين من هذا الموضوع وهما:

حكمُ السحر وحدُّ الساحر .

وأخيراً: علاجُ السحرِ والوقاية منه .

(١) رواه البخاري (٢٩٤/٥) في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾، وفي الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، وفي المحاريرين، باب رمي المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، والنسائي (٢٥٧/٦) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم .

أما عن حكم السحر :

فقد قال الحافظ ابن حجر :

وقد دلت آية البقرة وهي قول الله تعالى :

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا
أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا
إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢]

على أن السحر كفرٌ ومتعلمه كافرٌ أي الساحر، وهو واضح في بعض
الأنواع وهو التعبد للشياطين أو للكواكب، وأما النوع الآخر الذي هو من
باب الشعوذة فلا يكفر به أصلاً .

وهنا يثور سؤال خطير وهو: من الذي كفر سليمان ولماذا ؟

وأود أن أتوقف قليلاً مع آيات السحر في سورة البقرة باعتبارها
العمدة في الأحكام التي تتعلق بالسحر؛ ولأن بعض كتب التفسير قد
شحت بكثير من الأخبار الموضوعية المكذوبة في تفسير هذه الآيات .

وسبب نزول هذه الآيات أن الله تعالى أنزل إلى بني إسرائيل
شريعة مباركة طيبة هي شريعة التوراة فتركوها ونبذوها واشتغلوا
بالسحر الذي يعبدون للشيطان!!

فلما جاءتهم الشريعة الغراء التي أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ
استمروا على ضلالهم في اتباع السحر والإعراض عن الشريعة وزعموا
أن نبي الله سليمان إنما سخرت له الجن والإنس والطير والريح بالسحر
فأنزل الله هذه الآيات ذاماً لهم مبيناً كفرهم وضلالهم مبرئاً عبده ونبيه

سليمان - عليه السلام - مما رماه به أهل الضلال والبهتان .

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير قولاً عن ابن اسحاق في سبب نزولها فقال: إنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبياً؟ والله ما كان إلا ساحراً فنزلت الآية

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني^(١):

اختلف في المراد بالآية فقيل إن سليمان كان قد جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه، فلم يكن أحد من الشياطين ليستطيع أن يدنو من الكرسي، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر جاءهم الشيطان في صورة إنسان فقال لليهود هل أدلكم على كنز سليمان الذي لا نظير له؟!؟

قالوا: نعم.

قال: فأحضروا تحت الكرسي فحضروا فوجدوا تلك الكتب .

فقال لهم: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس بهذا ففشا بينهم أن سليمان كان ساحراً .

فلما نزل القرآن يذكر سليمان في الأنبياء أنكرت اليهود ذلك وقالوا ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبياً؟ والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت هذه الآية .

والأثر أخرجه الطبري وغيره عن السُّدي ومن طريق سعيد بن جبير نحوه بسندٍ صحيح، ومن طريق عمران بن الحارث عن ابن عباس

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (٢٢٣/١٠) ط دار المعرفة بيروت

موصولاً بمعناه .

وأما ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت وماروى عن علي وابن عباس وغيرهما فهذا كله من كذب اليهود وافتراءهم ولم يُنقل في هذا خبرٌ صحيحٌ عن رسول الله ﷺ .
يقول الحافظ ابن كثير^(١):

والأحاديث والآثار الواردة في قصة هاروت وماروت حاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديثٌ مرفوعٌ صحيحٌ متصلٌ الإسنادُ إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى .

وظاهرُ سياق القرآن هو إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراه الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال

وأما تعليمُ الملكين السحرة للناس بصريح النص القرآني فهذا من باب الفتنة والاختبار والابتلاء .

ولله أن يختبر عباده بما يشاء وقد خلق الله إبليسَ الذي هو أصلُ الشر كله ونهي العباد عن متابعتة وحذر منه واختبر جيش طالوت بعدم الشربِ من النهر والملك كان ليسا بعاصيين لله في حال تعليمهما السحرة للناس بل هما مطيعان لله، وذلك أنهما مكلفان بهذا من الله تعالى ابتلاءً واختباراً من الله لعباده .

والخلاصة أن الآية قد دلت على أن السحر كفر وأن الساحر كافر

(١) تفسير القرآن لابن كثير : [٢٤٨/١] .

وهذا بلا خوف متعلق بالسحر الحقيقي الذي يعتمد فيه الساحر على الكفر بالله العظيم والاستعانة بعبادة الجن والشياطين والنجوم والكواكب وكلما ازداد الساحر كفراً أو شركاً ازداد الجن والشيطان له طاعة .

ويقول حافظ حكيمي في المعارج:

وقد علم أن السحر لا يُعمل إلا مع كفر بالله وهذا معلوم من سبب نزول الآية .

ويقول الإمام النووي - رحمه الله تعالى -:

عملُ السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عدّه النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر فهو كفر وإلا فلا .

وقال القرطبي:

قال أهل الصناعة إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والشرك أو التعظيم للشيطان فالسحر إذن دال على الكفر على هذا التقدير .

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد:

«لما كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يتأتى السحر بدون الشرك أدخله المصنف في كتاب التوحيد لبيان ذلك تحذيراً»، كما ذكر غيره من أنواع الشرك .

وقال ابن عابدين:

ولعل ما نُقل عن الأصحاب أي القول بكفر الساحر مبني على أن السحر لا يتم إلا بما هو كفر كما يفيد قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

ومن ثم كان حَدُّ الساحر في الإسلام هو القتل .

وفي سنن أبي داود عن بجالة بن عبده قال :

كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة^(١) .

بجالة بن عبده، هو التميمي العنبري تابعي ثقة .

« حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ » فهو حديث ضعيف .

وبهذا القول قال مالك وأحمد وأبو حنيفة وقال من الصحابة عمرو

عثمان وابن عمر وحفصة وغيرهم .

ولم ير الشافعي القتل للساحر بمجرد السحر إلا من عمل في سحره

ما يبلغ الكفر . وهي رواية عن أحمد بن حنبل أيضاً .

وقد يسأل الآن سائل ويقول : فلماذا لم يقتل النبي ﷺ لبيد بن

الأعصم الذي سحره؟

والجواب أن النبي ﷺ كان بينه وبين يهود عهد، فلو قتله لنقضه مع

كل ما أظهره من كيد للمسلمين وطعن فيهم وفي دينهم حتى لا

يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ومن المعلوم أن لبيد بن

الأعصم كان حليفاً لليهود وكان مناقضاً كما ثبت في الرواية الصحيحة

في صحيح البخاري من حديث عائشة - رضي الله عنها - أما حكم

ساحر أهل الكتاب فقد ذهب جمهور أهل العلم إلى عدم قتل ساحر

أهل الكتاب إلا إذا قتل بسحره .

أما الإمام أبو حنيفة فقد قال بوجوب قتل ساحر أهل الكتاب ولم

(١) رواه أبو داود رقم (٤٣ - ٣) في الخراج والإمارة باب في أخذ الجزية من المجوس

وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٩٠، ١٩١) .

يفرق بينه وبين الساحر المسلم .

وخالف أبو حنيفة الأئمة الثلاثة : أيضاً في حكم المرأة الساحرة بأنها لا تقتل، أما هم فقالوا بوجوب قتلها ولم يفرقوا بين الرجل والمرأة لعدم وجود الدليل الذي يفرق بينهما .

وقد اختلف العلماء في توبة الساحر هل تقبل أولاً تقبل !؟

والصحيح إن شاء الله تعالى أنه لم يسد باب التوبة على أحد من خلقه على الإطلاق بل أن المشرك لو تاب تاب الله عليه .

وقد أخبرنا القرآن أن سحرة فرعون كفروا بالله عز وجل وتابوا إلى الله وقبل الله توبتهم .

أحبتني في الله :

هذا عن حكم السحر وحدّ الساحر .

فماذا عن حكم من يذهب إلى السحرة والعرافين والكهان ؟

والجواب من رسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم من حديث حفصة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال :

« مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، (وفي لفظ أحمد) فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا »^(١).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي وصححه شيخنا الألباني في الإرواء من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٣٠) في السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

«مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ ﷺ» (١).

قال صاحب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدق العراف أو الكاهن بأى وجه كان .

وفي الحديث الذي رواه البزار بإسناد جيد كما قال الحافظ في الفتح ورواه الطبرانى في الأوسط بإسناد حسن وهذا لفظ رواية البزار عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال :

«لَيْسَ مَنَا مَنْ تَطَيَّرَ لَهُ أَوْ تَطَيَّرَ لَهُ أَوْ تَكَهَّنَ لَهُ أَوْ تَكُهَّنَ لَهُ أَوْ تَسَحَّرَ أَوْ سَحَرَ لَهُ وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ ﷺ» (٢).

قال صاحب فتح المجيد: قوله: (ليس منا) فيه: وعيد شديد يدل على أن هذه الأمور من الكبائر .

فمن هو العراف ومن هو الكاهن ؟

قال البغوى :

العراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن العراف اسمٌ للكاهن والمنجم

(١) رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وصححه شيخنا الألبانى في الإرواء رقم (٢٠٠٦) وهو في صحيح الجامع (٥٩٤٢) .

(٢) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج زاد المعاد: أخرجه أحمد (٤٢٩/٢) من حديث أبي هريرة وإسناده صحيح وصححه الحاكم (٨/١) وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٥٤٣٥) .

- والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .
 وقال الإمام أحمد : العرافة طَرَفٌ من السحر والساحرُ .
 وقال أبو السعادات : العراف هو المنجم .
 أما الكاهن : فهو الذي يدَّعي علم الغيب .

وهنا يثور في الصدر سؤال قد يستحي صاحبه أن يسأل عنه ألا وهو ولكن بعض هؤلاء العرافين والكُهَّان قد يخبرون عن شيء فيكون صحيحاً ويقع كما أخبروا تماماً فما تفسير هذا ؟

ونقول لقد سئل رسول الله ﷺ هذا السؤال، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سأل أناسُ رسولَ الله ﷺ عن الكهان .

فقال لهم رسولُ الله ﷺ : «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»

قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثونا أحياناً الشيء يكون حقاً ؟

فقال رسول الله ﷺ : «تلك الكلمة من الحقِّ يَخْطِفُهَا الجَنِيُّ فيَقْذِفُهَا»،
 وفي رواية - فيقرأها في أذن وليه قرَّ الدَّجاجةَ [أى يرددها في أذن الكاهن]
 فَيَخْلُطُونَ فِيهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ»^(١) .

أحبتي في الله :

ليس يظن أحد أن التنجيم والكهانة والسحر أمر مقصور على بلاد العرب المسلمين كلا !! بل هو أمر منتشر في أكثر الدول .

(١) رواه البخاري رقم (٥٧٦٢) في الطب، باب الكهانة، وفي الأدب، باب قول الرجل

للشيء: ليس بشيء وفي التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم، ومسلم رقم

(٢٢٢٨) في السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

ولقد نشرت جريدة المسلمون في عددها الخامس بعد المائتين أن الرئيس الأمريكي ريجان وزوجته كانا يستعينان بالمنجمة « جوان كويجلي » في تحديد جدول الأعمال واتخاذ بعض القرارات .

وكان الرئيس الأندونيسي (سوهارتو) يجتمع بانتظام بالروحانيين والمشعوذين، وكان أحدهم يُقيم بصفة مستمرة في قصر الرئاسة .

واستشار الرئيس الفرنسي السابق جيسكار ديستان قارئاً للطالع في انتخابات الرئاسة لعام ١٩٨٤ .

ومن أطرف ما ذكرته الجريدة أن الخواجات أخيراً صمموا جهازاً في حجم الآلة الحاسبة وأطلقوا عليه اسم العراف الإلكتروني وتقوم فكرته على وجود دورة بيلوجية ودورة نفسية وأخرى عصبية تبدأ بمولد الإنسان فإذا أدخلت تاريخ ميلادك يقوم العراف الإلكتروني بحساب ثلاث دورات لك .

إحداها تعين كل يوماً والأخرى كل شهر والأخيرة متغيرة ويحدد لك بناء على ذلك أيام التكامل العصبى والاستقرار الذهني بحيث تستطيع اتخاذ القرارات الهامة وأموراً أخرى كثيرة يحددها لك الدجال الإلكتروني!!!

وأخيراً نحني جباهنا ذلاً وشكراً لله جل وعلا أن جعلنا موحدين نعلم يقيناً أن الأمر كله لله، وأن الملك كله لله، وأنه لا يقع شيء في هذا الكون كله إلا بأمره وتحت سمعه وبصره، بل وما من ورقة تسقط من شجرة في هذا الكون كله إلا بعلمه جل وعلا .

قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا
رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]

نعلم يقينا أنه لا تستطيع قوة على ظهر هذه الأرض أن تضر ولا
تنفع إلا بإذن الله جل وعلا .

والأصل في هذا كله قول الله جل وعلا والنص يريح القلوب
المطمئنة ويطمئن النفوس الحائرة .

قال تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]
الله أكبر . . . ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

ولو اجتمع سحرة أهل الأرض لا يستطيعون أن يؤثروا بسحرتهم
في مخلوق إلا بإذن الله .

فَوَجَّهْ قَلْبَكَ إِلَى مَلِكِ الْمَلُوكِ وَجِبَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ
وَتَقِ بِهِ فَهُوَ الْمُرْتَجَى وَهُوَ الْمَلْجَأُ وَالْمَلَاذِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ .

من توكل عليه كفاه ومن اعتمصم به نجاه ومن فَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ هَدَاهُ
قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] .
يَا صَاحِبَ الْهَمِّ إِنَّ الْهَمَّ مُنْفَرَجٌ أَبَشِرْ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْفَارِجَ اللَّهُ

ومن أجمل ما قاله الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه
القيم تلبس إبليس قال : حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما

تصنع بالشیطان إذا سول لك الخطايا ؟

قال التلميذ : أجاهده .

قال الشيخ : فإن عاد ؟! قال :أجاهده .

قال الشيخ : فإن عاد ؟! فقال : أجاهده .

فقال الشيخ : هذا يطول يا بنى ولكن إن مررت بغنم فنبحك كلبها
أو منعك من العبور فماذا تصنع ؟

قال : أجاهده قال : يا بنى هذا أمر يطول ، استعن برب الغنم يكفك
كلابه .

فاستعن بالله أيها الحبيب والجاأ إليه فهذا هو الحصن الحصين والملاذ
المكين ولما كان الله هو خالقنا فتحصن به هو الذي يعلم ضعفنا وعجزنا
فقد تفضل علينا بحصون وحروز ولكننا كثيراً ما نغفل عن الدواء إلا
إذا حل بنا الداء فهياً إلى الحصون والحروز التي نتقي بها شر السحر
والسحرة .

وذلكم بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي
ولكم .

أحبتي في الله : إن أعظم طريق للوقاية من السحر ومس الجن وربط الرجل عن زوجته ما يلي :

أولاً : تحقيق التوحيد لله العزيز الحميد وإخلاص العبودية لله جل وعلا والتوكل عليه تبارك وتعالى .

فقلب الموحد قد أشرق فيه مصباح التوحيد وأزهر فيه نور الإيمان ومن ثم خرج منه الخوف من كل أحد إلا من الله جل وعلا . بل لا يفرد بالمحبة والخوف إلا الله .

صاحب هذا القلب كما يقول ابن تيمية : في جنة وهو في الدنيا . . . في جنة وهو في البرزخ . . . في جنة وهو في الآخرة .

إن قوة الإيمان في القلب تضعف الشيطان وكلما زاد إيمان العبد وأخلص العبادة لله ضعف تسلط الشيطان عليه .

فها هو فاروق الأمة عمر - رضي الله عنه - كان الشيطان يهرب منه كما جاء في البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : استأذن عمرُ على النبي ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه - وفي رواية : يسألنه ويستكثرنه - عاليةً أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر قمن يبتدرنَ الحجاب ، فأذن له النبي ﷺ ، فدخل عمر والنبي ﷺ يضحك .

فقال عمر : أضحك الله سنك(*) ، بأبي أنت وأمي ما أضحكك؟ قال : «عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنَّ عندي ، فلَمَّا سمِعنَ صوتَكَ ابْتَدَرْنَ

(*) قال الحافظ في الفتح : لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك ، بل لازمه وهو السرور، أو

نفي ضد لازمه وهو الحزن .

الحجَاب.

قال عمر: فأنت يا رسول الله لأحق أن يهين، ثم قال عمر: أى عدوات أنفسهن، أتهبني ولا تهبن النبي ﷺ؟
قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من النبي ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخَطَّاب، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِبَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَّكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ (١)» .

والفج : المسلك والطريق، فالشيطان يهرب ويفر حتى من الطريق الذي يسير فيه عمر هرباً من قوة إيمانه - رضي الله عنه - .

وساق ابن الجوزي في كتابه القيم تلبيس إبليس قصة تبين ما نقول بوضوح .

قال : كانت شجرة تُعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضباً لله فلقه إبليس في صورة إنسان، فقال: ما تريد؟

قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله .

قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها؟

قال: لأقطعنها، فقال له الشيطان : هل لك فيما هو خير لك !! لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك !!

(١) رواه البخاري (٣٧/٧) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، وفي الأدب، باب التبسم والضحك، ومسلم رقم (٢٣٩٦) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال : فمن أين لي ذلك ؟

قال : أنا لك .

فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وصادته، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً ، فقام غضباً ليقطعها، فتمثل له الشيطان في صورته وقال: ما تريد ؟

قال: أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى .

قال: كذبت مالك إلى ذلك سبيل .

فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد أن يقتله، قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان، جئت أول مرة غضباً لله فلم يكن لي عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك !!

فتدبر يا عبد الله !!

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿

[النحل: ٩٩-١٠٠]

فإن الشيطان لا سلطان له عليهم فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: ٤٢]

ثانياً : كثرة ذكر الله جل وعلا:

فالذكر يضعف الشيطان ويقوى الإيمان ويرضي الرحمن، وهو الركن الركين والحصن الحصين الذي يتحصن به الإنسان من الشيطان الرجيم .

وفي حديث الحارث الأشعري الطويل وهو حديث صحيح أن النبي ﷺ قال: «.. وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوَّ فِي أَثَرِهِ سَرَاعاً حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ أَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يَحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن الحبيب النبي ﷺ قال:

«مِثْلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مِثْلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٢)

ثالثاً: قراءة سورة البقرة :

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «... لَا تَجْعَلُوا بِيُوتِكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(٣)

رابعاً: قراءة آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: وكلمني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: والله لأرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال: إني محتاج وعلى عيال ولى حاجة

(١) رواه الترمذي رقم (٢٧٦٧) في الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب وهو كما قال وأخرجه أيضاً ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم في المستدرک وصححه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب (٥٥٣) وصحيح الجامع (١٧٢٤).

(٢) رواه البخاري رقم (٦٤٠٧) في الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم رقم (٧٧٩) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته .

(٣) رواه مسلم رقم (٧٨٠) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، والترمذي رقم (٢٨٨٠) في ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي.

شديدة قال: فخليتُ عنه فأصبحتُ فقال النبي ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ
أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»

قال: قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله.
قال: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ».

فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود فرصدته فجعل
يحشو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ.

قال: دعني فإنني محتاج وعليّ عيال، لا أعود.

فرحمته فخليت سبيله فأصبحت.

فقال لي رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟».

قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالا فرحمته فخليت سبيله.
قال: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ».

فرصدته الثالثة، فجعل يحشو من الطعام فأخذته.

فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم
أنك لا تعود ثم تعود.

قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها.

قلت: ما هن؟

قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ
ولا يقربنك شيطان حتى تصبح.

فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ
الْبَارِحَةَ؟».

قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلت سبيله.

قال: «ما هي؟»

قلت: قال لي، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكان أحرص شيء على الخير فقال النبي ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَّقَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعَلَّمَ مِنْ تُخَاطَبٍ مُدْ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قال: لا. قال: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ»^(١).

خامساً: قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة.

من قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ إلى آخر السورة.

ففي صحيح البخاري من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال:
«مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»^(٢)
أي من كل شر وسوء من الشياطين.

(١) رواه البخاري رقم (٢٣١١) في الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازته الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٧/١٠، ١١٨) من حديث أبي بن كعب وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) رواه البخاري (٥٠/٩) في فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، وباب من لم ير بأساً أن يقول: سورة البقرة، وباب في كم يقرأ القرآن، وفي المغازي، باب شهود الملائكة بدرأ، ومسلم رقم (٨٠٨) في صلاة المسافرين، باب فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، والترمذي رقم (٢٨٨٤) في ثواب القرآن، وأبو داود رقم (١٣٩٧) في الصلاة، باب تحزيب القرآن.

سادساً : قراءة المعوذات :

ففي البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات^(١).

وعن عبدالله بن خبيب رضي الله عنه قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة فطلبنا رسول الله ﷺ يصلى لنا فأدركته فقال: «قل» فلم أقل شيئاً. ثم قال: «قل» فلم أقل شيئاً، قال: «قل» فقلت: ما أقول؟ قال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَيْنِ، حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٢).

وفي رواية «مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلِ مِنْهَا».

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ راحلته في غزوة إذ قال: «يَا عُقْبَةُ قُلْ» فاستمعت، ثم قال: «يَا عُقْبَةُ قُلْ» فاستمعت، فقالها الثالثة: فقلت: ما أقول؟

فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقرأ السورة حتى ختمها، ثم قرأ: ﴿قُلْ

(١) رواه البخاري رقم (٥٧٤٨) في الطب باب النفث في الرقية، وأبو داود رقم (٥٠٥٦) والترمذي (٣٤٠٢/٥).

(٢) رواه النسائي (٢٥١، ٢٥٠ / ٨) في الاستعاذة في فاتحته، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٤٤٠٦).

أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿ وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ﴾ فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ: « مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ » (١).

سابعاً : روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ
مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ
حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ
ذَلِكَ» (٢).

وأخيراً روى البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ
قال: «مَنْ تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمْرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ تُضْرَرْ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمْ وَلَا سِحْرٌ» (٣)
وفي رواية «مِنْ تَمْرِ الْعَالِيَةِ» وهي في المدينة .

(١) رواه مسلم رقم (٨١٤) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين، والترمذي رقم
(٢٩٠٤)، (٢٩٠٥) في ثواب القرآن، باب ما جاء في المعوذتين، وأبو داود رقم (١٤٦٢)
في الصلاة، باب في المعوذتين، والنسائي (١٥٨/٢) في افتتاح الصلاة، باب القراءة في
الصبح بالمعوذتين، وباب الفضل في قراءة المعوذتين، (٢٥١/٨ - ٢٥٤) في الاستعاذة في
فاتحته، ورواه أيضاً أحمد في المسند (١٤٤/٤)، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥،
١٥٨، (٢٠١).

(٢) رواه البخاري رقم (٦٤٠٣) في الدعوات، باب فضل التهليل، وفي بدء الخلق، باب صفة
إيليس، ومسلم رقم (٢٦٩١) في الذكر، باب فضل التهليل والتهليل، والموطأ (٢٠٦/١)
في القرآن، باب في ذكر الله تبارك وتعالى، والترمذي رقم (٣٤٦٤) في الدعوات باب رقم
(٦١).

(٣) رواه البخاري رقم (٥٧٦٨، ٥٧٦٩) في الطب باب الدواء بالعجوة للسحر .

هذه هي الحصون والحروز التي يتقي بها الإنسان من السحر والمس والربط بإذن الله جل وعلا .

فما هو علاج من سحر فعلاً :

أولاً: لا بد أن يحافظ ابتداءً على هذه الأذكار التي ذكرناها آنفاً .

ثانياً : حلُّ السحر من المسحور بالرقى الشرعية كما قال ابن القيم الأولُ : حلُّ السحر بسحر مثله، وهذا هو الذي من عمل الشيطان فيتقرب الناشر والمتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور. [وهذه من عمل الشيطان بلا شك]

أما النوع الثاني : هو النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات المباحة فهذا جائز .

هذا ما رواه مسلم أن النبي ﷺ قال : (مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ)^(١) .

وفيه أيضا قال : « اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ وَلَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ »^(٢) .

وفي صحيح البخاري عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب رجل به طبُّ أي سحر أو يؤخذ عن امرأته (أي يربط) أيحلُّ عنه أو ينشر؟ قال : لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه

(١) رواه مسلم رقم (٢١٩٩) في السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة

(٢) رواه مسلم رقم (٢٢٠٠) في السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، وأبو داود رقم (٣٨٨٦) في الطب، باب ما جاء في الرقى .

عنه» (١).

وفي مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز أنه قال : من علاج السحر بعد وقوعه وهو علاج نافع بإذن الله للرجل إذا حُبس عن جماع أهله .

ثم قال الشيخ ابن باز أن يأخذ سبعُ ورقات من السدر الأخضر ويدقها بحجر أو نحوه ويجعلها في إناء ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغسل ويقرأ فيها: « آية الكرسي » « وقل يا أيها الكافرون » و« قل هو الله أحد » و« قل أعوذ برب الفلق » و« قل أعوذ برب الناس ».

وأن يقرأ آيات السحر في سورة الأعراف وهي قوله سبحانه : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاعرين﴾

[الأعراف: ١١٧-١١٩]

والآيات في سورة يونس وهي قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يونس: ٧٩ : ٨٢]

والآيات التي في سورة طه : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ

(١) رواه البخاري معلقاً في الطب، باب هل يستخرج السحر؟

مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهُا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا
تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) ﴿ [طه: ٦٥-٦٩]

يقول الشيخ ابن باز:

بعد قراءة ما ذكر في الماء يشربُ منه ثلاث مرات ويغتسل بالباقي
وإن دعت الحاجة لاستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول إن شاء
الله .

... الدعاء



قتل النفس التي حرم الله



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل
ضلالة في النار.

أحبتني في الله :

هذا هو لقائنا الرابع مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ .
في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من
حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » قالوا يارسول الله وما هن ؟ قال : الشُّرْكُ
بالله، والسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ
الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ^(١)
ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الثالثة في هذا الحديث ألا وهي
قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق .

ونظراً لطول الموضوع فسوف أركز حديثي مع حضراتكم في
العناصر التالية :

أولاً: حرمة النفس والدماء عند الله جل وعلا .

ثانياً: حكم من قتل نفسه فمات منتحراً .

ثالثاً: حكم القتل الخطأ .

رابعاً: هل للقاتل المتعمد توبة ؟

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) في الوصايا، باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾ ، وفي الطب ، باب الشرك والسحر من الموبقات ، وفي المحاربين ، باب
رمي المحصنات ، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها ، وأبو داود رقم
(٢٨٧٤) في الوصايا ، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم والنسائي (٢٥٧/٦)
في الوصايا ، باب اجتناب أكل مال اليتيم .

أولاً: حرمة النفس والدماء عند الله جل وعلا:

أحبتني في الله:

إن الله عز وجل قد كرم هذا الإنسان تكريماً كبيراً.

خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه .

وأرسل له الرسل ليأخذوا بيديه إلى الحق وأنزل من أجله شريعة محكمة تضمن له السعادة في الدنيا والآخرة .

وهي المنهج الحق المستقيم الذي يصون الإنسان من الزيغ والانحراف ويحفظه من مزالق الشر ونوازع الهوى .

وهي المورد العذبُ الزلال والمعين الكريم الفياض الذي يشفي صدره ويحيي نفسه ويروِي عقله ويحفظُ بدنه .

ومن أجل هذا فقد ضمنت هذه الشريعة المحكمة جميع الحقوق التي تكرم وتسمو بهذا الإنسان وفي طليعة هذه الحقوق حق الحياة . . وهو حق كبير لا يحل لأحد أن ينتهك حرمة أو أن يستبيح حماه . بل لقد جعل الإسلام قتل النفس كبيرةً .

كبيرة تأتي بعد كبيرة الشرك بالله عز وجل كما قال الله عز وجل في وصف عباد الرحمن .

وليس لأحد البتة أن يسلب هذه الحياة إلا خالقها سبحانه وتعالى أو بأمر منه في نطاق الحدود التي شرعها لخلقها وهو سبحانه عليهم خبير، بما يصلحهم ويفسدهم إذ يقول سبحانه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]

والعليم اللطيف الخبير جل وعلا يحرم قتل النفس إلا بالحق فيقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] ويقول رسوله ﷺ: « وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ». وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدد واضح لا غموض فيه . . وليس متروكاً للرأي ولا متأثراً بالهوى .

وقد حدده النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثَ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالسَّيْبُ الزَّانِي، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ» (١)

فأما الحالة الأولى: فهي القصاص العادل الذي وإن قتل نفساً فقد ضمن الحياة للمجتمع نفسه .

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا

(١) رواه البخاري رقم (٦٨٧٨) في الديات ، باب قول الله تعالى: « النفس بالنفس » والعين بالعين » ومسلم رقم (١٦٧٦) في القسامة ، باب ما يساح به دم المسلم ، وأبو دواد رقم (٤٣٥٢) في الحدود ، باب الحكم فيمن ارتد والترمذي رقم (١٤٠٢) في الديات ، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، والنسائي (٩١، ٩٠ / ٧) في تحريم الدم باب ذكر ما يحل به دم المسلم ، وفي القسامة ، باب القيود .

أُولِي الْأَبَابِ لِعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ [البقرة: ١٧٨-١٧٩]

نعم . . حياةٌ بردع هؤلاء الذين يفكرون مجرد تفكير في الاعتداء على الناس .

وحياةٌ بكفّ أهل المقتول عن الثأر الذي قد لا يقف عند القاتل بل يتعداه إلى أهله ممن لا ذنب لهم ولا جريرة .

وحياةٌ يأمن فيها كل فرد على نفسه لأنه يعلم يقيناً أن هناك قصاصاً عادلاً ينتظر كل من يتعدى حدود الله .

أما الحالة الثانية: التي يجوز فيها القتلُ وبالرجمُ فهي للثيبِ الزاني الذي رزقه الله بالحلالِ الطيبِ فراح يرتعُ في مستنقعِ الرذيلةِ العفن . ويقتلُ العزةَ والكرامةَ والمكانةَ لمن لوث شرفهم وانتهك عرضهم .

والحالة الثالثة: التي يجوز فيها القتلُ تكون لمن ترك دينه وارتد بعد أن منَّ الله به عليه .

فالردة بالإجماع سبب لإباحة دم المسلم .

يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري وأحمد عن ابن عباس: « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ » (١)

هذه هي الحالات الثلاث التي تبيح قتل المسلم على يد ولي الأمر

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٩٢٢) في استنابة المرتدين ، باب حكم المرتد والمرتدة واستابتهم في الجهاد ، باب لا يعذب بعذاب الله ، والترمذي رقم (١٤٥٨) في الحدود ، باب ما جاء في المرتد ، وأبو داود رقم (٤٣٥١) في الحدود، باب الحكم فيمن ارتد ، والنسائي (١٠٤/٧، ١٠٥) في تحريم الدم ، باب الحكم في المرتد ، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند (٢٨٢/١) .

المسلم أو من ينوب عنه .

أما فيما عدا هذه الحالات فإنه لا يجوز أبداً قتل النفس بل إن الأمر جد خطير وكيف لا وقد قال جل وعلا ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾

[النساء: ٩٣]

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: « لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا ». قال: فقال ابن عمر: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفكُ الدم الحرام بغير حِلِّهِ^(١)

وفي سنن النسائي من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنَ مُتَعَمِّدًا ، أَوْ الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا »^(٢)

وفي الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء ورواه الحاكم والنسائي وأحمد من حديث معاوية وصحح الحديث شيخنا الألباني في صحيح الجامع أن النبي ﷺ قال:

«كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»^(٣).

(١) رواه البخاري رقم (٦٨٦٢ ، ٦٨٦٣) في الديات في فاتحته .

(٢) أخرجه النسائي (٨١/٧) في تحريم الدم في فاتحته وصححه شيخنا الألباني في

الصحيحة (٥١١) وهو في صحيح الجامع (٤٥٢٤) صحيح .

(٣) رواه أبو داود رقم (٤٢٧٠) في الفتح ، باب في تعظيم قتل المؤمن وصححه شيخنا

الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥٢٤) والصحيحة رقم (٥١١) .

وفي الحديث الذي رواه النسائي من حديث بريده رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا »^(١)
الله أكبر . . فكم يكون عظيماً عند الخلق زوال الدنيا على قدر عظمتها .

فإذا علمنا أن قتل المؤمن أعظم من زوال الدنيا علمنا خطورة وفضاعة القتل العمد بما لا يمكن للغة البشر أن تصفه وقد جمعه من أوتى جوامع الكلم في هذا اللفظ الوجيز .

وفي الحديث الذي رواه النسائي والبخاري في التاريخ وصححه الألباني من حديث عمرو بن الحمق الخزاعي أن النبي ﷺ قال:
« مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا »^(٢)

عن عبيد الله بن عدي أن المقداد بن عمرو الكندي - وكان حليفاً لبنى زهرة وكان ممن شهد بدرأ مع النبي ﷺ - أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ: « رأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتلنا ، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة ، فقال: أسلمت لله ، أقتله يارسول الله بعد أن قالها ؟ فقال رسول الله ﷺ: « لا تقتله » فقال: يارسول الله ، قَطَعَ إحدى يدي ، ثم قال ذلك بعدما قطعها ، فقال رسول الله ﷺ: « لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلةك قبل أن تقتله ، وإنك

^(١) رواه النسائي (١٨/٧) في تحريم الدم ، باب تعظيم الدم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣٦١) .

^(٢) رواه البخاري معلقاً والنسائي وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم (٦١٠٣) .

بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ» (١).

وقام النبي ﷺ في حجة الوداع يبين حرمة هذه الدماء فيقول والحديث في الصحيحين من حديث ابن أبي بكرة «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قلنا الله ورسوله أعلم. وهذا من أدب الصحابة رضي الله عنهم، قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟» قلنا بلى، قال: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قلنا الله ورسوله أعلم، قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أَلَيْسَ الْبَلَدَةَ؟» قلنا: بلى، قال: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت، حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قلنا: بلى يارسول الله قال: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدَى كُفَارًا أَوْ ضَلَالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ إِلَّا لِيُلَاقِيَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» (٢).

ولحرمة هذه الدماء عند الله جل وعلا وأنها ليست رخيصة يسفكها من شاء في أي وقت شاء بل هي عظيمة عند الله جل وعلا .
ولذا فإن أول ما يقضي فيه يوم القيامة هو الدماء .

(١) رواه البخاري رقم (٦٨٦٥) في الدييات في فاتحته ، وفي المغازي ، باب شهود الملائكة بدماء ومسلم رقم (٩٥) في الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله ، وأبو داود رقم (٢٦٤٤) في الجهاد ، باب على ما يقاتل المشركون ؟
(٢) رواه البخاري رقم (١٧٤١) في الحج باب الخطبة أيام منى وفي الأضاحي رقم (٥٥٥٠) باب من قال: الأضحى يوم النحر وفي التفسير رقم (٤٦٦٢) باب تفسير سورة براءة ، وفي بدء الخلق رقم (٣١٧٩) باب ما جاء في سبع أرضين ، وفي الفتن (٧٠٧٨) باب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، وأخرجه مسلم رقم (١٦٧٩) في القسامة ، باب تحريم الدماء وأبو داود رقم (١٩٤٧) في الحج باب الأشهر الحرام .

كما في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ». (١)

ولا منافاة بين هذا وبين قوله «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ» (٢) فهذا حق بينه وبين الله والدماء حق العباد.

وقد ورد عند النسائي وأبي داود من حديث ابن مسعود بلفظ «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ» (٣)

ولذلك قال على بن أبي طالب كما في صحيح البخاري «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجُثُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ جَلًّا وَعَلَا لِلْخُصُومَةِ» (٤)

يريد قصته في مبارزته هو وصاحبه يوم بدر وفيهم نزل قول الله تعالى ﴿ هَذَا نِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩]

فإذا قامت القيامة وقام الناس جميعاً لرب العالمين ووقفوا في أرض المحشر حفاة عراة غرلاً (٥) وقد دنت الشمس من الرؤوس وتصيب

(١) رواه البخاري رقم (٦٨٦٤) في الديات في فاتحته ، وفي الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة ومسلم رقم (١٦٧٨) في القسامة ، باب المجازاة بالدماء في الآخرة ، والترمذي رقم (١٣٩٦) في الديات ، باب الحكم في الدماء ، والنسائي (٨٣١٧) في تحريم الدم ، باب تعظيم الدم.

(٢) رواه أبو داود رقم (٨٦٤ ، ٨٦٥) في الصلاة باب قول النبي ﷺ « كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه » وهو في صحيح الجامع (٢٥٧١).

(٣) صححه شيخنا الألباني في الصحيحة ١٧٤٨ وصحيح الجامع (٢٥٧٢).

(٤) رواه البخاري رقم (٤٧٤٤) في تفسير سورة الحج باب ﴿ هَذَا نِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ وفي المغازي باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش ، و(٢٣١/٧) في قصة غزوة بدر.

(٥) رواه البخاري رقم (٦٥٢٧) في الرقاق ، باب الحشر ، ومسلم رقم (٢٨٥٩) في الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائي (١١٤/٤) في الجنائز ، باب البعث.

العرق على قدر الأعمال وزفرت جهنم وزمجرت وقد جرى لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها^(١) وتطايرت الصحف ونصبت الموازين ونودي عليك .

فقرع النداء قلبك وارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك وجاءت الملائكة الموكلة بسوقك إلى الله تعالى .

حتى إذا ما وقفت بين يدي ملك الملوك وجبار السماوات والأرض أخذت صحيفتك هذه الصحيفة التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة !!

فانتبه . . . يُنادى عليك أيها القاتلُ المجرمُ يا من سفكت دماء الموحدين المؤمنين فتأتي فرداً عارياً لا سلطان لك، ولا مال معك، لتفتدي به وقد أحاط بك من كل ناحية من قتلهم في الدنيا وقد تعلقوا به وأوداجهم {أي عروق أعناقهم} تشخب {أي تسيل} دماً ويقولون لله جل وعلا سل هذا القاتل فيم قتلنا كما في سنن النسائي من حديث ابن عباس وهو حديث حسن قال سمعت النبي ﷺ يقول:

«يَجِيءُ الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا بِالْقَاتِلِ تَشْخَبُ {تسيل} أوداجه دماً، فيقول: أي رب سل هذا فيم قتلني؟» وفي رواية «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِبَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأوداجه تشخب دماً، يقول: يارب قتلني هذا حتى يذنيه من العرش» ، قال: فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقتُلْ مُؤمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ قال: ما نُسخَت هذه الآية ولا بدلت، وأنتي له التوبة؟^(٢)

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفة الجنة ، باب من شدة حر نار جهنم ، والترمذي رقم (٢٥٧٦) في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٠٣٢) في التفسير ، باب ومن سورة النساء ، والنسائي (٧/٨٥ ، ٨٧) في تحريم الدم باب تعظيم الدم ، وإسناده قوي ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد رقم (٢١٤٢) ، (٢٢٨٣) ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٨٠٣١) .

الله أكبر ..

تَذَكَّرْ وَوُفِّكَ يَوْمَ الْعَرْضِ عَرِيَانًا مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الْأَحْشَاءِ حَيْرَانًا
وَالنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَبِظٍ وَمِنْ حَتَقٍ عَلَى الْعِصَاةِ وَرَبَّ الْعَرْشِ غَضْبَانًا
افْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدُ عَلَى مَهْلٍ فَهَلْ تَرَى فِيهِ حَرْقًا غَيْرَ مَا كَانَا
فَلَمَّا قَرَأْتَ وَلَمْ تُتَكَرَّ قِرَاءَتُهُ وَأَقْرَرْتَ إِفْرَارَ مَنْ عَرَفَ الْأَشْيَاءَ عِرْفَانَا
نَادَى الْجَلِيلُ خُدُوهُ يَا مَلَايِكَتِي وَامْضُوا بِعَبْدِ عَمَى لِلنَّارِ عَطْشَانَا
الْمُشْرِكُونَ غَدًا فِي النَّارِ يَلْتَهَبُوا وَالْمُوحَّدُونَ فِي دَارِ الْخُلْدِ سُكَّانَا

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسَطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوما
«أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُنْفِسِ؟» قالوا: المنفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال:
«إِنَّ الْمُنْفِسَ مَنْ أَتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَبِأْتَى وَقَدْ
شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى
هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنَيْتُ حَسَنَاتَهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا
عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ» (١)

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٨١) في البر، باب تحرير الظلم، والترمذي رقم (٢٤٢٠) في
صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.

ثانيا: حكم من قتل نفسه فمات منتحراً :

أحبتني في الله:

ولم ينتف هذا الوعيد الرهيب في حق من قتل نفسه منتحراً والعياذ بالله بل هو خالد في النار لما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:

«مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ (أَي الْقَى بِنَفْسِهِ) فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ نَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا»^(١).

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال النبي ﷺ إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه - فقالوا ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان .

فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

(١) رواه البخارى رقم (٥٧٧٨) في الطب ، باب شرب السم والدواء به وما يخاف منه ، ومسلم رقم (١٠٩) في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، والترمذى رقم (٢٠٤٤)، (٣٠٤٥) في الطب، باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره والنسائي (٦٧، ٦٦/٤) في الجنائز، باب ترك الصلاة على من قتل نفسه، وأبو داود رقم (٣٨٧٢) في الطب، باب في الأدوية المكروهة .

فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبدا .

قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه،
قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض
وذبابه بين ثديه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى
رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله .

قال: «وما ذاك؟» .

فقال: الرجلُ الذي ذكرت أننا من أهل النار، فأعظم الناس
ذلك، فقلت: أنا لكم به فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً
فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه (ذبابه
السيف: طرف رأسه)، ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله عند
ذلك:

«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَمَّا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ
وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ النَّارِ فَيَمَّا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا
الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»^(١)

وفي رواية أخرى في الصحيحين عن أبي هريرة قال: فلما أُخبر
النبي أن الرجل قتل نفسه كبر النبي ﷺ وقال: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي

(١) رواه البخاري رقم (٦٦٠٦) في القدر ، باب العمل بالخواتيم ، وفي الجهاد ، باب لا
يقول: فلان شهيد ، وفي المغازي ، باب غزوة خيبر ، وفي الرقاق ، باب الأعمال
بالخواتيم وما يخاف منها ، ومسلم رقم (١١٢) في الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل
الإنسان نفسه .

عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ أَنَّهُ «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْكَافِرِ» (١)

ثالثا: حكم القتل الخطأ

وقد بينه الله جل وعلا في سورة النساء بقوله:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطْئًا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ [النساء: ٩٢]

فالحالة الأولى: أن يقع القتل على مؤمن أهله مؤمنون في دار

الإسلام.

وفي هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة ودية تسلم إلى أهل القتل
فأما تحرير الرقبة المؤمنة فهو تعويض للمجتمع المسلم عن قتل نفس
بعثت نفس مؤمنة أخرى.

وأما الدية فتسكين لثائرة نفوس أهل القتل وشراء لخواطبرهم بعدما
فجعوا في قتلهم وتعويض لهم عن بعض ما فقدوه إلا أن يصدقوا

(١) رواه البخاري رقم (٣٠٦٢) في الجهاد، باب إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر،
وفي المغازي، باب غزوة خيبر وفي القدر، باب العمل بالخواتيم، ومسلم رقم ١١ في
الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

ويتنازلوا عن هذا الحق تسامحاً وتعاطفاً. (١)

الحالة الثانية: أن يقع القتل على مؤمن وأهله محاربون للإسلام في دار الحرب.

وفي هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة لتعويض النفس المؤمنة التي قتلت لكن لا يجوز دفع الدية لقوم القتل المحاربين حتى لا يستعينوا بها على قتال المسلمين، إذا لا مكان ولا مجال هنا لاسترضاء أهل القتل لأنهم محاربون وأعداء للإسلام والمسلمين.

أما الحالة الثالثة: فهي أن يقع القتل على مؤمن أو على غير مؤمن قومه معاهدون أي لهم عهد هدنه أو عهد ذمة.

وفي هذه الحالة يجب أن تدفع الدية إلى أهله المعاهدين ولو لم يكن القتل مؤمناً لأن عهدهم مع المؤمنين يجعل دماءهم مصونة كدماء المسلمين ويجب أيضاً على القاتل أن يعتق رقبة مؤمنة. هذه هي أحكام القتل الخطأ.

وكان من الواجب عليّ أن أفصل الحديث في أحكام الدية ومقدارها ولكن لا يتسع الوقت لهذا فليراجعه من شاء في كتاب الجنایات والديات من كتب الفقه لعلمائنا الكرام جزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١) الظلال (٢/٧٣٦).

وأخيراً: هل للقاتل المتعمد توبة؟

اختلف العلماء في هذه المسألة فلقد روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة فَرَحَلَتْ فِيهَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلَتْهُ عَنْهَا فَقَالَ هَذِهِ آيَةُ ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ... ﴾ هِيَ آخِرُ مَا تَرَكَ وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ .

وفي رواية النسائي يقول سعيد قرأت عليه آية الفرقان ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] قال: هذه مكية نسختها آية مدنية .

وذهب أهل السنة وما عليه المحققون من علماء السلف أن القاتل المتعمد إن تاب تاب الله عليه لأن الأخذ بظاهر آية النساء ومن يقتل مؤمناً متعمداً ليس بأولى من الأخذ بظاهر قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى: ٢٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]

ثم إن الجمع بين آية النساء وآية الفرقان ممكن فلا نسخ ولا تعارض وذلك بحمل الحكم المطلق في آية النساء على الحكم المقيّد في آية الفرقان لا سيما وقد اتفقا في الحكم والسبب فيكون معناه: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]

وأما الأحاديث التي تذكر هذا أيضاً فهي كثيرة منها ما رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت وفيه أن النبي ﷺ قال:

«تَبَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ» (١)

وكذلك حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ فَدَلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَّابًا وَكَذَّابًا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سُوءٌ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ، أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاحْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا، مُقْبِلًا إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ

(١) رواه البخاري رقم (١٨) في الإيمان ، باب علامة الإيمان حب الأنصار ومسلم رقم

(١٧٠٩) في الحدود ، باب الحدود كفارات لأهلها والترمذي رقم (١٤٣٩) في

الحدود ، باب الحدود كفارة لأهلها ، والنسائي (١٤٧/٧) في البيعة باب البيعة على

فراق المشرك .

بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَذْنِي فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا
فَوَجَدُوهُ أَذْنِي إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبِضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»^(١)

وأخيراً قال علماؤنا من قتل مؤمناً متعمداً فتاب تاب الله عليه أما
إن لم يتب وأصر على الذنب حتى وافى ربه على الكفر بشؤم المعاصي
﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا
عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]

اللهم اغفر ذنوبنا . . .

الدعاء . . .

(١) رواه البخارى رقم (٣٤٧٠) في الانبياء ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ، ومسلم رقم

(٢٧٦٦) فى التوبة ، باب قبول توبة القاتل .



أكل الربا



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتني في الله :

فهذا هو لقاءنا الخامس مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: « الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ »^(١).

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الرابعة في هذا الحديث ألا وهي أكل الربا وسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم عن هذا الموضوع الخطير في العناصر التالية.

أولاً: حملة مرعبة على الربا في القرآن والسنة.

ثانياً: فما هو الربا؟

ثالثاً: الربا في الجاهلية.

رابعاً: ربا البنوك أخبث من ربا الجاهلية.

خامساً: بيوع ربوية محرمة.

سادساً: فهل من توبة، وما هو الحل؟

فأعيروني القلوب والأسماع فإن الموضوع جد خطير.

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾، وفي الطب باب الشرك والسحر من الموبقات، وفي المحاريق، باب رمي المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، والنسائي (٢٥٧/٦) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم.

أولاً: حملة مرعبة على الربا في القرآن والسنة:

يقول الله عز وجل في سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان

الرجيم:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا
فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

أحبتني في الله:

لقد أعلن القرآن حملة مفزعة وتهديداً مرعباً على النظام الربوي
المقيت؛ لأنه نظام يسحق البشرية - سحقاً، ويشقيها في حياتها أفراداً
وجماعات، ودولاً وشعوباً، لمصلحة حفنة عفنة من المرابين الكبار.

وينتهي إلى تركيز السلطة الحقيقية والنفوذ العملي على البشرية كلها
في أيدي زمرة من أحط خلق الله، وشرذمة ممن لا يرعون في البشرية
إلاً ولا ذمة.

وهؤلاء المرابون هم الذين يداينون الناس أفراداً كما يداينون
الحكومات، والشعوب في داخل بلادهم، وفي خارجها.

ومن ثم فهم لا يملكون المال وحده، إنما يملكون من خلاله النفوذ
والتحكم.

والكارثة الخطيرة التي تمت في العصر الحديث هي أن هؤلاء المرابين قد
استطاعوا بما لديهم من سلطة هائلة داخل أجهزة الحكم العالمية، وبما

يملكون من وسائل التوجيه والإعلام في الأرض كلها .
استطاعوا أن يحفروا في عقول الكثيرين من البشر أن هذا النظام الربوي الخبيث هو النظام الطبيعي الذي لا يمكن أن تقوم قائمة للاقتصاد العالمي والداخلي إلا عليه .

وأنه هو الأساس الصحيح للنمو الاقتصادي .

وأن الذين يريدون إبطال هذا النظام جماعة من الخياليين .

وأنهم يتحدثون عن نظريات أخلاقية مجردة، وعن مثل خيالية لا رصيد لها من الواقع ليستروا عورات هذا النظام الكالغ الطالغ الذي يحق سعادة البشرية محققاً والذي حرمه الله ورسوله ﷺ .

وكيف يحرم الله ورسوله أمراً لا تقوم الحياة البشرية إلا به ؟!

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]

ومن ثم فالنظام الإسلامي، والنظام الربوي لا يلتقيان في تصور، ولا يلتقيان في أساس، ولا يتوافقان في نتيجة، ومن هنا كانت هذه الحملة المرعبة المفزعة على الربا في القرآن والسنة

ففي الحديث الذي رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه، والترمذي وغيرهم من حديث ابن مسعود، وجاء عن عمر وعلى وغيرهم قالوا: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ أَكْلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدِيهِ وَكَاتِبَهُ، وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ»^(١).

(١) رواه مسلم رقم (١٥٩٧) في المساقاة، باب لعن أكل الربا وموكله، والترمذي رقم

(١٢٠٦) في البيوع، باب ما جاء في أكل الربا، وأبو داود رقم (٢٣٣٣) في البيوع، باب

أكل الربا وموكله، وإسناده حسن، وقال الترمذي : حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه

رقم (٢٢٧٧) في التجارات، باب التغليظ في الربا .

وفي الحديث الذي رواه البيهقي، وابن ماجه، والحاكم، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ومن حديث عبد الله بن مسعود أيضا أن النبي ﷺ قال:

«الرَّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ أَبَا أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكَحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ»^(١).

وفي الحديث الذي رواه الطبراني في الكبير، وأحمد في مسنده ورجاله رجال الصحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع عن عبد الله بن حنظلة أن النبي ﷺ قال: «دَرِهِمُ رِبَاً يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ سِتِّ وَثَلَاثِينَ زِينَةً»^(٢).

وفي حديث سمرة بن جندب الطويل الذي رواه البخاري، وفيه أن النبي ﷺ قال: «أَنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَيَّ نَهْرٌ مِنْ دَمٍ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يُسَبِّحُ وَإِذَا عَلَيَّ شَطُّ النَّهْرِ رَجُلٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ حَجَارَةٌ، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبِغُ مَا يَسْبِغُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحَجَارَةَ فَيَفْغُرُ لَهُ فَاهُ فَيَلْقِمُهُ حَجْرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبِغُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَاهُ الرَّجُلُ عَلَى الشَّاطِئِ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ»^(٣).

هذا هو شر الربا.

(١) رواه البيهقي وابن ماجه، والحاكم في المستدرک، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٥٣٩)

(٢) رواه أحمد والطبراني، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧٥)، والصحيحة (١٠٣٣).

(٣) رواه البخاري رقم (٧٠٤٧) في التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، وفي صفة الصلاة، باب استقبال الإمام الناس إذا سلم، ومسلم رقم (٢٢٧٥) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، والترمذي رقم (٢٢٩٥) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ في الميزان والدلو.

وهنا نخلص إلى العنصر الثالث لتتعرف على ربا الجاهلية .

أولاً: ربا النسئة (أي : التأجيل) :

وهو أن يعطي الرجل ديناً لرجل آخر إلى أجل معلوم، فإذا حل الأجل المحدد بينهما ولم يستطع المدين السداد أعطاه الدائن مهلة في مقابل الزيادة الربوية .

يقول مجاهد : كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل دين فيقول: لك كذا، وكذا (أي من الزيادة) وتؤخر عني فيؤخر عنه .

يقول الإمام أبو بكر الجصاص في كفاية أحكام القرآن:

إن ربا الجاهلية إنما كان قرضاً مؤجلاً بزيادة مشروطة ، فكانت الزيادة بدلاً من الأجل فأبطله الله تعالى .

والربا في هذا النوع واضح بين تتوفر فيه كل العناصر الأساسية لكل عملية ربوية وهذه العناصر هي :

أولاً : الزيادة على أصل المال .

ثانياً: الأجل والزمن الذي يحدد نسبة الزيادة على أصل المال ، أو الذي من أجله تعطى هذه الزيادة على قدر مكث هذا المال لدى الآخر .

ثالثاً: الفائدة المشروطة المضمونة .

وعليه فإن كل من تعامل يشتمل على هذه العناصر الثلاثة فهو تعامل ربوي، وإن تغير مسماه للتحايل على شرع الله ، وهذا النوع أبطله الإسلام وحرمه القرآن .

ثانياً: ربا الفضل:

وهو أن يبيع الرجل الشيء بالشيء من نوعه مع الزيادة.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد، وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خبير فجاء بتمر جنيب (أى طيب) فقال رسول الله ﷺ: «أَكُلُ تَمْرَ خَيْبَرَ هَكَذَا؟» فقال: لا والله يا رسول الله، إنا لناخذ الصاع بالصاعين، والصاعين بالثلاثة فقال النبي ﷺ: «لَا تَفْعَلْ بِعِ الْجَمْعِ (أى الردىء، أو المجموع من أنواع مختلفة) بِالذَّرَاهِمِ ثُمَّ ابْتَعْ بِالذَّرَاهِمِ جَنِيْبًا»^(١)

وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد قال: «جاء صاحب نخلة بصاع من تمر طيب فقال له النبي ﷺ: أَنَّى لَكَ هَذَا؟ قَالَ انْطَلَقْتُ بِصَاعَيْنِ فَاشْتَرَيْتُ بِهِ هَذَا الصَّاعَ، فَإِنْ سَعَرَ هَذَا فِي السُّوقِ كَذَا، وَسَعَرَ هَذَا كَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلَكَ: أَرَبَيْتَ إِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ فَبِعَ تَمْرَكَ بِسِلْعَةٍ، ثُمَّ اشْتَرِ بِسِلْعَتِكَ أَيْ تَمْرٍ شَتًّا»^(٢)

(١) رواه البخارى (٢٢٠١، ٢٢٠٢) في البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خبير منه، وفى الوكالة فى الصرف والميزان، وفى المغازى، وفى الاعتصام، ومسلم رقم (١٥٩٣) فى المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل، والموطأ (٢/٦٢٣) فى البيوع، باب ما يكره من بيع التمر، والنسائى (٢٧١/٧، ٢٧٢) فى البيوع، باب بيع التمر بالتمر متفاضلاً.

(٢) رواه البخارى رقم (٢٠٨٠) فى البيوع، باب بيع الخلط من التمر، وباب بيع الفضة بالفضة، وباب بيع الدينار بالدينار، وأخرجه مسلم (١٥٩٤)، (١٥٩٥)، (١٥٩٦) فى المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل، والموطأ (٢/٦٣٢) فى البيوع، باب بيع الذهب بالفضة تبرا وعينا، والترمذى رقم (١٢٤١) فى البيوع، باب ما جاء فى الصرف، والنسائى (٢٧١/٧، ٢٧٢، ٢٧٣) فى البيوع، باب بيع التمر بالتمر متفاضلاً، وباب بيع الفضة بالذهب، والذهب بالفضة، وأخرجه ابن ماجة رقم (٢٢٥٦) فى التجارات، باب الصرف ومالا يجوز متفاضلاً.

وزاد النبي ﷺ هذه المسألة توضيحا جليا فقال كما في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت:

«الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمَلْحُ بِالمَلْحِ مَثَلًا بِمِثْلِ يَدَا بِيَدٍ سَوَاءٍ بِسَوَاءٍ، فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَرَادَ فَقَدْ أَرَى الآخِذَ وَالْمُعْطَى سَوَاءً»^(١)

وفي رواية لمسلم: «فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ فَيَبْعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ» .

وفي لفظ للبخاري «لَا تَبْعُوا بِالذَّهَبِ إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَالْفِضَّةَ بِالْفِضَّةِ إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَيَبْعُوا الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ، وَالْفِضَّةَ بِالذَّهَبِ كَيْفَ شِئْتُمْ»^(٢) فالتبادل بين الذهب والفضة مثلا تبادل حر يمكن فيه التفاضل بشرط التناقد أي التقابض في المجلس الواحد، وهكذا فعبارة مثلا بمثل يفهم منها أن تشترط الاتفاق في النوعية وعبارة يدا بيد تشترط التقابض في المجلس .

وعبارة سواء بسواء تشترط التساوي في المقدار ، وعدم جواز الفضل .

(١) رواه مسلم رقم (١٥٨٧) في المساقاة، باب الصوف وبيع الذهب بالورق نقداً، والترمذي رقم (١٢٤٠) في البيوع، باب ما جاء أن الحنطة بالحنطة مثلاً بمثل، وأبو داود رقم (٣٣٤٩)، (٣٣٥٠) في البيوع، باب في الصرف، والنسائي (٢٧٤/٧، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨) في البيوع، باب يبيع البر بالبر، وبيع الشعير بالشعير، وأخرجه ابن ماجه رقم (٢٢٥٤) في التجارات، باب الصرف، ومالا يجوز متفاضلا يدا بيد .
(٢) رواه البخاري رقم (٢١٧٥) في البيوع، باب يبيع الذهب بالذهب .

رابعاً: ربا البنوك :

لاشك أن وجود البنوك في العصر الحديث ضرورة تستوجبها الظروف الاجتماعية والاقتصادية، والتجارة الخارجية.

ولكن ليس بالضرورة أن يقوم هذا النظام البنكي على الربا بل يمكن الاستفادة منه في تيسير المنافع، والخدمات التي يحتاج إليها الناس ضمن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة وفقاً للتصور الإسلامي الموجود بالفعل، للتخلص من هذا النظام الربوي، والذي يسك به دهاقنة اليهود في العالم الذين استطاعوا بالفعل أن يؤثروا على كثير من المسلمين، ومن العلماء للفرقة بين الربا المحرم، وبين ربا البنوك وبالفعل سميت المعاملات الربوية البنكية بأسماء بعيدة لإزاحة الشبهات المتعلقة بالربا كلفظ الفائدة، أو العمولة، أو العائد، أو السحب على المكشوف، أو الحساب الجاري المدين، أو سندات الخزينة التي تسمى بشهادات الاستثمار... الخ.

وظهرت الفتاوى بأنه يجب النظر إلى هذه البنوك على أساس مصالح الناس في معاشهم فإن كان لا يتم معاشهم إلا بها فهي جائزة دفعا للخرج الواجب دفعه عملاً بنص القرآن:

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي

الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ١٧٨]

فمصلحة الناس في الأصل أن لا تصادم هذه المصلحة نصاً شرعياً وأن المرجع الأول في التشريع النقل، وليس العقل.

ومن المعروف لكل أحد أن النظام البنكي يقوم على فلسفة الفائدة

وبالتالى فإن طبيعة الأعمال البنكية في الغالب ، وبصفة عامة لا تخرج عن دور الوساطة بين المودعين والمقترضين بفائدة مشروطة على الجميع ولكنها تزيد كثيرا في حالة الإقراض عنها في حالة الإيداع ، وهذا هو الربا بعينه .

فلقد توفر فيه جميع العناصر الربوية التي ذكرناها آنفا .

ولقد أصدرت المجامع الفقهية التي يجب أن يعتمد عليها لا على فتاوى الأفراد فالفرد نفسه يخطئ ويصيب .

أصدرت هذه المجامع الفتاوى بحرمة فوائد البنوك ، وأنها بعينها هي الربا المحرم .

كفتوى المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامى لعام ١٩٧٦م الذي حضره الكثرة من علماء الاقتصاد وقتها ، والشريعة على مستوى العالم وأجمع الجميع على اعتبار فوائد البنوك من الربا المحرم .

وكفتوى مجمع الفقه الإسلامى بجدة في دورته الثالثة المنعقدة في أكتوبر لعام ١٩٨٦

وكفتوى المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامى لعام ١٩٨٦م ، والتي قالت : بأنه يحرم على كل مسلم أن يتعامل مع البنوك الربوية من الداخل والخارج .

وكفتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٢ يناير لعام ١٩٨٠ ، بأن إيداع الأموال في البنوك بفائدة محددة مقدما من الربا المحرم شرعا .
وغيرها الكثير والكثير ، وإلى جوارها العديد من الفتاوى .

وكفتوى إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة التي نصت على تحريم الفوائد الربوية، والتعامل مطلقاً مع أى بنك ربوي والفتوى برقم

٢٨٢٨

وأما ما يعرف بالقرض الإنتاجي الاستهلاكي فقد أفتى مؤتمر علماء المسلمين المتعقد بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بأن الفائدة على أنواع القروض ربا محرم لا فرق بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي أو الإنتاجي. أما ما يسمى بسندات الخزينة أو شهادات الاستثمار فهي بدعة جديدة لتضليل الناس. وما هي في الحقيقة إلا قرض بزيادة مشروطة محددة في نظير الزمن ولا يمكن على الإطلاق أن يغير المسمى حقيقة الربا.

فالعبرة في المعاملات بحقيقتها، وليست بألفاظها وأسمائها، فهذه الشهادات ذات القيمة المتزايدة وذات العائد الجاري، أو الدولارية، أو غيرها تجمع بين الربا والقمار المحرم، بل وتجمع بين ربا النسيئة وربا الفضل. وجميع الشبه التي يحتجون بها على الجواز إنما هي شبه عرجاء، وكل امرئ بما كسب رهين.

من البيوع المحرمة التي ابتلى بها كثير من الناس وأريد أن أنبه إليها ما يسمى «بيع العينة».

وهي قرض ربوي مستتر بمعنى أن يشتري الرجل السلعة سيارة مثلاً بمائة ألف ثم يبيعها مرة أخرى إليه أي إلى البائع بخمسة وتسعين ألفاً مثلاً ولذا يسمى بيع العينة لأن عين السلعة تعود إلى البائع مرة أخرى ولا يتسع الوقت لذكر أنواع أخرى من البيوع، ولكنني أكتفى بهذا لكثرة ابتلاء الناس به والعياذ بالله.

وأخيراً: فهل من توبة وما الحل؟

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]

والحل هو الاستثمار والتجارة الحلال، فإذا كنت لا تملك أن تستثمر مالك أو أن تتاجر فيه لاسيما إذا كنت مرتبطا بعملك كطبيب، أو مهندس، أو مدرس، أو غير ذلك.

ونحن نعيش زمانا ضعف فيه الإيمان، وخربت فيه الذمم، وحُورب كثير من المشاركات الاقتصادية الإسلامية الحيرة فأمامك هذه الأفرع الإسلامية التي انتشرت الآن في بلاد المسلمين.

فالحمد لله أن وجد بعض البنوك الإسلامية التي يشرف عليها مجموعة من العلماء أو ما يسمى بهيئة الرقابة الشرعية.

ولا تكلف نفسك من الأمر مالا تطيق بالسماع لكل من يشكك في كل ما هو إسلامي.

فذاك مقصود لذاته، ولا يمكن أبدا أن تقوم تجربة إسلامية في ظل هذه الظروف الربوية الرهيبة لتولد مكتملة بنسبة مائة في المائة، ولكن هذا من باب ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]

وبذلك تكون قد أعذرت إلى الله عز وجل وعلا، ونسأل الله أن يطهر أموالنا...

... الدعاء



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا
هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل
ضلالة في النار.

أحبتى في الله :

هذا هو لقاءنا السادس مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » ، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قال: « الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ »^(١)

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الخامسة في هذا الحديث وهي أكل مال اليتيم.

وبالها من كبيرة، كبيرة وقع فيها كثير من الناس نسأل الله السلامة والعافية. ونظرا لخطورة هذا الموضوع وطوله فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم في العناصر التالية.

أولاً: من هو اليتيم.

ثانياً: مكانة اليتيم في القرآن والسنة وفضل كافله.

ثالثاً: عاقبة من يأكل مال اليتيم.

رابعاً: يتم رغم وجود الوالدين.

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) في الوصايا ، باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ ، وفي الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ، وفي المحارِبين ، باب رمي المحصنات ، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها ، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا ، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم ، والنسائي (٦ / ٢٥٧) في الوصايا ، باب اجتناب أكل مال اليتيم .

وأخيراً: كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك؟! .
فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان.

أولاً: من هو اليتيم؟

جاء في لسان العرب لابن منظور:

أن اليتيم في الناس من فقد أباه وأن اليتيم في الحيوانات ،والطيور من فقد أمه .

وهذه لطيفة لغوية دقيقة لها مغزى، قَلَّ من ينتبه إليها .

وأصل اليتيم في اللغة: هو الغفلة، وبه سمى اليتيم يتيماً؛ لأنه يُتَغَافَلُ عن بره بعد موت أبيه .

وأصله أيضاً الانفراد فكل شيء مفرد بغير نظيره فهو يتيماً كما يقال درة يتيمة أي منفردة .

ثانياً: مكانة اليتيم في القرآن والسنة وفضل كافله.

لقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة باليتيم من الناحية النفسية والتربوية ،ومن الناحية المادية على السواء .

مراعاة لظروفه النفسية بعد فقدته لأبيه إذ قد يصيبه شيء من الذل والانكسار والوحشة لا سيما إن كان أبوه ممن امثل قول الله عز وجل
وعلا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]

ولقد ظهرت هذه العناية الكريمة باليتيم منذ الفترة الأولى لتنزل
الوحي على قلب حبيبه ﷺ الذي ولد يتيماً فكان يتمُّ تشریفاً لكل
يتيم!!

فهو اليتيم الذي أعاد البسمة والسعادة لليتامى على ظهر الأرض، وما
هو ربنا جل وعلا يمتنُّ على حبيبه المصطفى ﷺ بهذه النعمة والمنة
فيقول:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ
عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۖ ﴾ [الضحى: ٨٦]

أي: ولدت يتيماً فأواك الله.

وأحاطك بعنايته ورعايته وحفظه وفضله.

وكنت فقيراً فأغنى الله نفسك بالقناعة والرضي، ثم أفاض عليك
الرزق الطيب الحلال، وكننت تائها تبحت عن الطريق في بيئة جاحدة
ونفوس شاردة، وهاجرة محرقة فهداك الله وطمأن قلبك وشرح صدرك
ورفع ذكرك، ووضع وزرك.

ومن ثم بعد كل هذه النعم والمنن، وبعد كل هذا الفضل والفيض
يأتيه التوجيه الرباني الكريم:

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۙ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۙ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدِّثْ ۙ ﴾ [الضحى: ٩-١١]

ومن هذا المنطلق الكريم بالاهتمام بأمر اليتيم.

يأمر الله جل وعلا بالمحافظة على أموال اليتامى، وعدم
تبيديها، أو تبديلها بالخبيث أو المتاجرة بها فيما حرم الله عز وجل، فإن

هذه الأموال أمانة عند ولي اليتامى سيسأل عنها بين يدي الله جل
وعلا . فيقول سبحانه :

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٢]

ويقول سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ
يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا
قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

وأوجب الله على ولي اليتامى أيضا : ألا يُسْرِفَ في الإنفاق منها
وحذره من المبادرة والإسراع إلى أكلها قبل أن يكبر أصحابها من
اليتامى ليأخذوها فإن هذا من أعظم الذنوب والآثام .

وأوجب الله تعالى على ولي اليتامى إن كان غنيا أن يستعفف عن
الأكل من أموال اليتامى وإن كان فقيراً فله أن يأكل بالمعروف من غير
إسراف ، ولا تبزير وفي أضيق الحدود .

وأوجب الله على ولي اليتامى أيضا أن يرد أموال اليتامى إليهم إذا
بلغوا النكاح ، أو مرحلة الرشد والنضج ، وأصبحوا قادرين على تصريف
أمورهم وتبذير شئونهم والمحافظة على أموالهم .

وأمره أن يُشْهَدَ عند دفع هذا المال إبراء للذمة ودرأ للشبهة .

ورأي الشافعية والمالكية أن الأمر هنا للوجوب ورأي الحنفية أن
الإشهاد مندوب وليس بواجب .

فقال سبحانه: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦]

ومن الآيات القرآنية التي تؤكد وترسخ هذه المعاني قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]

ويقول عز وجل: ﴿ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ أي إنما عظيما. [النساء: ٢]

ويقول عز وجل: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦]

وبالها والله من خاتمة جليلة ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

فالله هو الرقيب عليكم الشهيد على أعمالكم ، وأقوالكم وأحوالكم يحاسبكم على ما أظهرتم وما أسررتم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .
وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الانبيا: ٤٧]

ومن بين هذه الآيات القرآنية الكريمة هذه الآية التي تكرم اليتامى أعظم تكريم ، حيث يربط الله جل وعلا أمر الإحسان إليهم بعد الأمر بتوحيده وعبادته عز وجل . فيقول سبحانه :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا ﴾

[النساء: ٣٦]

ومع أن كل هذه الآيات السابقة تشتمل على اليتيم واليتيمة إلا أن الله جل وعلا قد خص اليتيمة أيضا بهاتين الآيتين زيادة في تأكيد حقها وتوضيحه فيقول سبحانه :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسَطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرِبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣]

يقول سبحانه : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٧]

وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما أن عروة بن الزبير رضي الله عنه سأل عائشة - رضي الله عنها - عن الآية الأولى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسَطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرِبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا

تَعَدُّلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ [النساء: ٣]

فقالت عائشة رضي الله عنها: يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يُقسطَ في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره.

فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن وبلغوا لهن أعلى ستهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله^(١): ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧]

وفي صحيح البخاري، ومسلم وغيرهما أن عروة بن الزبير سأل عائشة - رضي الله عنها - عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ... الآية﴾ [النساء: ٣]

فقالت: يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن^(٢)

(١)، (٢) رواه البخاري رقم (٤٥٧٤) في الوصايا، باب قول الله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب)، وفي تفسير سورة النساء، وفي النكاح، وفي الحبل، وأخرجه مسلم رقم (٣٠١٨) في التفسير، وأبو داود رقم (٢٠٦٨) في النكاح باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء، والنسائي (٦/١١٥)، و(١١٦) في النكاح، باب القسط في الأصدقة.

قالت عائشة رضي الله عنه فاستفتى الناس رسول الله ﷺ بعد ذلك
فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ... الآية﴾.

فبين الله لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال ورغبوا في
نكاحها، ولم يلحقوها بسنتها في إكمال الصداق.

وإذا كانت مرغوباً عنها لقله المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها
من النساء .

وقالت عائشة رضي الله عنها فكما يتركونها حين يرغبون عنها
فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها
الأوفي من الصداق، ثم تأتي السنة ليقوم صاحبها ﷺ الذي كان يتمه
تشرifa لكل يتيم، تأتي هي الأخرى لتكرم اليتيم تكريماً هو من الذروة
بمكان .

فوالله لو لم يرد في السنة إلا هذا الحديث الذي رواه البخاري
ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » وأشار بالسبابة والوسطى^(١)

لو لم يكن فيها إلا هذا الحديث لكفى .

وفي لفظ مسلم: « كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لغيره أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ »^(٢)،

(١) رواه البخاري رقم (٦٠٠٥) في الأدب، باب من يعول يتيماً، والترمذي رقم (١٩١٩)

في البر والصلة، باب ما جاء في كفالة اليتيم، وأبو داود رقم (٥١٥٠) في الأدب، باب
فيمن ضم اليتيم .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٨٣) في الزهد والرقائق باب الإحسان إلى الأرملة والمكين

أي: حتى وإن كان اليتيم أجنبياً عنه.

ولقد نقل الحافظ ابن حجر قول ابن بطال:

حق على كل من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك. (١)

وفي الحديث الذي رواه أبو يعلى وغيره عليه السلام وقال عنه الحافظ ابن حجر في الفتح: إسناده لا بأس به، من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنني أرى امرأة تبادرني (أي: تسرع لتدخل معي الجنة) فأقول لها مالك ﷻ ومن أنت؟! فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي». (٢)

وفي الحديث الذي رواه النسائي بسند جيد من حديث شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أخرجُ حقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمَرْءِ» (٣)

ومعنى أخرج أي ألحق الحرج والإثم الشديد على من ضيع حقهما، وأكل مالهما فإني أحذر من ذلك تحذيراً بليغاً، وأزجر عنه زجراً كبيراً.

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - قال: «رأى سعد أن له فضلاً على من دونه فقال النبي ﷺ:

(١) فتح الباري (٤٣٦/١٠) ط دار المعرفة بيروت

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤٣٦/١٠)، أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة، ورواه لا

بأس بهم.

(٣) رواه النسائي.

« هَلْ تَنْصَرُونَ وَتُرْزُقُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ »

رواه البخاري ^(١) مرسلًا ووصله الحافظ أبو بكر البرقاني في صحيحه .

وفي الحديث الذي رواه البخاري ، ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسَاكِينِ كَالْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ » ^(٢) .
الله أكبر . . . والأرملة هي المرأة التي مات زوجها .

أى فضل هذا وأى أجر؟!!

والله إنها التجارة الرباحة في الدنيا والآخرة .

فهذه هي مكانة اليتيم في القرآن والسنة .

ثالثًا : عاقبة من يأكل مال اليتيم

ومن ثم يأتي هذا التحذير الرهيب والإنذار الرعيب الذي يفزع القلوب الحية لبيّن عاقبة آكل مال اليتيم فيقول جل وعلا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]

(١) رواه البخاري رقم (٢٨٩٦) في الجهاد ، باب من استعان بالضعفاء ، والصالحين في الحرب ، والنسائي (٤٥٦ /) في الجهاد ، باب الاستنصار بالضعيف .
(٢) رواه البخاري رقم (٥٣٥٣) في النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل ، ومسلم رقم (٢٩٨٢) في الزهد ، باب الإحسان إلى الأرملة ، والترمذي رقم (١٩٦٠) في البر والصلة ، باب ما جاء في السعى على الأرملة ، والنسائي (٥ / ٨٧ ، ٨٦) في الزكاة ، باب فضل الساعي على الأرملة .

الله أكبر... إنها صورة مفزعة.. صورة النار في البطون...
وصورة السعير في نهاية المطاف.

وقد هزت هذه الآية قلوب الصحابة هزا عنيفا وملأتها بالخوف
والرهبة ووقعوا في حرج شديد.

كما قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، انطلق كل من كان عنده
يتيم فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء أى
يتبقى من أكل اليتيم فيحبس له، ولا يأكله أحد حتى يأكله اليتيم، أو
يفسد.

فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل
قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ
تُخَالطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَأَعْتَبْتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]

فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم.

وهكذا رفع المنهج القرآني الكريم هذه الضمائر إلى ذلك الأفق
الوضيء وطهرها من غبش الجاهلية ذلك التطهير العجيب^(١).

رابعاً: يُتَمُّ رَغْمٌ وجود الوالدين :

نعم فقد يكون الوالدان موجودين على قيد الحياة، ومع ذلك فإنك
ترى أطفالهم كأنهم في عداد الأيتام لانشغال الوالدين بالعمل أو بغيره
إذ الوالد منهمك في عمله وتجارته لا يدرى عن حال أولاده شيئاً والمرأة

(١) انظر تفسير الآية في ظلال القرآن.

منشغلة كذلك بالعمل، أو بالأسواق، أو بأحدث المواضع وتخلت عن تربيته للخادمات أو الحاضنات، فينشأ الطفل كما لو كان يتيماً !!!

ورحم الله من قال :

لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنْ انْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ الْحَيَاةِ وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلًا
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلَقَى لَهُ أُمًّا تَخَلَّتْ أَوْ أَبًا مَشْغُولًا

نعم فاليتيم في أصل اللغة كما قال ابن منظور في لسان العرب :

هو أيضا الانفراد فإذا أمسى الطفل بانفراده ووحدته رغم وجود والديه فهو يحس باليتيم.

فالصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش عليها .

فإن عود الخير وربِّي على الإسلام، سلم في الدنيا والآخرة، وإن عود على الشر، وربِّي على موائد اللثام شقى وخسر، وكان الوزر على رأس والديه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]

وأخيراً: كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك؟

والجواب من الله تعالى ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩]

فها هو عمر بن عبد العزيز يدخل عليه ابن عمه سلمة بن عبد

وهو على فراش الموت فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد أقفرت أفواه ولدك من هذا المال!! فلو أوصيت بهم إليّ وإلى نظرائي من قومك فكفوك مئونتهم .

فلما سمع مقالته قال : أجلسوني فأجلسوه .

فقال : قد سمعت مقالتك يا مسلمة

أما قولك : إني أقفرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم أكن لأعطيهم شيئاً لغيرهم .

وأما ما قلت في الوصية: فإن وصيى فيهم : ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]

وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما رجل صالح فسيعينه الله ، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال ادع لى بنى فأتوه .

فلما رأهم ترقرت عيناه وقال : بنفسى فتية تركتهم عالة لا شيء لهم وبكى، يا بني إني قد تركت لكم خيراً كثيراً لا تمرّون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقاً .

يا بني إني قد ملّيت بين أمرين : إما أن تستغنوا وأدخل النار أو تفتقروا وأدخل الجنة، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إليّ . . قوموا عصمكم الله . . قوموا رزقكم الله، وهذا لا يعارض أبداً الدخول في الأسباب ، فلا مانع على الإطلاق أن تسعى ، وأن تكدح شريطة ألا تضيع حق الله تعالى ، ثم حقوق أولادك من أجل أن توفر لهم السعادة في حياتك ، وبعد مماتك، والأصل في ذلك .

ما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: «جاءني رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت يا رسول الله، إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا»، قلت: فالشطر يا رسول الله؟ قال: «لا»، قلت: الثلث؟ قال: «فالثلثُ والثلثُ كثيرٌ»، ثم قال: «إنك إن تذر ورثتك أغنياءَ خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكففون الناسَ»^(١).

... الدعاء

(١) رواه البخاري رقم (١٢٩٥) في الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة، وفي الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، وفي الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يدعهم يتكففون الناس، وباب الوصية بالثلث، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم»، وفي المغازي، وفي النفقات، وفي المرضى وفي الدعوات، وفي الفرائض، ومسلم رقم (١٦٢٨) في الوصية، باب الوصية بالثلث، والموطأ (٢ / ٧٦٣) في الوصية، باب الوصية في الثلث لا تتعدي، والترمذي رقم (٩٥٧) في الجنائز، باب ما جاء في الوصية بالثلث والربع، وفي الوصايا، باب ما جاء في الوصية بالثلث، وأبو داود رقم (٢٨٦٤) في الوصايا، باب ما جاء فيما لا يجوز للوصي من ماله، والنسائي (٦ / ٢٤١ - ٢٤٣) في الوصايا، باب الوصية بالثلث.



التولي يوه الزحف



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ،

وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتى في الله :

فهذا هو لقاءنا السابع مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال :

«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»^(١).

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة السادسة ألا وهي التولى يوم الزحف، والتولى كما قال ابن منظور في لسان العرب في مادة ولى. وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية:

أولاً: المعنى اللغوي.

ثانياً: تشريع الجهاد في الإسلام والهدف منه.

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾، وفي الطب باب الشرك والسحر من الموبقات، وفي المحاريرين، باب رمى المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، والنسائي (٢٥٧/٦) في الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم.

ثالثاً: فضل الجهاد.

رابعاً: وجوب الثبات أثناء الزحف.

خامساً: التولي يوم الزحف كبيرة من الكبائر.

وأخيراً: لا عز إلا بالجهاد.

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان.

أولاً: المعنى اللغوي لقوله ﷺ: «والتولِّي يومَ الزَّحْفِ».

قال ابن منظور في لسان العرب^(١) في مادة ولي:

ولي الشيء، وتولى أى أدبر، ودنى عنه أى أعرض عنه، وقد

تكون التولية إقبالا كما في قوله تعالى:

﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]

أى أقبل بوجهك نحوه.

وقد تكون التولية إعراضا وانصرافا، وإدبارا كما في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]

فالتولي يوم الزحف هو الإعراض والإدبار والفرار أمام العدو في

ساحة الجهاد.

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة ولي وزحف:

إن التولي: هو الإدبار والإعراض والانصراف.

(١) لسان العرب لابن منظور (٤١٤ / ١٥).

والزحف هو: الشيء رويداً أي ببطء فالجيش الزاحف هو الذي يرى كثرته كأنه يزحف ويمشي ببطء لأنه يتحرك ككتلة واحدة وكجسم واحد.

وعليه فالتولي يوم الزحف : هو الإعراض والانصراف والإدبار والفرار أمام العدو من أرض المعركة.

ثانياً: تشريع الجهاد في الإسلام والهدف منه.

لقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ، وأمره أن يدعو الناس جميعاً لهذا الدين وخاطبه بقوله جل وعلا:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ، وَتِيَابِكَ فَطَهِّرٌ ﴾

[المدثر: ١-٤]

فقام النبي ﷺ في ذات الله أتم قيام، وشمر عن ساعده ودعا إلى الله ليلا ونهارا وسراً وجهراً إلى أن نزل عليه قول الله عز وجل:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]

فصدع بأمر الله فدعا إلى الله الصغير والكبير، والحر والعبد والذكر والأنثى، والأحمر والأسود.

فأبرقت قريش وأرعدت وأرغت وأزبدت ودقت طبول الحرب وأوعدت .

فلما اشتد الإيذاء والبلاء أمر النبي ﷺ أصحابه أن يهاجروا إلى أرض الحبشة مرتين .

وتضاعف الإيذاء والابتلاء ومع هذا لم يأذن الله لرسوله بأن يقابل

السيئة بالسيئة، أو أن يواجه الأذى بالأذى، أو أن يحارب هؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويفتتوا المؤمنين والمؤمنات، بل أمره بالعفو والصفح كما قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور: ٤٨]

﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩]

﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥]

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الجمaine: ١٤]

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٦]

وتتابع الأذى والاضطهاد حتى بلغ ذروته بتدبير مؤامرة حقيرة لاغتيال رسول الله ﷺ، فاضطر النبي ﷺ إلى الهجرة من مكة إلى المدينة، وأمر أصحابه بالهجرة إليها بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة المباركة.

فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، وأيده بنصره بعباده المؤمنين من الأنصار الأبرار، والمهاجرين الأطهار، وألف الله بين القلوب، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء، والأزواج والأموال.

وهنا رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشمروا لهم عن ساق العداوة، والمحاربة، وأحاطوا بهم من كل ناحية.

وهنا أذن الله للمؤمنين في القتال، ولم يفرضه عليهم دفاعاً عن النفس، وتأمينا للدعوة فقال تعالى :

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ (٣٩)
 الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله
 الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها
 اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴿٤٠﴾ الذين إن
 مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن
 المنكر ولله عاقبة الأمور ﴿الحج: ٤١﴾

وفي السنة الثانية من الهجرة فرض الله القتال بقوله تعالى:

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير
 لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾

[البقرة: ٢١٦]

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من
 عذاب أليم ﴿١٠﴾ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم
 وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿١١﴾ يغفر لكم ذنوبكم
 ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن
 ذلك الفوز العظيم ﴿١٢﴾ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر
 المؤمنين ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠-١٣]

والله إنها لتجارة رابحة، ولم لا؟! وقد علق الله عليها مغفرة
 الذنوب، والنصر في الدنيا والنجاة من النار والفوز بالجنة في الآخرة.

وبعد هذه التجارة الرابحة يأتي هذا العقد الجليل والوعد الكريم الذي
 أودعه الله جل وعلا أفضل كتبه المنزلة وهي التوراة والإنجيل، والقرآن
 وبإله والله من عقد ما أعظم خطره، وأجل قدره فالله جل وعلا هو

المشتري والثلث جنت النعيم .

أما السلعة فهي الجهاد في سبيل الله، بالأنفس والأموال .

فلما رأى التجار عظمة المشتري، وقدر الثمن وجلالة قدر من جرى عقد التباع على يديه ، ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد عرفوا أن للسلعة قدرا وشأنا، ليس لغيرها من السلع فرأوا أن من الخسران الكبير أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة .

فعدوا مع المشتري بيعة الرضا والرضوان .

فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١]

فلما تم العقد وسلم الفائزون المفلحون السلعة الغالية أي : أنفسهم وأموالهم قيل لهم : قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا ، والآن قد رددناها عليكم أوفر وأكرم وأعظم ما كانت فقال سبحانه :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

ثم بين إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين شرف الجهاد وفضله

فقال كما في الحديث الذي رواه البخاري وأحمد من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرَ

أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» (١).

وفي حديث أبي سعيد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي سعيد: «مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدّها عليّ يا رسول الله ففعل، ثم قال رسول الله ﷺ: «وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا الْعَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» قال: وما هي يا رسول الله، قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٢) (انظر زاد المعاد ٣/٧٨)

وفي الحديث الذي رواه البخاري وأحمد من حديث أبي عبيد الرحمن بن صير أن النبي قال: «مَنْ اغْتَبَرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» (٣)

وعن محمد بن المنكدر قال: مر سلمان الفارسي على شرحبيل بن السمط وهو في مرابط له، وقد شق المقام عليه، وعلى أكثر الصحابة فقال لهم سلمان: ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى.

قال سمعته يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ - أَوْ قَالَ: خَيْرٌ

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٩٠)، في الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله، وفي التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، وهروب العرش العظيم.

(٢) رواه مسلم رقم (١٨٨٤) في الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات والنسائي (٢٠٠٦/١٩) في الجهاد، باب درجة المجاهد في سبيل الله.

(٣) رواه البخاري رقم (٩٠٧) في الجمعة، باب المشى إلى الجمعة، وقول الله جل ذكره: «فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ»، ومن قال السعى والعمل والذهب، وفي الجهاد، باب من اغتبرت قدماه في سبيل الله، والترمذي، رقم (١٦٣٢) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من اغتبرت قدماه في سبيل الله والنسائي (٦/١٤) في الجهاد، باب ثواب من اغتبرت قدماه في سبيل الله.

- من صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ،
وَأَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ» (١)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي
سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِّ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ» (٢).

وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ
أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ
الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى مَلِكِ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَطْلَاعَةً
فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ
حَيْثُ شِئْنَا؟ فَفَعَلَ لَهُمْ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يَتْرَكُوا مِنْ أَنْ
يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ! أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَقْتُلُ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً
أُخْرَى فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرَكُوا» (٣)

ولذلك قال النبي ﷺ لجابر بن عبد الله: «أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ
لَأَبِيكَ» قال بلى، قال: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلَّمَ أَبَاكَ

(١) رواه مسلم رقم (١٩١٣) في الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، والترمذي رقم (١٦٦٥) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرباط، والنسائي (٦/٣٩) في الجهاد، باب فضل الرباط، وإسناده صحيح، وقال الترمذي حسن صحيح.
(٢) رواه البخاري رقم (٢٨٠٣) في الجهاد، باب من يجرح في سبيل الله، ومسلم رقم (١٨٧٦) في الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، والموطأ (٢/٤٦١) في الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله، والترمذي رقم (١٦٥٦) في فضل الجهاد، باب ما جاء فمن يكلم في سبيل الله، والنسائي (٦/٢٨) في الجهاد، باب من كلف في سبيل الله.
(٣) رواه مسلم رقم (١٨٨٧) في الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

كَفَاحًا» فقال: «يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أَعْطَكَ، قَالَ يَا رَبُّ تُحْسِنِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبُّ فَأَبْلِغْ مِنِّي وَرَأْيِي». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ومن أجل هذا كله ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَيَّ شُعْبَةً مِنْ نِفَاقٍ»^(١)

وأكتفي بهذا القدر من الأحاديث وإلا فهي كثيرة.

وأختم بهذه الأبيات المعبرة التي تبين شرف الجهاد وفضله.

والتي أرسل بها الإمام المجاهد العلم عبد الله بن المبارك لأخيه القانت الزاهد الورع عابد الحرمين الفضيل بن عياض يذكره فيها بشرف الجهاد في سبيل الله فيقول:

لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ	يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا
فَنُحُورَنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ	مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ
فَخُبُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ	أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلُهُ فِي بَاطِلِ
وَهَجِ السَّنَابِكِ وَالْفُجَارِ الْأَطْيَبِ	رِيحِ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا
قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ	وَلَقَدْ أَنَا مِنْ مَقَالِ نَبِينَا
أَنْفِ امْرِيٍّ وَدُخَانِ نَارِ تَلْهَبُ	لَا يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي
لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ	هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا

(١) رواه مسلم رقم (١٩١٠) في الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، وأبو داود رقم (٢٥٠٢) في الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، والنسائي (٦ / ٨) في الجهاد باب التشديد في ترك الجهاد، وأخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٣٧٤).

رابعاً: وجوب الثبات في الجهاد:

ولما كان هذا هو شرف الجهاد وفضله أمر الله جل وعلا بالثبات أثناء الزحف للقاء الكفار والمشركين.

لأن قلب المؤمن ينبغي أن يكون راسخاً ثابتاً لا تهزمه في الأرض قوة ما دام موصولاً بالله القوي العزيز: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]

ويجب أن يكون هذا القلب كذلك على يقين أن الآجال بيد الله، وأن واهب الحياة هو الله، وأنه إلى الله إن عاش حياً، إلى الله إن كتبت له الشهادة، ومن ثم جاء هذا الأمر الرباني الكريم بالثبات والصبر والذكر، والذل لله والطاعة وعدم الكبر، وعدم التنازع فقال سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٧]

فهذه هي العوامل الحقيقية للنصر:

* الثبات عند لقاء العدو.

* كثرة الذكر لله عز وجل

* الطاعة لله والرسول ﷺ

- * البعد عن النزاع والخلاف .
- * الصبر على تكاليف المعركة .
- * الحذر من البطر والرثاء والبغي .

واستجاب الصحبُ الكرام الذين رباهم سيد الأنام: عليه الصلاة والسلام لهذا الأمر الرباني الكريم .

وضربوا أروع الأمثلة في الثبات في ساحة الوغى وميدان البطولة والشرف حينما تصمت الألسنة الطويلة، وتخطب السيوف والرماح على منابر الرقاب، وأكتفي بهذا المشهد الكريم لأنس بن النضر الذي صرخ في الناس يوم أحد لما أشيع الخبر بأن رسول الله ﷺ قد مات، وبدأ الجيش ينسحب راجعا إلى المدينة معتقدا أن أمر هذا الدين قد انتهى .

قام أنس ليقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - .

ثم تقدم فلقه سعد بن معاذ فقال: أين يا أبا عمرو فقال أنس: وإها لريح الجنة يا سعد، إني أجده دون أحد، ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل فما عرف حتى عرفته أخته بينانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم! والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أنس^(١)

(١) رواه البخاري رقم (٢٨٠٥) في الجهاد والسير، باب قول الله عز وجل: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الاحزاب: ٣٢]، ومسلم رقم (١٩٠٣) من حديث أنس بن مالك في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد .

خامسا : التولي يوم الزحف كبيرة من الكبائر:

وبعد هذا الأمر بالثبات يأتي الأمر بعدم الفرار إلا في حالتين اثنتين وإلا فإن الفرار من أرض المعركة كبيرة من كبائر الذنوب تستحق غضب الله ونار جهنم والعياذ بالله .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

[الأنفال: ١٥، ١٦]

والتحرف: هو ترك الموقف أو المكان إلى موقف أو مكان أصلح أو أفضل للانطلاق منه على العدو مرة أخرى، وهذا من خُدع الحرب ومكائدها .

والتحيز: هو الانضمام إلى فئة أخرى لمعاونتهم أو لطلب العون منهم .

وهكذا دلت الآية على أن من فر من موقع إلى موقع آخر لمعاودة القتال أو مريداً التحيز إلى فئة أخرى من المسلمين فإنه لا يكون داخلا في هذا الوعيد الشديد اللاحق بالفارين من الزحف .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الفرار من الزحف ليس كبيرة من الكبائر .

واحتجوا لذلك بأن الآية نزلت في أهل بدر خاصة .

وزعم بعضهم أن الآية منسوخة بقوله تعالى :

﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]

فأجاز هؤلاء الفرار إذا زاد عدد الأعداء عن الضعف .

ولكن جمهور أهل العلم ذهبوا إلى أن الآية محكمة عامة كما يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

وأولى التأويلين عندي قول من قال: حكم الآية محكم ، وأنها نزلت في أهل بدر وحكمها ثابت في جميع المؤمنين .

وأن الله حرم على المؤمنين إذا لقوا العدو أن يولوهم الأدبار منهزمين إلا لتحرف لقتال ، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام .

وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف للقتال منهزما بغير نية إحدى هاتين الخصلتين اللتين أباح الله التولية بهما ، فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه .

وذكر الحافظ ابن كثير بأن الآية نزلت في أهل بدر ، ولكن هذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراماً على غير أهل بدر، وإن كان سبب نزولها فيهم كما دل عليه حديث أبي هريرة من أن الفرار من الزحف من الموبقات كما هو مذهب الجماهير .

وأخيراً: لا عز إلا بالجهاد :

والله ما ضعفت الأمة وذلت وهانت إلا يوم أن ضيعت الجهاد الذي أمرها به لتعيش عزيزة حميدة أو لتلقى الله شهيدة سعيدة .

والله ما ضاعت الأمة إلا يوم أن ضيعت الجهاد الذي جعله النبي ﷺ ذروة سنام هذا الدين .

وقد حرص أعداؤنا على أن يحولوا بين الأمة وبين الجهاد !!
وحاولوا بثتى الطرق على ألا نربي الأجيال المسلمة على روح الجهاد، ولا على سير الأبطال المجاهدين؛ لتظل الأمة ذليلة كسيرة مبعثرة كالغنم في الليلة الشاتية الممطرة.
وبالفعل لقد تضاعل كثيراً مفهوم الجهاد في حس المسلمين يوماً بعد يوم حتى صارت الدعوة إلى الجهاد تقابل بشيء من الفتور البارد الشديد .

بل لا أكون مغاليا إن قلت حتى صارت الدعوة إلى الجهاد تقابل بشيء من الإنكار الشديد .

والحمد لله : فقد أثبتت الأيام عمليا أن مجلس الأمن وهيئة الأمم وجميع المحافل لن تعيد للأمة المكلومة حقوقها ، ولن تعيد لمن يذبحون تذبيح الخراف دماءهم ، ولن ترد لهذه الأمة هويتها وكرامتها وسيادتها .

بل لا سبيل لذلك على الإطلاق إلا بإحياء روح الجهاد في الأمة بتخليص النفوس ابتداء من الركون إلى هذا الوحل، والخلود إلى هذا التراب والطين .

وقد شخص النبي ﷺ الداء تشخيصا دقيقا وحدد الدواء كذلك تحديدا دقيقا ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود، وغيره من حديث ثوبان أنه ﷺ قال: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟

قال: « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمٌ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كَفْنَا السَّيْلَ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ».

قيل: وما الوهن يا رسول الله؟

قال: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١)

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد، وأبو داود من حديث ابن عمر - رضي الله - عنهما: « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَبِعْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكَتُمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ »^(٢).

أسأل الله العظيم أن يرفع علم الجهاد، ويقمع أهل الزيغ والفساد
وإنه ولي ذلك والقادر عليه
... الدعاء

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٩٧) في الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام، وفي سنه أبو عبد السلام صالح بن رستم الهامشي وهو مجهول، ولكن رواه أحمد ٥/٢٧٨ من طريق آخر وسنده قوى، وصححه شيخنا الألباني رحمه الله في الصحيحة.
(٢) رواه أبو داود رقم (٣٤٦٢) في البيوع باب في النهي عن العينة، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١١).



قذف المحصنات الغافلات المؤمنات



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر

الأمر محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتني في الله :

فهذا هو لقاءنا الأخير مع السبع الموبقات التي حذر منها النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال :

«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالنَّوْطِيُّ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»^(١)

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الأخيرة ألا وهي :

«قذف المحصنات الغافلات المؤمنات»

وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا، فسوف يتظم حديثي مع حضراتكم في العناصر التالية .

أولا : المعنى اللغوي .

ثانيا: شروط القذف وبما يثبت؟

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) في الوصايا ، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أموال اليتامى ظلماً﴾ ، وفي الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ، وفي المحاربين ، باب رمي المحصنات ، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها ، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا ، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم ، والنسائي (٢٥٧/٦) في الوصايا ، باب اجتناب أكل مال اليتيم .

ثالثا: حكم القذف وعقوبته في الدنيا والآخرة.

رابعا: نموذج من القذف البشع.

وأخيرا: صور مشرقة.

فأعيروني القلوب والأسماع، فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان.

أولا: المعنى اللغوي:

جاء في لسان العرب لابن منظور:

القذف هو: الرمي والسب.

ومعناه هنا: رمى المرأة بالزنا أو ما كان في معناه.

والمحصنات: جمع محصنة وهي المرأة المتزوجة.

والمُحْصِنَةُ، والمُحْصِنَةُ كذلك: هي المرأة العفيفة البعيدة عن الريبة

والشك.

والمغافلات: من الغفلة، وهي الترك والسهو.

والمغافلات: هن البريئات الطوايا المطمئنات النفس لأنهن لم يفعلن

شيئا يحذرهن، ويخفن منه.

ثانيا: شروط القذف ومثبت:

إن القذف لا يصبح جريمة تستحق الجلد إلا بشروط، منها ما يجب

توفره في القاذف، ومنها ما يجب توفره في المقدوف، ومنها ما يجب

توفره في الشيء المقدوف به.

الشروط التي يجب توفرها في القاذف وهي:

العقل والبلوغ والاختيار:

وهذه الشروط هي أصل التكليف، فإذا كان القاذف مجنوناً أو صغيراً أو مكرهاً فلا حد عليه. لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم وغيرهم من حديث عليّ وصحح الحديث شيخنا الألباني في صحيح الجامع أنه ﷺ قال: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَ، عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيْقَ»

وفي لفظ «عَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ»^(١)

ولقوله ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني عن ثوبان وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع أنه ﷺ قال: «رُفِعَ»، وفي لفظ «وُضِعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٢)

الشروط التي يجب توافرها في المقلد وهي:

العقل.

البلوغ (أيضاً) فلا يحد من قذف الصغير أو الصغيرة، ولكن الإمام مالك رحمه الله يقول: إذا قذف بنتاً قبل البلوغ ولكنها من الممكن أن يزنى بها والعياذ بالله، فإنه يستحق الحد لأنه قد يفسد عليها مستقبلها ويؤذي أهلها.

(١) رواه أبو داود رقم (٤٣٩٩، ٤٤٠٠، ٤٤٠١) في الحدود، باب في المجنون يسرق أو

يصيب أحداً، وإسناده حسن، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٥١٣).

(٢) رواه الطبراني، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٣٥١٥)، والإرواء (٨٢).

ولكن جمهور العلماء قالوا يُعزَّر ، ولا حد عليه .

• الإسلام : أي أن يكون المقذوف مسلماً .

• العفة : أي يكون المقذوف عفيفاً بريئاً من فعل الفاحشة التي رمي بها .

• الحرية : أي أن يكون المقذوف حراً ، وإن كان قذف الحر للعبد محرماً .

لما رواه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص أنه رضي عنه قال :

«مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزَّنَا أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحُدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ» (١)

ولما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، وهذا لفظ البخاري في كتاب الحدود أنه رضي عنه قال :

«مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ» (٢)

الشروط التي يجب توافرها في المقذوف به وهي :

التصريح بالزنا أو التعريض الظاهر الذي يفهم منه القذف ويستوي في ذلك القول والكتابة .

(١) رواه مسلم رقم (١٦٦٠) في الإيمان، باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنا، وأبو داود رقم (٥١٦٥) في الأدب، باب في حق المملوك، والترمذي رقم (١٩٤٠) في البر والصلة، باب النهي عن ضرب الخدم وشتمهم .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٨٥٨) في الحدود ، باب قذف العبيد .

ويثبت حد القذف بأحد أمرين:

- إما بإقرار القاذف نفسه .
- أو بشهادة الشهود عليه .

ثالثا حكم القذف وعقوبته في الدنيا والآخرة.

أحبتي في الله :

إن الإسلام منهج حياة متكامل لا يقوم أساسا على العقوبة ، إنما يقوم على توفير أسباب الحياة النظيفة ، وتحقيق الضمانات والوقاية .

ثم يعاقب بعد ذلك من يدع الأخذ بهذه الأسباب الميسرة والضمانات الأمنية ليتمرغ في أحوال المعصية طائعا مختارا أو غير مضطر .

ومن ثم يشدد الإسلام في عقوبة القذف هذا التشديد ويتوعد عليها بأشد الوعيد ، لأن ترك الألسنة تلقي التهم جزافا بدون بينة أو دليل يترك المجال فسيحا لكل من شاء أن يقذف من شاء بتلك التهمة النكراء ، ثم يمضي أمنا مطمئنا فتصبح الجماعة وتسمي ، وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة .

وإذا كل فرد فيها متهم ومهدد بالاتهام !!

وإذا كل زوج فيها يشك في زوجه !!

وكل رجل فيها يشك في أصله !!

وكل بيت فيها مهدد بالانهيار !!

وهي حالة من الشك ، والقلق والريبة لا تطاق !! (١)

ومن هنا ... صيانة للأعراض وحماية للمجتمع، شدد الإسلام في عقوبة القذف .

وأوجب على القاذف إذا لم يتم البيينة ثلاثة أحكام وهي:
الأول: أن يجلد ثمانين جلدة .

الثاني: أن ترد شهادته أبدا .

الثالث: أن يصبح فاسقا ليس يعدل لا عند الله ، ولا عند الناس وهذا كلام متفق عليه بين العلماء ، ما لم يتب القاذف إلى الله جل وعلا .

وهذه الأحكام الثلاثة نصت عليها آية محكمة واحدة من سورة النور قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٤، ٥]

أخرج أحمد وعبد الرزاق وأبو داود ، وابن جرير ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :

لما نزلت هذه الآية قال سعد بن عبادة سيد الأنصار - رضي الله عنه -
أهكذا أنزلت يا رسول الله؟!

فقال رسول الله ﷺ :

« يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟ »

فقالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط

إلا بكرا ، وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منّا على أن يتزوجها من شدة غيرته .

فقال سعد بن عبادة - رضي الله عنه - : بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني لأعلم أنها لحق ، وأنها من الله ، ولكنني تعجبت أني لو وجدت (لُكاعًا) - أي امرأته - قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحرکه حتى يأتي بأربعة شهداء فوالله لا آتي بهم إلا وقد قضى حاجته»^(١)

وفي رواية البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - أن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال :

لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهِ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ»^(٢) .

وبالفعل لم يلبثوا إلا يسيرا ، وقد وقع ما ذكره سعد بن عبادة - رضي الله عنه - .

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ، وأحمد من غيرهم من

(١) رواه مسلم رقم (١٤٩٨) في اللعان في فائقته ، والموطأ (٢/٧٣٧) في الأقضية ، باب

القضاء فيمن وجد مع امرأته رجلا ، وأبو داود رقم (٤٥٣٢) في الديات ، باب فيمن وجد

مع أهله رجلا أيقنله؟

(٢) رواه البخاري رقم (٦٨٤٦) في المحاربن ، باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله ، وفي

التوحيد ، باب لاشخص أغير من الله ، ورواه أيضا تعليقا (٩/٢٧٩) في النكاح ، باب

الغيرة ، ومسلم رقم (١٤٩٩) في اللعان في فائقته .

حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال:

فما لبثوا إلا سيرا حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عشاءً فوجد عند امرأته رجلاً يزني بها يقال له شريك بن سحماء، فرأى هلال بن أمية بعينيه، وسمع بأذنيه فلم يهيجه، حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني جئت على أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني!!

فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار، وقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة .

وهكذا أيها الأحبة قذف هلال بن أمية زوجته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء .

فقال النبي ﷺ: «الْبَيْنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»

فقال هلال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟

فجعل النبي ﷺ يقول: «الْبَيْنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»

فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد!

يقول ابن عباس: فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربة إذ أنزل الله على رسوله الوحي، وكان إذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك فأمسكوا حتى فرغ من الوحي .

فنزل قوله تعالى (*):

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿ [التور: ٦-١٠].

(*) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري:

كذا في هذه الرواية أن آيات اللعان نزلت في قصة هلال بن أمية، وفي حديث سعد الماضي (٤٧٤٩) أنها نزلت في عويمر، ولفظه « فجاء عويمر فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امراته رجلاً أيقضه فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: قد أنزل الله فيك وفي صاحبك فأمرهما بالملاعة».

وقد اختلف الأئمة في هذا الموضوع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد. وقد جنح النووي إلى هذا، وسبقه الخطيب فقال: لعلهما اتفق كونهما جاء في وقت واحد.

ثم قال الحافظ: ولا مانع أن تعدد القصص ويتحد النزول، ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر ولم يكن يعلم بما وقع لهلال أعلمه النبي ﷺ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال « فنزل جبريل »، وفي قصة عويمر « قد أنزل الله فيك » فيؤول قوله قد أنزل الله فيك أي وفيمن كان مثلك، وأما قوله لعويمر: « وقد أنزل فيك وفي صاحبك » فمعناه ما نزل في قصة هلال، ويؤيده أنه في حديث أنس عند أبي يعلى قال: « أول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سمحاء قذفه هلال بن أمية بامرأته. اهـ. [فتح الباري ٣٠٤/٨، ٣٠٥ ط دار الريان للتراث بالقاهرة].

فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ:

«أَبشِرْ يَا هَلالُ فَلَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا»

فقال هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل فقال رسول الله ﷺ: «أرسلوا إليها» فجاءت.

فتلا النبي ﷺ عليهما الآيات فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا.

فقال هلال: والله يارسول الله لقد صدقت.

فقالت زوجته: كذب.

فقال رسول الله: «لأعنوا بينهما»

فقيل لهلال: اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

فلما كانت الخامسة: قيل يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من

عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب.

فقال هلال: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها.

فشهد في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

ثم قيل للمرأة اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين.

وقيل لها عند الخامسة: اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب

الآخرة وأن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب.

فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف.

ثم قالت: والله لا أفضح قومي.

فشهدت في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين!!
ففرَّق رسول الله ﷺ بينهما وقضى بأن الولد لها ولا يدعى لأب ولا
يرمى ولدها.

ثم قال رسول الله ﷺ: «إِنْ جَاءَتْ بِه «أَي بَوْلِهَا» أَكْحَلِ الْعَيْنَيْنِ
سَابِغِ الْإِلْتَيْنِ خَدْلَجِ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ»
فجاءت به كذلك. فقال رسول الله ﷺ: «لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ»^(١).

وثبت أيضاً في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي أن
آيات اللعان نزلت في عويمر العجلاني.

وتبين لنا أيها الأحبة أن اللعان بمنزلة البيعة للرجل الذي رأى مع
امراته رجلاً ولا يمكنه أن يأتي بالبيعة.

وترتب على اللعان الأحكام التالية:

أولاً: الفرقة بين الرجل وزوجته.

ثانياً: تحرم عليه تحريماً أبدياً.

ثالثاً: ينتفي عنه النسب فلا ينسب الولد إليه.

رابعاً: يسقط عنه حد القذف.

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٤٧) في التفسير سورة النور، باب «ويدرأ عنها العذاب» وفي
الشهادات، باب إذا ادعى أو قذف فله أن يلتمس البيعة، وفي الطلاق، باب يبدأ الرجل
بالتلاعن، وأبو داود رقم (٢٢٥٤) في الطلاق، باب في اللعان والترمذي رقم (٣١٧٨) في
التفسير باب ومن سورة النور.

خامسا: وجب على المرأة الرجم .

فإذا لاعنت الزوجة أيضاً وشهدت أربع شهادات بالله أن زوجها من الكاذبين، ثم قالت في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان زوجها من الصادقين فيما رماها به .

فإنه لا يتعلق بلعانها إلا حكم واحد وهو سقوط الحد عنها .

هذا هو حكم القذف . وهذه هي عقوبة القاذف في الدنيا .

أما عقوبته في الآخرة فإنها والله لقاسية يقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٢) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿ [النور: ٢٣-٢٥]

رابعا: نموذج من القذف البشع

من هذه النماذج البشعة ما حدث للطاهرة العفيفة . . الحصان

الرزان الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها !!

وتعالوا بنا أيها الأحباب نستمع إلى القصة كما ترويها أمنا أم

المؤمنين عائشة تقول رضي الله عنها وأرضاها :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سافراً أقرع بين أزواجه فأتين

خرج سهمها خرج بها معه .

قالت : فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت معه

بعدها أنزل الحجاب وأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه .

فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار وفي رواية: جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه.

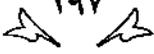
وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوا على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن، اللحم وإنما يأكلن اللعقة من الطعام فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا.

فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد فتممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ.
فبينما أنا جالسة غلبتني عياني فنمت .

وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكواني عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأيته .

وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني بكلمه ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه .

وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش. قالت: فهلك من هلك في شأني وكان الذي



تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي بن سلول .

والحديث بطوله رواه البخاري ،ومسلم وغيرهما .

وفي بعض الروايات أن عبد الله بن أبي بن سلول لما رأى صفوان ابن المعطل - رضي الله عنه - جاء مقبلاً يجزر الراحلة يهودج أم المؤمنين رضي الله عنها .

قال رأس النفاق : من هذا ؟

قالوا : عائشة - رضي الله عنها - .

فقال رأس النفاق : والله ما نجت منه ولا نجا منها!!

ثم قال - وبئس ما قال - امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها .

يا لها من قولة خبيثة . . يا لها من قولة شديدة آثمة وطير المنافق هذه القولة وتناولتها عصايات النفاق . . وسقط في الهاوية بعض المسلمين ولاكت ألسنتهم هذه الفرية المرعبة !!

وماجت المدينة المطهرة بهذا الخبر الأليم شهراً كاملاً !!

الله أكبر . . رسول الله ﷺ يرمى في بيته ؟! . . وفي مَنْ ؟!!

في عائشة التي أحبها من كل قلبه!!

رسول الله ﷺ يرمى في طهارة فراشه وهو الطاهر الذي فاضت طهارته على العالمين !!

رسول الله ﷺ يرمى في صيانة حرمة وهو القائم على صيانة الحرمات في أمته !!

ها هو رسول الله ﷺ يرمى في كل شئ حين يرمى في عائشة !!
يرمى في فراشه !! يرمى في شرفه !! يرمى في قلبه !! يرمى في
رسالته !!

ولحكمة يعلمها اللطيف الخبير العليم يدع الله هذا الأمر شهراً كاملاً
لا تنزل فيه آية على رسول الله ﷺ !!
ورسول الله ﷺ يتألم ألماً تنوء الجبال الراسيات بحملها .

وها هي عائشة الصديقة الطاهرة ترمى في أعز ما تعتز به أي
امرأة!! ترمى في شرفها وهي التي تربت في العش الطاهر الرفيع !!
ترمى في إيمانها وهي الزهرة التي تفتحت في حقل الإسلام وبستان
الوحي!! وعلى يد مَنْ ؟!

على يد سيد البشر محمد ﷺ .

وها هو أبو بكر الصديق يحطمه الألم وهو يرمى في عرضه !!
وفي من ؟! في ابنته زوج رسول الله ﷺ صاحبه وحيبيه ونيه
ورسوله الذي آمن به وصدقه .

ولكنه الصابر المحتسب القوي على آلامه وجراحه .
فيقول بمرارة مريرة :

والله ما رمينا بهذا في الجاهلية أفترضني به في الإسلام !!
وها هو الصحابي الجليل الطيب الطاهر المجاهد في سبيل الله
صفوان بن المعطل يرمى بخيانة نبيه في زوجه !!
فيرمى بذلك في إسلامه وفي أمانته وفي شرفه !!

اللَّهُ أكبر . . إنها خطورة الكلمة !!

ونعود إلى أمنا أم المؤمنين الصديقة الطاهرة الشريفة العفيفة عائشة - رضي الله عنها - عندما علمت أن الناس تكلموا فيها وفي عرضها تقول: فقلت: سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا؟! أي بالإفك.

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي.

فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي^(١) يشيرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه من الود لهم.

فقال أسامة: هم أهلك^(٢) يارسول الله ولا نعلم والله إلا خيراً .

وأما علي بن أبي طالب فقال: يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير^(٣)

قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، حتى أظن أن البكاء فالتق كيدي.

(١) قال الحافظ في الفتح: قوله استلبت الوحي بالرفع أي طال لبث نزوله وبالنصب أي استبطأ النبي ﷺ نزول الوحي.

(٢) قال الحافظ في الفتح: هم أهلك أي العفيفة اللانقة بك، وإطلاق الأهل على الزوجة شائع.

(٣) قال الكرمانى: وإنما قال علي رضي الله عنه ذلك تهيباً للأمر على رسول الله ﷺ وإزالة لما هو ملتبس به، وتخفيفاً لما شاهد فيه، لا عداوة لها حاشاهم عن ذلك.

قالت: فينما أبواي جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي .

فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس .

قالت: ولم يجلس عندي من يوم قيل له ما قيل ؟

وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء .

قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال:

«أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيِّرْكَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١)

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس عنه

قطرة فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال!!

قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فيما قال!!

فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال .

قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ!!

قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن

فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث الناس به حتى

استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني

(١) قال الداودي أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتمان. للفرق بين أزواج النبي ﷺ

وغيرهن فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن، ولا يكتمنه إياه، لأنه لا يحل لنبي

إمساك من يقع منها ذلك بخلاف نساء الناس فإنهن يندبن إلى السر.

بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترف لكم بأمر والله يعلم أنني بريئة لا تصدقوني فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال:

﴿ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أنني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي .

ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحيًا يتلى، ولأننا أحقر في نفسي من أن يتكلم الله بالقرآن في أمري .

ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يرثني الله بها قالت: فوالله ما رام^(١) رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء^(٢) حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل عليه .

قالت: فَسُرِّيَّ عن رسول الله ﷺ وهو يضحك وكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة احمدي الله .

ومن الرواة من قال: أبشري يا عائشة أما الله فقد براك .

فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ.

فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي فأنزل الله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تحسبوه

(١) مارام : ما فارق

(٢) البرحاء: هي شدة الحمى .

شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ (١)

[النور: ١١-١٩]

في مقابل هذه الصورة القائمة البشعة (صورة الإفك) نرى هذه الصورة المشرقة الوضيئة.

إنه الفتى الذي لم يجاوز العاشرة من عمره إلا قليلاً .

إنه عمير بن سعد الذي مات أبوه وتزوجت أمه برجل ثري يقال له: الجلاس بن سويد الذي أحب عميراً حباً شديداً.

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٦١) في الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ، ورواه أيضاً في الجهاد ، وفي المغازي ، وفي التفسير وفي الاعتصام وفي التوحيد ، ورواه مسلم رقم (٢٧٧٠) في التوبة باب حديث الإفك ، وقبول توبة القاذف ، والترمذي رقم (٣١٧٩) في التفسير باب ، ومن سورة النور ، والنسائي (١٦٣/١) (١٦٤) في الطهارة ، باب بدء التيمم .

وفي السنة التاسعة للهجرة أمر النبي ﷺ المسلمين أن يستعدوا ويتجهزوا لغزوة تبوك وتسايق المؤمنون الصادقون وتكاسل المنافقون وذهب الفتى المؤمن عمير بن سعد ليقص على الجلاس ما رأى وما سمع من المؤمنين الصادقين الذين راحوا يبذلون كل ما يملكون لرسول الله ﷺ.

وإذ بالجلاس ينطق بعبارة تخرجه من الإسلام دفعة واحدة وتدخله في الكفر من أوسع أبوابه فلقد قال الجلاس لعمير: إن كان محمد صادقاً فيما يدعيه فنحن شر من الحمير!!!

فالتفت الفتى المؤمن عمير بن سعد إلى الجلاس وقال:

والله ما كان على ظهر الأرض أحد بعد رسول الله ﷺ أحب إليّ منك فأنت آثر الناس عندي وأجلهم علي ولقد قلت مقالة إن ذكرتها فضحتك وإن أخفيتها خنت أمانتي وأهلكت نفسي وديني وقد عزمت على أن أمضي إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما قلت فكن على بينة من أمرك. ومشى عمير بن سعد وأخبر النبي ﷺ بما سمع من الجلاس بن سويد. فاستبقاه الرسول ﷺ عنده وأرسل أحد أصحابه ليدعو له الجلاس فجاء الجلاس وحياً النبي ﷺ وجلس بين يديه.

فقال النبي ﷺ: « مَا مَقَالَةُ سَمِعَهَا مِنْكَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ؟! »

وذكر له النبي ﷺ ما قال. فقال الجلاس: كذب علي يا رسول الله وافترى!! فما تفوهت بشيء من ذلك وإنى أحلف بالله أنني ما قلت شيئاً مما نقله لك عمير!! والتفت الرسول ﷺ إلى عمير فرأى وجهه وقد احتقن بالدم والدموع تنحدر مدراراً من عينيه فتساقط على خديه وصدرة، وهو يقول: اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به.

واستجاب الله دعوة هذا الفتى المؤمن فغشيت رسول الله ﷺ

السكينة فعرفوا أنه الوحي فلزموا أماكنهم وسكنت جوارحهم ولاذوا بالصمت ، وتعلقت أبصارهم بالنبي ﷺ يتلو قول الله عز وجل :

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ تَوْبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ٧٤]

فارتعد الجلاس من هول ما سمع، وظل يصرخ: بل أتوب يا رسول الله!! بل أتوب يا رسول الله!! صديق عمير يا رسول الله وكنت من الكاذبين!!

وهنا توجه النبي ﷺ إلى الفتى البار . . . إلى الفتى الصادق عمير ابن سعد ودموع الفرح تبلل وجهه المشرق بنور الإيمان، فمد الرسول الكريم يده الشريفة إلى أذن عمير وأمسكها برفق وقال: «وَقَدْ أُذُنُكَ مَا سَمِعْتَ وَصَدَقَكَ رَبُّكَ يَا عُمَيْرُ»^(١)

أسأل الله جل وعلا أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض . . .

. . . الدعاء

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور مختصرا وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة، وابن إسحاق وغيرهم، انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٧١) ط. دار التراث بالقاهرة.

خُطْبُ الشَّيْخِ

مَجْلَدُ حَسَانِ

الجزء السادس

د. زكريا بن زهير



الوقت هو الحياة



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١٠]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

أحبتني في الله :

تقبل علينا اختبارات آخر العام، فترفع البيوت حالة الطوارئ إلى أقصى درجة !!

فإذا ما أنهى أبناؤنا الاختبارات عادت البيوت مرة أخرى إلى حالة من الفراغ والارتخاء قاتلة !!

وترى قليلا من البيوت هي التي تعرف قدر الوقت وقيمة العمر فإذا ما أقبلت الأجازة الصيفية استغلوا هذا الوقت استغلالاً طيباً لأبنائهم فيما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة، فأحسبت مع إقبال الأجازة الصيفية علينا أن أذكر نفسي وآبائي وإخواني بقيمة الوقت وشرف الزمان لذا فإن لقاءنا اليوم مع حضراتكم بعنوان :

« الوقت هو الحياة »

وكما تعودنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً : قيمة الوقت .

ثانياً : عوائق الاستفادة من الوقت .

ثالثاً : كيف يطول عمرك .

وأخيراً : رسالة إلى القتلة .

فأعبروني القلوب والأسماع، والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

أولاً : الوقت هو الحياة :

أيها الأحبة الكرام: إن الوقت هو الحياة، والعاقلة هو الذي يعرف قدر وقته وشرف زمانه، فلا يضيع ساعة واحدة من عمره إلا في خير للدنيا أو للآخرة .

فالوقت من أعظم نعم الله، قال تعالى :
**﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
 شُكُورًا﴾** [الفرقان: ٦٢]

وليلفت ربنا أنظارنا إلى قدر الوقت وقيمة الوقت أقسم بالوقت في
 آيات كثيرة من قرآنه .

فقال جل وعلا: **﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَى ۖ وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى﴾** [الليل: ٢٠١]

وقال جل وعلا: **﴿وَالْفَجْرِ ۖ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾** [الفجر: ٢٠١]

وقال جل وعلا: **﴿وَالْعَصْرِ ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۖ إِلَّا
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾**

[العصر: ٣٠١]

فالوقت هو العمر . . هو الحياة .

العائل هو الذي يدرك شرف زمانه وقدر وقته ولا تراه في ساعة من
 عمره إلا منشغلاً إما بعمل نافع للدنيا وإما بعمل نافع للآخرة .

وها هو نبينا ﷺ يعلمنا أن الإنسان سيسأل عن ساعات عمره وعن
 أيام عمره كما، في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن أبي بردة
 الأسلمي رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال :

**« لَا تَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا
 أَفْنَاهُ وَعَنْ جَسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ . »**

وفي لفظ : **« وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا
 أَنْفَقَهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ »** (١) .

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤١٩) في صفة القيامة، باب رقم (١)، وقال الترمذي : هذا

حديث حسن صحيح وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٠) .

وهاهم سلفنا - رضوان الله - عليهم يعلمون كيف يكون الحرص على الوقت .

فها هو عبدالله بن مسعود - رضي الله - عنه يقول: ما ندمت على شيء كندمى على يوم غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي .

ولله در القائل : إذا مر بي يومٌ ولم أقتبس هدىً . . . ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري .

ويزداد الأمر خطراً إذا علمنا أن من أهم خصائص الوقت أنه يمر مرّ السحاب ويجري جري الرياح ، الأيام تمر والأشهر تجرى وراها تسحب معها السنين وتمر خلفها الأعمار وتطوى حياة جيل بعد جيل .

وبين يدي الملك الجليل سيعلم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم وضيعوا أوقاتهم وأعمارهم سيعلمون وكانهم ما لبثوا في هذه الدنيا إلا ساعة :

﴿ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٣-١١٨]

ومن أهم خصائص الوقت أيضاً، أنه إن مضى لا يعود أبداً ولا يعوض كان الحسن البصرى - رحمه الله - يقول: ما من يوم ينشق فجره إلا وهو ينادى بلسان الحال يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاعتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة .

أيها الخيار : الوقت هو أغلى وأثمن رؤوس الأموال، ومع ذلك فإننا نرى كثيراً من إخواننا يقتلون الوقت قتلاً بـل ولا يقفون على أخطر العوائق التي تحول بينهم وبين الاستفادة من أوقاتهم وأعمارهم وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء :

« عوائق الاستفادة من الوقت »

العائق الأول : اتباع الهوى .

والهوى ملك ظلوم غشوم جهول يهوي بصاحبه إلى الشر في الدنيا والهلاك في الآخرة .

يقول ابن عباس : ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا وذمه قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجنائية: ٢٣]

وحذر الله نبياً كريماً من أنبيائه من الهوى قال تعالى :

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦]

وخاطب الله نبيه المصطفى ﷺ بقوله : ﴿ وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]

فالهوى يهوى بصاحبه إلى الشر في الدنيا والآخرة .

وفي الحديث الذي رواه البزار والبيهقي والحاكم والحديث حسن بمجموع طرقه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال :

«ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، أَمَّا الثَّلَاثُ الْمُهْلِكَاتُ: فَشُحُّ مَطَاعٍ وَهَوَىٰ مُتَّبِعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ الْمُنْجِيَاتُ: فَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ

هذا هو طريق الهلاك وهذا هو طريق النجاة .
فلو انقاد الإنسان لهواه زين له جلسة الفارغين وجلسة البطالين وزين
له تحلل المتحللين من أوامر رب العالمين .
ترى المسلم يقضي الساعات الطويلة على مقهي أو يقضى جُلَّ الليل
أمام المسلسلات والأفلام وإن سألت واحداً ما السبب !!؟
يقول لك : أضيع الوقت!!!

هو لا يدري أنه يقتل نفسه؛ لأن الإنسان مجموع أيام فإن انقضى يوم
من أيامه استقبل به الآخرة واستدبر به الدنيا .
كما كان لقمان يقول لولده : أي بني إنك من يوم أن نزلت إلى
الدنيا استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب
من دار تبتعد عنها .

فيا أيها المسلم: إن وقتك هو الحياة . . إن وقتك هو العمر . .
فلا تضيع ساعة من عمرك إلا وأنت في خير للدنيا أو في خير للآخرة .
فالهوى من أخطر العوائق التي ستصرف العبد عن استثمار وقته فيما
يرضى الله جل وعلا .

« العائق الثاني : طول الأمل » :

جميل أن تحمل أملاً في قلبك لتعمر الكون . . فالإنسان مفطور
على حب الحياة، ولا ينكر ذلك إلا جاهل بالقرآن والسنة .
جميل أن أعيش في الدنيا وأنا أحمل الأمل في قلبي .

(١) حسنه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٨٠٢) وفي صحيح الجامع (٣٠٤٥) وقال

رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر .

أن أَعْمَرَ بيتاً لأولادى وأن أصل إلى أعلى المناصب وأرقى الدرجات .
وأن أحصل الملايين من الأموال من الحلال الطيب .
هذا شيء جميل، لكن الخطر أن يحول طول الأمل بينك وبين طاعة
الله جل وعلا !!

فطول الأمل مع قتل الوقت وتضييع العمل مصيبة كبيرة ومرضى عضال
إن أصاب الإنسان شغله عن طاعة الكبير المتعال وفتنه بالدنيا وأنساه
الآخرة .

وفي لحظة يرى نفسه بين عسكر الموتى بين يدي الله جل وعلا: يتمنى
الرجعة فيقال له: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]
احذر طول الأمل، أن يحول بينك وبين طاعة الله سبحانه، وأن يمينك
بكلمة سوف تفعل وسوف تفعل وسوف تفعل .

ولقد حذر النبي ﷺ من طول الأمل، فقال لابن عمر كما في صحيح
البخاري رقم (٦٤١٣): « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » .
وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا
تنتظر المساء .

هذا هو الفهم الحقيقي للأمل قال تعالى:
﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣]
قال القرطبي:

ذرهم يأكلوا ويمتعوا ويلههم الأمل أي يشغلهم الأمل عن طاعة الله
جل وعلا .

وروى عن علي بن أبي طالب - رضي الله - عنه أنه قال:
«اعمل لديناك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» .

طول الأمل يمينك، وفي زيارة لي في أمريكا لفت نظري رجل مسلم عربي جار للمسجد ولكنه ما دخل المسجد مرة!!!
 قالوا: لقد منَّ الله عليه بالأموال، ذكروه بالله ما تذكر!!! حذروه من النار فما خاف النار!!! ذكروه بكلام النبي المختار فما تحرك قلبه!!!: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

[الأعراف: ١٧٩]

فذهبت إلى هذا الرجل رأيته يبيع الخمر في محله ويبيع لحم الخنزير فقلت له: يا أخي اتق الله أأنت مسلماً، المسجد إلى جوارك ما خطوت إليه خطوة، وذكرت هذا المسكين بكلام الله تعالى وبحديث النبي عليه الصلاة والسلام .

قال: يا شيخ أعذك إن عدت إلى بلدي بعدما أحصل من المال ما أريد أن أبني لله مسجداً وأن أعكف فيه ولن أفارقه!!!
 قلت له: أعطني هذه الفرصة لأوقع لك هذا العقد بهذه الصورة بينك وبين ملك الموت!!!

هل ضمنت يا مسكين أن تعود إلى بلدك؟!؟

قال: أشهد الله ثم أشهدك أنني إذا أصبت بحالة إعياء وحالة صداع أضع ورقة الدولار من فئة المائة على رأسي فيطير الصداع والألم في الحال .

قلت: أنت عبد للدولار وأنت عبد للدرهم والدينار كما قال النبي المختار ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدَّرْهِمِ تَعِسَ عَبْدُ الدِّيْنَارِ تَعِسَ وَأَنْتَ كَسَّ وَإِذَا

شيكَ فَلَا انْتَقَشُ»^(١) .

« العائق الثالث : الفراغ »

وآه من الفراغ على شبابنا وأخواتنا !! آه من الفراغ وخطره !!

والفراغ نعمة من أجل النعم ونحن لا ندري !!

روى البخاري من حديث ابن عباس أنه رضي الله عنه قال: « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ »^(٢) .

قال الحافظ ابن حجر : فمن استغل صحته وفراغه في طاعة الله فهو

المغبوط، ومن استغل صحته وفراغه في معصية الله فهو المغبون .

والفراغ أنواع: الفراغ القلبي، والفراغ النفسي، والفراغ العقلي .

الفراغ القلبي :

أن يفرغ القلب من الإيمان !! وهو أخطر أنواع الفراغ على الإطلاق .

إذا فرغ القلب من الإيمان فصاحب هذا القلب ميت وإن تحرك بين

الأحياء فالقلب وعاء الإيمان كما قال المصطفى رضي الله عنه في حديث النعمان

الذي رواه الشيخان وفيه : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ

صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »^(٣) .

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٨٨٧) في الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو في سبيل الله .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٤١٢) في الرقاق في فاتحته والترمذي رقم (٢٣٠٥) في الزهد في فاتحته .

(٣) رواه البخاري رقم (٥٢) في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، وفي البيوع، باب

الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، ومسلم رقم (١٥٩٩) في المساقاة، باب أخذ

الحلال وترك الشبهات وأبو داود رقم (٣٣٢٩، ٣٣٣٠) في البيوع، باب في اجتناب

الشبهات، والترمذي رقم (١٢٠٥) في البيوع، باب ما جاء في ترك الشبهات، والنسائي

(٢٤١/٧) في البيوع، باب اجتناب الشبهات في الكسب .

القلب هو الملك والأعضاء جنوده ورعاياه، فإن طاب الملك طاب الجنود والرعايا، وإن خبث الملك خبثت الجنود والرعايا .
فإن عمر القلب بالإيمان ما شعر الإنسان أبداً بالفراغ، لأنه في كل لحظة سيتلذذ بالأنس بالله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مساكين والله أهل الدنيا خرجوا من الدنيا ولم يتذوقوا أطعم وأحلى ما فيها .
قيل : وما أطعم ما فيها ؟
قال : ذكر الله والأنس بقلائه .

وفي الحديث الذي رواه أبو نعيم والديلمي وصححه الألباني من حديث عليّ أن الحبيب النبي ﷺ قال :
« مَا مِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ فَبَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذْ عَلَتْهُ سَحَابَةٌ فَأَظْلَمَ فَإِذَا تَجَلَّتْ عَنْهُ أَضَاءٌ »^(١) .
فكذلك نور الإيمان في القلب إن حجب نور الإيمان بسحاب الظلم والذنوب والمعاصي فتر الإنسان عن طاعة الله .

وفراغ القلب من الإيمان سيعرض القلب لكل أنواع الفتن لأن الفتن تعرض على القلوب كما قال ، والحديث رواه مسلم من حديث حذيفة قال المصطفى ﷺ :

« تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرَضِ الْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكْتَتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءَ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتَتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بِيضَاءَ حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ قَلْبٌ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْخِيًا لَا يَعْرِفُ

١ حسنه شيخنا الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٦٨٢) والصحيحة رقم (٢٢٦٨) .

مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ وَقَلْبٌ أَيْضٌ مِثْلُ الصَّفَا لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»^(١).

فالقلب وعاء الإيمان ومحط الفتن، فإذا فرغ القلب من الإيمان تعرض الإنسان لكل فتنة وتشربها في قلبه .

وعلاج الفراغ القلبي: بزيادة الإيمان، إذ أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والذلات .

يقول عبدالله بن مسعود: تفقد قلبك في ثلاثة مواطن، عند سماع القرآن وفي مجالس الذكر والعلم، وفي وقت الخلوة بينك وبين ربك، فإن لم تجد قلبك في هذه المواطن فابحث عن قلبك فإنه لا قلب لك!! فإن القلب يمرض والإنسان لا يدري وإن القلب يموت والإنسان لا يدري .

إن الإنسان إذا مرض قلبه بمرض من الأمراض العضوية أسرعنا إلى الأطباء، وهذه فطرة لكن القلب قد يمرض بالشهوات وقد يموت بالمعاصي والملذات وصاحبه لا يدري على الإطلاق!!!

يقول المصطفى ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٢).

فالذاكر لله حي وإن حبست منه الأعضاء والغافل عن ذكر الله ميت

(١) رواه مسلم رقم (١٤٤) في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٤٠٧) في الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم رقم

(٧٧٩) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته .

وإن تحرك بين الأحياء !!

وخذوا هذه الوصفة البليغة من سفيان الثوري لرجل مرض قلبه ذهب

إليه

فقال: يا سفيان لقد ابتليت بمرض قلبي فصف لي دواء .

فقال سفيان: عليك بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير التواضع ضع هذا كله في إناء التقوى، وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن على المعصية، وصفه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع، وابتعد عن الحرص والطمع يشفي مرض قلبك بإذن الله .

أسأل الله أن يعيننا على هذا الدواء الناجح النافع .

والفراغ النفسي: النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، إن لم

تفطمها بالطاعات قادتك إلى المعاصي والزلات .

النفس أمارة: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣]

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ [يوسف: ٥٣]

فيا أيها الأخ الحبيب ويا أيها الوالد الكريم، الفراغ النفسي مقتلة

لشبابنا فإذا فرغت نفوسهم قاموا إلى كل معصية وانحرفوا في كل واد

وفي كل طريق ضال .

إذا لم يجد الشاب عملاً يقوم به ورأى نفسه في فراغ انشغل

بالمعاصي . . . انشغل بالفتن والشهوات . . . انشغل بالأفلام والمباريات

والمسلسلات . . . انشغل بالمجلات الخليعة الجنسية الماجنة . . . وبقراءة

القصص التي تحول الزهاد العباد إلى فساق فجَّار !!!

والنفسُ إن أجمتها بلجام الطاعة انقادت .

لأن الله جل وعلا قد زكى النفس ودلّها على الطريقين فقال: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧]

وقال جل وعلا: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [التازعات: ٣٧-٤١]

فالناس صنفان: صنف قد انتصر على نفسه وقهرها وأجمها بلجام الطاعة وجعل النفس مطية إلى رضوان الله والجنة أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم .

وصنف قهرته نفسه وانتصرت عليه نفسه وغلبته وقادته إلى كل شر في الدنيا وإلى الهلاك في الآخرة، أسأل الله أن يحفظنا وإياكم من نفوسنا الأمارة بالسوء إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والفراغ العقلي: حياته دمار وآخرفته بوار بدليل تصايح أهل النار، وهم في النار بين يدي الواحد القهار يتصايحون أنهم كانوا لا يحملون عقولاً لا يعقلون بها .

قال الله جل وعلا عن هؤلاء: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) ﴾ [الملك: ١٠]

فيا أيها الأخ الحبيب لقد آتانا الله عقولاً هي من أعظم نعم الله علينا . حينما ذهبنا لزيارة إخواننا وأخواتنا في مستشفى الأمراض العقلية ودخلنا عنبراً للنساء ورأينا النساء بين أيدينا وقد أعطاهن الله كمال الخلق وفجأة

اقتربت منا فتاة في الثانية والعشرين من عمرها، ثم بعد ذلك رأينا هذه الفتاة قد أخذت جانباً في العنبر وتجردت من كل ثيابها كما ولدتها أمها، فخرجنا وقلت لإخواني يومها : أشهد الله ثم أشهدكم أنني ما عرفت قدر نعمة العقل إلا في هذه اللحظة .

« العائق الرابع : الفتن »

والفتن بين أيدينا كثيرة، وهي بالجملة تنقسم إلى نوعين إنها فتن الشهوات وفتن الشبهات .
ولا عون لك لتستفيد من وقتك وسط هذه الفتن إلا إذا استعنت بالله جل وعلا وحرصت على مجالس الخير وعلى مجالس العلم .
أسأل الله أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه ولي ذلك ومولاه .

ثالثاً : كيف يطول عمرك ؟!

الإنسان مفطور على حب الحياة ويرجوا أن لو طال عمره، بل ويتمنى الخلود إن استطاع .

ولكن الموت يختطف الشاب في ريعان شبابه !!

ويختطف الفتى المدلل الوحيد من بين أهله !!

ويختطف العروسة ليلة عرسها!!

ويختطف الحاكم القوي الموهوب من بين حرسه وجنوده !!

فالأيام محسوبة والآجال معدودة، وما دام الموت هو نهاية الحياة فإن

العمر حينئذ قصير .

فالأيام تمر والأشهر تجري والسنين تولى والعمر ينقضي !!
 فما دام الموت هو آخر المطاف، فالعمر إذن قصير، ولم يستطع العلم
 بل ولن يستطيع أن يرد الشيخوخة إلى شباب أو أن يحول بين الإنسان
 وبين الموت .

ومع ذلك قد يستطيع الإنسان أن يطيل عمره!! كيف؟!
 اعلم أيها الأخ الكريم أن العمر الحقيقي للإنسان لا يقاس بسنواته
 التي قضاها من يوم ولادته إلى يوم وفاته، وإنما العمر الحقيقي للإنسان
 يقاس بقدر ما قدم الإنسان في سنوات عمره من عظام الأمور وجلائل
 الأعمال الخيرات الصالحات الطيبات .

هذا هو عمرك الحقيقي يقاس بعمل الخيرات وبالطاعات .

فكم من عمر طالت أماده وقلت خيراته !!

وكم عمر قلت أماده وكثرت خيراته !!

إن العمر الحقيقي يقاس بالأعمال والطاعات لا يقاس بالسنوات، انظر
 إلى نبي الله نوح - عليه السلام - قضى ألف سنة إلا خمسين عاماً في
 الدعوة إلى الله وقدر الله جل وعلا ألا يؤمن معه إلا قليل .

وانظر إلى عمر المصطفى محمد ﷺ كم عاش وكم عدد سنوات
 دعوته؟ تزيد عن العشرين قليلاً جداً، ومع ذلك قدر الله له في هذا
 العمر القليل أن يقيم للإسلام دولة من فتات متناثر فإذا هي بناء شامخ
 لا يطاوله بناء استطاع أن يرد الناس في صحراء تموج بالكفر موجاً إلى
 الله العلى الأعلى جل وعلا .

وهذا هو صديق الأمة الأكبر في مدة ولايته التي لا تزيد على سنتين ونصف حَوْلَ المحن التي أصابت الأمة إلى منح .

في سنتين ونصف قضى على فتنة الردة !!

في سنتين ونصف أفذ بعث أسامة !!

في سنتين ونصف جمع القرآن الكريم وَرَدَّ الأمة إلى منهج النبي

الكريم ﷺ !!

وهذا هو فاروق الأمة عمر في عشر سنوات وستة أشهر هذه الفترة القليلة التي لا تساوى أى شيء في حساب الزمن يقدم عمر لدنيا الناس كافة قدوة لا تبلى بل ولن تبلى إنها قدوة تتمثل في حاكم بركت الدنيا كلها على عتبه داره وهي مثقلة بالغنائم والأموال والكنوز والطيبات، فقام عمر ليسرحها سراحاً جميلاً .

إنه عمر الذي أُرهب الملوك والحكام، وتحت قدميه جاءت مفاتيح أعظم الإمبراطوريات، إمبراطورية فارس، وإمبراطورية الروم، وانتصر الإسلام في عهد عمر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ورفرفت راية الإسلام على فرنسا وعلى روسيا في عشر سنوات وستة أشهر، إنها بركة الأعمار إنها الأعمار الطويلة المزاكاة المباركة من الله .

وهذا معاذ بن جبل شاب من شباب الأمة، معاذ بن جبل شاب أسلم

في الثامنة عشرة من عمره، وتوفي في الثالثة والثلاثين من عمره .

في هذه السنوات القليلة في عشر سنوات أو يزيد قليلاً استطاع معاذ

أن يسطر على جبين الزمان وعلى صفحات التاريخ والأيام هذا المجد

وهذه العظمة وهذا الخلود حتى قال له المصطفى ﷺ يوماً : « يَا مُعَاذُ
وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ » (١)

وهذا هو عمر بن عبدالعزيز شاب في ريعان الشباب، في ولاية
استمرت سنتين ونصف، استطاع أن يضع يده على الداء الذي استشرى
في أمة الحبيب محمد ﷺ ونجح في أن يستل جرثومته بيد بيضاء نقية
وأن يعيد البشرية عوداً حميداً وكأنها تعيش في زمن الوحي، حتى خرج
المنادي يقول من كان عليه دين فسداده دينه من بيت مال المسلمين .
وهذا الشبل من ذاك الأسد سدَّ عمر بن عبدالعزيز الديون وبقيت
البركة باركة في بيت المال، فخرج المنادي يقول من أراد من شباب
المسلمين أن يتزوج فزواجه من بيت مال المسلمين، فزوج الشباب وبقيت
البركة باركة في بيت المال .

فخرج المنادي للمرة الثالثة وهي أعجب ليقول أيها الناس من أراد
حج بيت الله وهو لا يستطيع فحج بيت الله على نفقة بيت مال
المسلمين وخرج من أراد الحج وبقيت البركة باركة في بيت المال .
في مائة سنة فعل هذا؟! في ألف سنة؟! لا والله في سنتين
ونصف. ألم أقل لكم بأن العمر يطول بجلائل الأعمال وعظام
البطولات .

فيأيها المسلم أطل عمرك بعمل الخيرات وعمل الطاعات، كما قال
المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد وغيره وهو حديث صحيح .

(١) رواه أبو داود رقم (١٥٢٢) في الصلاة باب الاستغفار، والنسائي (٥٣/٣) في السهو
باب نوع آخر من الدعاء وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع (٧٩٦٩).

« اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسِ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ
وَفَرَاغِكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابِكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ »^(١)

اغتنم هذه الغنائم ولا تضيع عمرك ولا تضيع ساعات وقتك، فإن
العمر يولي وغداً سترى نفسك بين يدي الله .

وأخيراً أوجه رسالة إلى القتلة بل إلى شر القتلة فمن هم !!؟

نتعرف عليهم بعد جلسة الاستراحة وأقول قولِي هذا وأستغفر الله لي

ولكم .

(١) صححه شيخنا الألباني في صحيح جامع (١٠٧٧) وقال: رواه الحاكم والبيهقي في

شعب الإيمان عن ابن عباس وأخرجه أحمد في الزهد وأبي نعيم في الحلية .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه . وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد : فيا أيها الأحبة الكرام

« رسالة إلى القتلة

إلى من يقتلون الوقت قتلاً . . إلى من يقتلون العمر قتلاً . . إلى من يضيعون الحياة تضييعاً .

يا من تضيع الوقت: أنت تضيع عمرك وتضيع حياتك وتنتحر انتحاراً بطيئاً وأنت لا تدري . بل ولا يذكرك أحد بهذه الجريمة الشنعاء التي ترتكبها في حق نفسك .

تسأل لماذا ؟

يقول: أضيع الوقت!!

بل ورب الكعبة رأيت بعيني على عرفات في يوم عرفة رأيت الناس بلباس الإحرام قد جلسوا على « الشيثة »، ورأيت بعضهم يجلس على السلم والثعبان ورأيت بعضهم يلعب « الكوتشينة »، فتعجبت واقتربت منهم وقلت: يا أخى اتق الله أنت بلباس الإحرام في يوم عرفة جثت لتطهر من كل ذنب، ولترفع إلى الملك أكف الضراعة، وأراك على هذا

اللهو والعبث!!

والله لقد رد علي جلهم وقالوا: يا شيخ اليوم طويل ها نحن نضيع الوقت!! تضيع وقت عرفات؟! تضيع وقت الطاعات؟! تضيع وقتاً يتنزل فيه رب الأرض والسموات لياهي الملائكة بعباده الذين ذهبوا إليه شُعُتًا غبراً يطلبون رضوانه ومغفرته؟! .

أيها القاتل لوقتك بل لعمرك بل لحياتك!!

والله الذي لا إله غيره ستندم يوم لا ينفع الندم وستأتي عليك ساعة ستعرف فيها قدر الساعة . . . وسيأتي عليك زمن تعرف فيه قدر الزمن . . . وسيأتي عليك وقت تعرف فيه قدر الوقت!!

إذا نمت على فراش الموت ستتمنى من الله أن تعود إلى الدنيا ساعة واحدة لتعمل فيها صالحاً لله جل وعلاً .

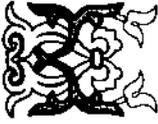
اللهم استرنا فوق الأرض واسترنا تحت الأرض، واسترنا يوم العرض .

أيها الحبيب الكريم اعرف قدر وقتك وشرف زمانك وحقيقة عمرك وحقيقة ساعات أيامك فعد الليلة إلى الله .

البدار . . . البدار . . . قبل فوات الأعمار، واسمع إلى العزيز الغفار وهو يتنادى عليك ويقول: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[الزمر: ٥٣]

. . . الدعاء



الطريق إلى القدس



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أذى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة فكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته، ورسولا عن دعوته ورسالته، وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد :

فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الكرام الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممثاكم وتبواتم من الجنة منزلاً . وأسأل الله العظيم الكريم جلَّ وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتني في الله :

إننا نكرر دائماً أنه لا ينبغي أن يكون العلماء والدعاة في وادٍ وأن تكون الأمة بجراحها في وادٍ آخر .

ومن هذا المنطلق فإنني أستحي من الله جل وعلا أن أقف اليوم بين أيديكم وسط هذه الآلام والجراح .

دون أن أتكلم عن القدس الجريح . لذا فإن عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك بعنوان :

الطريق إلى القدس

وكما تعودنا فسوف ينتظم الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً : مؤامرة حقيرة قديمة حديثة .

ثانياً : كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة .

ثالثاً : نبذ الفرقة وتوحيد الصف وتحقيق معنى الأخوة في الله .

رابعاً : التخلص من الوهن .

خامساً : رفع راية الجهاد في سبيل الله .

سادساً : الدعاء وصدق اللجأ إلى الله جلّ وعلا .

وأخيراً : المؤمنون الصادقون لا يعرفون لليأس طريقاً .

فأعيروني القلوب والأسماع أيها الأحباب، فإن هذا اللقاء الآن من الأهمية والخطورة بمكان، والله أسأل أن يقر أعيننا وإياكم بتحرير القدس الشريف إنه ولي ذلك والقادر عليه .

مؤامرة حقيرة قديمة حديثة :

أيها الأخيار الكرام، إن الصراع بين الحق والباطل قديم بقدم الحياة على ظهر هذه الأرض.

والأيام دُولٌ كما قال الله جل وعلا: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

ولا زال هذا الإسلام العظيم منذ أن بزغ فجره واستفاض نوره لا زال إلى يومنا هذا مستهدفاً من قِبَلِ أعدائه الذين لا يتفقهون على شيء قدر اتفاقهم على الكيد للإسلام واستئصال شأفة المسلمين، ولا زال التحدي قائماً، بل وأعلن الأعداء بسفور ووضوح عن مؤامرتهم الحقيرة الرهيبة.

فقبل أربعين سنة وقف رئيس وزراء إسرائيل (ابن غريون) في هيئة الأمم بعد أن اعترف العالم كله بالغُدَّةِ السرطانيةِ الخبيثة التي تسمى بدولة إسرائيل التي أُعلن قيامها فوق الثرى الطاهر والأرض المباركة فوق مسرى الحبيب محمد ﷺ .

وقف رئيس وزراء هذه الغدة السرطانية المدمرة ليعلن للعالم كله عقيدة اليهود في فلسطين، وأتمنى أن تتعلم الأمة هذه العقيدة لتعلم يقينا أن اليهود لا يتكلمون في مؤتمرات ولا في مفاوضات إلا من خلال عقيدتهم المبدلة المحرفة المغيرة التي يعتنقونها ويجلونها، ويحترمونها وهم على الباطل في الوقت الذي تنكر فيه أهل الحق للحق الذي من أجله خلق الله السماوات والأرض !!!

قال رئيس وزراء إسرائيل في اللحظات الأولى لميلاد دولة إسرائيل قبل أربعين سنة تقريبا:

قد لا يكون لنا في فلسطين حق من منطلق سياسي أو قانوني ولكن

لنا في فلسطين الحق من منطلق وأساس ديني .
 فهي أرض الميعاد الذي وعدنا الله وأعطانا الله إياها من النيل إلى
 الفرات، وإنه يجب الآن على كل يهودى أن يهاجر إلى أرض فلسطين .
 وأنه على كل يهودى لا يهاجر اليوم إلى إسرائيل بعد إقامتها أن يعلم
 أنه مخالف للتوراة وأنه يكفر كل يوم بالدين اليهودي .
 ثم قال: لا معنى لفلسطين بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون
 الهيكل، ولا معنى لقيام دولة إسرائيل بدون فلسطين !!
 وحتى تعلموا يقينا أن هذه عقيدة لا تبدل ولا تتغير بتغير رؤساء
 الوزراء فهذا ما أصله رئيس وزراء إسرائيل الحالى (نيتياهو) يوم أن نجح
 في الانتخابات الأخيرة قال: لقد صوّت اليهود أخيراً للتوراة !!
 ثم قال - فُضَّ فُوه - بمتنهي الوضوح: لا مجال للحديث في أى
 مفاوضات عن تقسيم القدس، فإن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل !!
 فالصراع بيننا وبين اليهود ليس صراع أرض وحدود، ولكنه صراع
 عقيدة ووجود .

إن اليهود لم يتنازلوا عن «أريحا» إلا لأنهم يقرأون في التوراة المحرفة
 المبدلة جملة تقول: «ملعون من سكنها» فما تنازلوا عنها إلا من أجل
 عقيدة يعتقدونها ويعتقدونها . أما القدس فلا !! .

مهما طالّت المفاوضات ومهما جلسوا على موائد المفاوضات فلن
 يتخلى اليهود عن القدس أبداً

ولا مانع عند اليهود أن يبذلوا من أجلها الدماء والأموال .
 قال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ ﴾

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خَبَالًا وَدُورًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]

وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩]

أحبتى في الله : إن للقدس طريقاً واحداً . . . لن تصل الأمة إلى القدس إلا من خلاله ولو عاشت الأمة آلاف السنين . . .

هذا الطريق وَضَّحَ اللهُ جِلَّ وَعَلَا معالمة في القرآن العظيم وبين النبي المصطفى ﷺ حدوده .

لو ظلت الأمة بعيدة عن هذا الدرب وعن هذا الطريق فلم تستطع ولن تستطيع أبداً أن تصل إلى القدس الشريف، فما هي معالم هذا الطريق وما هي خطواته؟!!

أولاً: كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة

مستحيل أن يحرر الأقصى جيل لم يعرف الله .

كيف يحرر الأقصى جيل تحدى الله وحادَّ شرع الله وانحرف بعيداً

عن منهج الله جل وعلا!!؟

عمر بن الخطاب فتح القدس وهو يقرأ قرآن ربه جل وعلا . . أما اليوم فإن الأمة قد نحت قرآن الله وتحدت شريعة الله .
الفاروق عمر فتح القدس واستلم المفاتيح لأنه جاء وقد أحنى رأسه ذلاً لله وتواضعاً لله .

جاء عمر الفاروق يتلو كتاب الله وينزل من على ظهر الدابة ليركب الخادم مره وأمير المؤمنين مرة، ومرة ثلثه يترك الأمير والخادم الدابة لتستريح !!

بهذه القلوب فتحت القدس ولن تحمرر القدس إلا بمثل هذه القلوب التقية النقية الورعة .

وأمام القدس المبارك وعلى ثرى الأرض الطاهر يمر عمر الفاروق بدابته على مخاضة (بركة ماء) فينزل الفاروق من على ظهر الدابة فيلتفت إليه قائد الجيوش أمين الأمة أبو عبيدة ويقول: يا أمير المؤمنين والله ما أحب أن القوم قد استشرفوك، لا أحب أن يراك القوم وأنت على هذه الحالة .

فقال فاروق الأمة: أوه يا أبا عبيدة لو قالها غيرك، لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العز في غيره أذلنا الله !! الله أكبر .
وهذا صلاح الدين الذي تحمرر قلبه انطلق ليحرر الأقصى الكريم المبارك

صلاح الدين الذي سُئل يوماً: لماذا لم تُرى مبتسماً !!؟

فيقول القائد البطل: والله لن أبتسم والقدس في أيدي الصليبيين !!!
إنها القلوب التي عرفت ربها جل وعلا وجاءت مزعنة . . منقادة إلى الله، فذل الله لها الأرض، بل وأنزل الله لها الملائكة .

أيها الأخيار الكرام : كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة .

فلن نتوحد كلمة الأمة إلا إذا التقت قلوب أبنائها على كلمة التوحيد . . .
على كلمة لا إله إلا الله فإننا ندين الله بأن الخطوة الأولى على طريق تحرير القدس هي العقيدة، تصحيح العقيدة وتصحيح العبادة وتحقيق الشريعة وعودة الأمة إلى الله .

• كلمة التوحيد تلزم الأمة أن تصرف العبادة كاملة لله .

• كلمة التوحيد تلزم الأمة بأن تحكم شريعة الله .

كلمة التوحيد تلزم الأمة بالموالاة لله ورسوله ﷺ وأن تتبرأ الأمة من الشرك والمشركين .

كلمة التوحيد تستلزم هذا كله . . . أن ترجع الأمة للتوحيد بشموله .
فالتوحيد ليس كلمة فحسب بل كلمة باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :

«... إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١) .

قال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدفته الأعمال .

فمن قال خيراً قَبِلَ منه، ومن قال خيراً وعمل شراً لم يقبل منه .

لن يحرر القدس إلا رجل العقيدة الذي عرف قدر الله وعظمة الله وامتثل عملياً قول الله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٣) في البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس .

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٣]

لن يحرر الأقصى إلا رجل العقيدة الذي استقر في قلبه مفهوم الولاء
لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين .

لن يحرر الأقصى إلا رجل العقيدة الذي استقر في قلبه مفهوم البراء
من الشرك والمشركين وراح يحول في قلبه وواقعه ومنتجع حياته قول الله
جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] .

ثانياً: نبذ الفرقة وتوحيد الصف وتحقيق معنى الأخوة .

إن الفرقة شر . . والخلاف هزيمة وضعف .

قال جل وعلا : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]

والله الذي لا إله غيره إن اليهود ماتلعبوا بالأمّة وضربوا الأمّة بالنعال
على أم رأسها إلا يوم أن علم اليهود أن الأمّة مبعثرة وأن الأمّة
متشرذمة .

فالأمّة قد تمزقت إلى دويلات، بل وتفتتت الدويلات هي الأخرى إلى
دويلات!!

ودق العدو الفاجر مسماراً قذراً يسمى مسمار الحدود بين الدول
الإسلامية والعربية، ولا تكاد نار الفتنة تهدأ وتخمد على حد بين دولتين
إلا ويطلق الأعداء على رأس هذا المسمار بقوة في مكان آخر لتشتعل

النار مرة أخرى بين بلدين مسلمين عربيين . الأمة ممزقة والعدو لا يعترف
إلا بالقوى !!

فالعالم لا يحترم الضعفاء . . والفرقة ضعف والاتحاد قوة .

الأمة تعلم يقينا أنه لا عز لها ولا كرامة إلا إذا تكلمت بلسان رجلٍ
واحد، فتوحيد الكلمة قوة فلماذا لا تلتقي الأمة !!؟

إن المسلمين لما قالوا كلمة واحدة في حرب العاشر من رمضان تحولت
بهذه الكلمات الموازين، يوم أن اتخذ العرب قرار منع البترول انقلبت
الموازين، وتحولت الدقة تمامًا !!

ما على الأمة إلا أن توحد الصف، وأن تنبذ الفرقة والخلاف، وأن تحقق
معنى الأخوة .

ينبغي أن تنفض الأمة هذه النعرات وأن تسقط الأمة هذه الرايات وأن
تعلي راية الإسلام وراية الأخوة .

وأن تحقق قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]

هذه الأخوة هي التي ألفت بين سلمان الفارسي، وصهيب الرومي،
وأبي ذر الغفاري، وحمزة القرشي، ومعاذ الأنصاري، وبلال الحبشي،
إنها أخوة الدين - إنها أخوة العقيدة .

فأخي وإن كان في أقصى الشرق والغرب على الإسلام، وأخي ابن أُمي
وأبي لا أعرفه إن كان على غير الإسلام .

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

فالرابطة التي تربط الأمة هي رابطة الأخوة في الله .

قال رسول الله ﷺ: «أوثقُ عُرَى الإِيْمَانِ الحُبُّ فِي اللّهِ والبُغْضُ فِي اللّهِ» (١).

ولو عرفنا معنى هذه الأخوة لعلمنا لإخواننا في القدس وفي الشرق وفي الغرب حقوق علينا يجب علينا ألا نتنصل منها، وإلا فإن الأمة كلها آثمة إن تخلت عن هذه الحقوق وضيعت هذه الواجبات.

قال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال ﷺ: «مثلُ المؤمنينَ في تَوَادُّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهْرِ والحُمَى» (٢).

لا كرامة للأمة إلا إذا وحدت صفها، ونزعت هذه الفرقة من قلوبها وحققت معنى الأخوة الإيمانية، فإن رابطة العقيدة هي أعظم رباط وهي أوثق صلة، وبدونها لا يمكن أبداً أن يحترم العالم كله هذه الأمة التي تبعثرت كتبعثر الغنم في الليلة الشاتية الممطرة .
ثالثاً: العودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين .

إن الأمة ويا حسرة عليها بعيدة عن أخلاق محمد بن عبدالله ﷺ، والقدس لن تحرر بالخطب الرنانة، ولا بالمواعظ البليغة المؤثرة، فنحن نخطب من عشرات السنين !! والزعماء يهتفون من مئات السنين !!

(١) رواه أحمد في المسند (٢٨٦/٤) وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان رقم ١١٠ وحسنه

شيخنا الألباني في الصحيحة حديث رقم (١٧٢٨).

(٢) رواه البخاري (٣٦٦/١٠) في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم رقم (٢٥٨٦)

في البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

والأمة ذليلة والقدس في الأسر من عشرات السنين !! .
 فلن يعاد القدس بالخطب والمواظب والمؤتمرات الكلامية فقط
 ولا بالمظاهرات الصاخبة، أو بحرق العلم الأمريكي أو اليهودي، وإنما
 بعودة الأمة إلى أخلاق دينها من جديد لتحول الأمة هذا الدين في
 حياتها إلى واقع وإلى منهج حياة .

قد يكون من اليسير كما ذكرت أن نقدم منهجاً نظرياً في الأخلاق
 وأن نقدم منهجاً نظرياً في التربية .

ولكن هذا المنهج سيظل حبراً على ورق مالم تحوله الأمة في حياتها
 إلى واقع عملي وإلى منهج حياة .

لقد أقام النبي ﷺ للإسلام دولة من فئات متناثر وسط جاهلية جهلاء
 ووسط صحراء تموج بالكفر موجاً .

يوم أن قام النبي ﷺ بطبع آلاف النسخ من المنهج التربوي الإسلامي
 ولكنه لم يطبعها بالحبر على صحائف الورق، وإنما طبعها على
 صحائف القلوب بمداد من نور، فيجب على الأمة بكل أفرادها أن تعود
 من جديد إلى أخلاق هذا الدين .

رابعاً: التخلص من الوهن:

فما هو الوهن أحبتي في الله !!؟

إن الذي أذل الأمة داء عضال تحدث عنه الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ
 ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث ثوبان أن النبي ﷺ
 قال: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» .

قالوا: أو من قلّة نحن يومئذ يا رسول الله؟
قال: «كَلَّا وَلَكِنَّكُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ غُشَاءٌ كَغُشَاءِ السَّيْلِ، وَلَيُوشِكَنَّ
اللَّهُ أَنْ يَنْزِعَ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَقْذِفُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ».

قيل: وما الوهن يا رسول الله؟

قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

إنه الداء العضال !! إنه الوهن الذي أذل الأمة . . . إنه حب الدنيا . . .
إنه كراهية الموت . إن الأمة الآن إلا من رحم ربك تعيش لشهواتها
الحقيرة ونزواتها الرخيصة ولا حول ولا قوة إلا بالله!!!
قال جل وعلا: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا
تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧].

أيها المسلمون:

إن الفارق بيننا وبين أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يبحثون وسط
ميدان البطولة والشرف عن الشهادة في سبيل الله، أما نحن فإننا نبحث
عن الحياة وعن الخلود وركننا إلى الوحل والطين!! إنه الوهن الذي
أصاب الأمة بالذل والهوان!!

ولا كرامة ولا عزة لهذه الأمة إلا إذا تخلصت من الوهن!! إلا إذا
تخلصت من حب الدنيا وكراهية الموت . . . وعلمت يقينا أن الدنيا مهما
طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة وأن الليل مهما طال لا بد
من طلوع الفجر، وأن العمر مهما طال لا بد من دخول القبر .

وهذا التخلص من الوهن سعييد للأمة عزها وكرامتها وقوتها .

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٩٧) في الملاحم، باب في تداعى الأمم على الإسلام ورواه أحمد

(٢٧٨/٥) وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٩٥٨).

خامساً : «رفع راية الجهاد في سبيل الله»:

أحبتني في الله:

يجب أن نعلم جميعاً أنه لا كرامة ولا عز لهذه الأمة إلا إذا رفعت من جديد، راية الجهاد في سبيل الله، وإن لم ترفع الأمة راية الجهاد الآن فمتى سترفع هذه الراية !!؟

لقد سعدنا كثيراً لما تقدم شيخ الأزهر مجموعة الشباب ورفع يديه وهو يقول :حي على الجهاد . . . فما أحلاها من كلمة .

قال المصطفى ﷺ : « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَبِعْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزَعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ »^(١) فلا عز ولا رفع لهذا الذل إلا إذا رفعت الأمة راية الجهاد في سبيل الله .

فإننا نعتقد اعتقاداً جازماً قول الصادق المصدوق ﷺ لمعاذ بن جبل :

«... أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟» قال معاذ قلت:

بلى يا رسول الله .

قال ﷺ : «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢) .

(١) رواه أبو داود رقم (٣٤٦٢) في البيوع، باب في النهي عن العينة وصححه شيخنا

الألباني في الصحيحة رقم (١١)، والعينة: نوع من أنواع البيوع الربوية .

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

صدق اللجأ إلى الله :

أيها الأخوة الكرام: لا تنسوا الدعاء . . ولا تستهينوا بالدعاء وصدق اللجوء إلى رب الأرض والسماء .

بين يدي الآن عشرات الآلاف أسألكم بالله من منكم يدعو الله في كل سجدة أن يجرر الأقصى وأن يفرج الكرب عن الأمة !!؟

الدعاء سهام الليل . . أعظم جندي . . فحارب به أعداء الله مع الأخذ بالأسباب التي ذكرت فنحن لا نجهل الأسباب، والواقع الذي نحياه

ولكن نعتقد اعتقادا جازما أن الأمة إن صدقت في اللجوء إلى الله وقامت في جوف الليل ولجأت إلى من بيده الأمر كله، وإلى من بيده الكون كله لرأينا العجب العجاب .

فاصدقوا أيها المسلمون في الدعاء، وقوموا في جوف الليل وتضرعوا إلى رب الأرض والسماء .

كان عمر بن الخطاب يقول: إنكم لا تنصرون بعتاد وعدد وإنما تنصرون من السماء، فأننا لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء .

تضرعوا يا مسلمون إلى الله سبحانه فإن الله عز وجل يقول:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

[البقرة: ١٨٦]

ولكن قد يتساءل البعض ويقول: منذ متى ونحن ندعو الله ولم

يستجب الله دعاءنا !!؟

والجواب: العودة إلى المنهج الذي ذكرت . . ولم لا !!؟

وقد ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ «ذَكَرَ الرَّجُلَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يُطِيلُ السَّفَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ يَا رَبُّ يَا رَبُّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغَذِّيَ بِالْحَرَامِ فَأَتَى يُسْتَجَابُ لَذَلِكَ؟»^(١).

ورد في كتاب الزهد للإمام أحمد - رحمه الله - : أن بني اسرائيل خرجوا يجأرون إلى الله بالدعاء ، فأوحى الله إليهم فقال : خرجتم تجأرون إلى الدعاء حين اشتد عليكم غضبي ، ورفعتم إلى أكفأ سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام لن تزدادوا مني إلا بعداً .
إن الدعاء له شروط ، لكي يُقبل ولكي يُستجاب ، وشروطه أن نعود للمنهج الذي ذكرت .

قالوا : يا أبا إسحاق إبراهيم بن أدهم مالنا ندعو الله فلا يستجاب لنا؟!!

قال : لأن قلوبكم قد ماتت بعشرة .

قالوا : وما هي ؟

قال : عرفتم الله فلم تؤدوا حقوقه!! .

وزعمتم حب نبيه ﷺ وتركتم سنته!!

وقرأتم القرآن ولم تعملوا به!!

وزعمتم أن الشيطان لكم عدو ولم تخالفوه!!

وأكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها!!

وقلتم أن الجنة حق ولم تعملوا لها!!

(١) رواه مسلم رقم (١٠١٥) في الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها .

وقلتم أن النار حق ولم تهربوا منها!!
وقلتم أن الموت حق ولم تستعدوا له!!
وانتبهتم فانشغلتم بعيوب الناس، ونسيتم عيوبكم!!
ودفتتم موتاكم ولم تعتبروا بهم!! .
إخواته: ماتت القلوب فكيف يستجيب علام الغيوب ، فإن الله لا
يقبل الدعاء من قلب لاهٍ غافل .
فالأصل أن تحيا القلوب وأن تعود من جديد إلى علام الغيوب
أسأل الله جل وعلا أن يحيي قلوبنا وأن يقر أعيننا بنصرة الإسلام
وعز الموحدين وأقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل
له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله .

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه
وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد : أيها الأحبة الكرام :

فلقد مر المسلمون بأزمات أحلك من هذه الأزمة، وانتصروا بموعود
الله وموعود رسول الله ﷺ !! فلا نياس ولا نقنط فإن الأعداء يريدون
لنا اليأس من إمكانية تغيير هذا الواقع الذي نحياه الآن، حتى نظل
سلبين مستسلمين لهذا الواقع المر الأليم .

لقد مر المسلمون بأزمات حالكة كما بينا ذلك في خطبة (الهزيمة
النفسية) ومع ذلك انتصر الإسلام والمسلمون وهلك الكفار وزال
المنافقون والخائفون، وبقي الإسلام شامخاً . وسيبقى الإسلام شامخاً
وسيظل الإسلام شامخاً بإذن الله، ولن تستطيع قوة على ظهر الأرض
أن تطفى نور الله جل وعلا .

لا بد أن ننطلق بهذا اليقين وبهذه الثقة في نصره رب العالمين .

الإسلام كدين كمنهج لا يستطيع قوة أن تستأصل شافته من على

ظهر الأرض؛ لأنه الدين الخاتم وقد وعد الله بالتمكين له وبنصرته .
 قال جل وعلا: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ
 وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ
 لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩٠-٨]

وقال جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ
 دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا
 يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]

وقال جل وعلا: ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

[البقرة: ٢٤٩]

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[يوسف: ٢١]

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا
 جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَّشَاءٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

[يوسف: ١١٠]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ
 اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ
 جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]

وقال الصادق المصدوق عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي
 يوحى كما في الحديث الذي رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني

من حديث تميم الداري أنه ﷺ قال: « لا يَبْلُغُ هذا الأمرُ ما بَلَغَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ ولا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدْرَ ولا وَبَرَ إلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ هذا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أوْ بَذَلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يَعْزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ وَذُلًّا يَذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ» (١).

وفي الحديث الذي رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وصححه شيخنا الألباني من حديث حذيفة بن اليمان أنه ﷺ قال :

« تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ ما شاء اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُها اللهُ إِذا شاءَ أَنْ يَرْفَعُها ثُمَّ تَكُونُ خِلافةً على مَنهاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ تَكُونُ فِيكُمْ ما شاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها اللهُ إِذا شاءَ أَنْ يَرْفَعُها، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عِاضًّا فَتَكُونُ فِيكُمْ ما شاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُها اللهُ إِذا شاءَ أَنْ يَرْفَعُها ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جِبرِيًّا فَتَكُونُ فِيكُمْ ما شاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُها اللهُ إِذا شاءَ أَنْ يَرْفَعُها ثُمَّ تَكُونُ خِلافةً على مَنهاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ» (١).

أسأل الله أن يُعجلَ بها . وأختتم بهذا الحديث وأتمنى من إخواني الشيوخ والعلماء والدعاة وطلاب العلم الشرعي أن يركزوا على هذه الجزئية وهي بث الأمل في قلوب الأمة، وفي قلوب رجالها وشبابها حتى لا نقنط ولا نياس فنستسلم لهذا الواقع المرير بل ننطلق في عزة واستعلاء وأمل في نصر الله جل وعلا . . .

يقول المصطفى ﷺ: « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمُونَ فَيَخْتَبِئُ اليَهُودِيُّ وراءَ الحِجَرِ والشَّجَرِ فيقولُ الحِجَرُ

(١) صححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٣).

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٧٣) وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة برقم (٥).

وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرَقَدُ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»^(١).

ونحن نتظر هذه الجولة التي أسأل الله أن يشرفني وإياكم بأن نكون من جندها أو أن يكون أبناؤنا من جنودها إنه ولي ذلك والقادر عليه .
... الدعاء

(١) رواه البخاري (٧٥/٦) في الجهاد، باب قتال اليهود، ومسلم رقم (٢٩٢٢) في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء .



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

أحبتني في الله :

حيّاكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الأحباب الكرام
الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبوأتكم جميعاً من الجنة منزلاً .
وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا
البيت المبارك على طاعته، أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة
المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتني في الله :

«في ظلال الإسراء والمعراج» هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم
في هذا اليوم الكريم المبارك وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا تحت هذا
العنوان في العناصر التالية :

أولاً: تأريخ وتحقيق .

ثانياً: ولماذا الإسراء ؟

ثالثاً: الأقصى الجريح .

رابعاً: المعراج إلى السماوات العلى .

وأخيراً: دروس وعبر من الأحداث .

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان .

أولاً: تأريخ وتحقيق :

لقد اعتاد المسلمون - إلا من رحم الله جلّ وعلا من المحققين - أن يحتفلوا بذكرى الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب احتفالاً باهتاً بارداً لا يليق بالمصطفى ﷺ !!!
واعتقد الكثيرون أن الإسراء كان في هذه الليلة .

والتحقيق أن العلماء قد اختلفوا اختلافاً كبيراً في يوم الإسراء بل في شهر الإسراء بل في سنة الإسراء !!

قال السدي: كان الإسراء في شهر ذي القعدة .

قال الزهري: كان الإسراء في شهر ربيع الأول .

قال ابن عبد البر: كان الإسراء في شهر رجب .

قال النووي: كان الإسراء في شهر رجب .

قال الواقدي: كان الإسراء في شهر شوال .

وفي قول آخر قال: كان في شهر رمضان .

وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بستة أشهر، وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بتسعة أشهر، وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وستة أشهر، وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الأثير .

ومن ثم فإن اليوم والشهر والعام للإسراء لا يعلمه إلا الملك .

والتحديد للإسراء بيوم وشهر ضرب من المجازفة والتخمين لا دليل

عليه من الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

ولما لم يحتفل النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم والأتباع من

بعدهم بذكري الإسراء فينبغي علينا أن يسعنا ما وسعهم .
فكل خيرٍ في اتباع من سلف وكل شرٍّ في اتباع من خلف
والتحقيق أن الإسراء كان بعد البعثة وقبل الهجرة من مكة زادها الله
تسريعاً إلى المسجد الأقصى الجريح - خلَّصه الله من أيدي إخوان القردة
والخنازير .

ثم من المسجد الأقصى إلى السموات العلى كما سافصل الآن بحول
الله وقوته .

ثانياً : ولماذا الإسراء؟

وللجواب على هذا السؤال قصة إنها قصة طفل طهور كالربيع !!
إنها قصة طفل كريم كالنسيم!! إنها قصة طفل نشأ في مكة في بيئة
تصنع الحجارة بأيديها وتسجد لها من دون الله جلَّ وعلا!!!
بل كان يصنع الواحد منهم إلهه من خشب أو من نحاس أو حتى من
حلولى أو من تمر فإذا ما عبث الجوع يبطنه قام ليدس هذا الإله الرخيص
في جوفه ليذهب عن نفسه شدة الجوع!!!
في هذه البيئة نشأ الحبيب المصطفى ﷺ ، فاحتقر هذه الأصنام وأشفق
على أصحاب هذه العقول .

فترك هذه البيئة الشركية وانطلق بعيداً بعيداً إلى قمة جبل النور إلى
غار حراء ليقضى ليله في التأمل والتفكير والتضرع، ويقضى النهار كذلك
في التأمل والتفكير والتدبر .

وفي ليلة كريمة يخشع الكون وتصمت أنفاس المخلوقات وجبريل
أمين وحى السماء يتنزل لأول مرة على المصطفى ﷺ على قمة جبل
النور ليضم الحبيب المصطفى ﷺ ضمة شديدة وهو يقول له «اقرأ»

والحبيب ﷺ يقول: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، وجبريل يقول: «اقرأ» والمصطفى ﷺ يقول: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، وفي الثالثة غَطَّهُ حتى بلغ منه الجهد وقال للحبيب:

﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

[العلق: ١-٥]

فؤاده يرتجف وفرائضه ترتعد . . وجوارحه تضطرب حتى وصل إلى السكن . . إلى رمز الوفاء . . إلى سكن سيد الأنبياء . . إلى خديجة بنت - خويلد رضي الله عنها وأرضاها .

إلى هذه الزوجة العاملة الصالحة التي استحقت أن شرفها الله بأن أرسل إليها السلام من فوق سبع سماوات ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة «أَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمُصْطَفِيِّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْكَ وَمَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ - (طعام أو شراب) فَإِذَا هِيَ أَنْتَ فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا، وَمَنِّي وَبَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»^(١).

فلما أقبلت خديجة بشراً المصطفى ﷺ بهذه البشارة وقال يا خديجة:

ربك يقرئك السلام وجبريل يقرئك السلام!!

فماذا قالت خديجة البليغة العاقلة العاملة، ما قالت وعلى الله السلام

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٢٠) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب تزوج النبي ﷺ خديجة وفضلها، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى « يريدون أن يدلوا كلام الله»، ومسلم (٢٤٣٢) في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله - عنها.

وإنما قالت: «إن الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام
وعليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته».

خديجة عاد إليها النبي ﷺ يرجف فؤاده وهو يقول: «زَمَلُونِي
زَمَلُونِي»، واستجابت خديجة حتى استيقظ الحبيب ﷺ وقد هدأت نفسه
واستقرت جوارحه وقال: «وَاللَّهِ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي يَا خَدِيجَةُ» وقص
عليها فبشرته بهذه الكلمة الطيبة وقالت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً
إلى آخر ما ذكرت والحديث رواه البخاري وهو حديث طويل (١).

ثم فتر الوحي لفترة قليلة - على الراجح - ثم نزل قول الله عز وجل
على الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ
فَكْبِيرٌ (٣) وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْثِرُ (٦)
وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [الدثر: ١-٧]

قم يا محمد دع عنك هذه الأغطية فما كان بالأمس حليماً جميلاً
أصبح اليوم حملاً ثقيلاً.

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٢) نَصَفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً
(٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً﴾

[المزمل: ١-٥]

فقام الحبيب ﷺ ولم يقعد عشرين سنة، لم يعرف طعم الراحة . . لم
يذوق طعم النوم . . لم يهدأ!!

وإنما انطلق على قدميه حاملاً نور الله عز وجل إلى هذه البشرية

(١) رواه البخاري رقم (٣) في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله
ﷺ .

ليخرجها من ظلمات الشرك وأحوال الوثنية إلى أنوار التوحيد والإيمان
برب البرية جلّ وعلا .

انطلق الحبيب بعد ذلك بعدما نزل عليه قول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا
الْمُذْتَبِرُ ۙ قُمْ فَأَنْذِرْ ۗ ﴾ انطلق يدعو الناس سرّاً إلى الإسلام ثلاث
سنين .

لأن للأصنام جيوشاً غاضبة إن هؤلاء القوم يقتلون من أجل ناقة
فماظنك بالهة يذبحون لها آلاف النياق إن مس جنابها على يد محمد
ابن عبدالله ﷺ .

وبعد هذه المرحلة السرية نزل قول الله عز وجل :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]

فقام الحبيب ﷺ مليياً أمر الله : فصعد على جبل الصفا ينادي على
بطون مكة يا بني فهر، يا بني عدي، يا بني كذا يا بني كذا، فجعل الرجل
إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو والتف حوله الناس
من أهل مكة ووقفوا بين يديه وعلى رأسهم أبو لهب .

وقام الحبيب ليقيم الحجة على قومه بلغة النبوة فقال : «أَرَأَيْتُمْ لَوْ
أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً وَّرَاءَ هَذَا الْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكْتُمُ مُصَدِّقِي؟»
قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً .

فقال الحبيب المصطفى ﷺ : «فَأِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» .

فقال أبو لهب : تَبَّأُ لَكَ سَائِرِ الْيَوْمِ أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا؟

فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۙ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۙ ۝٢

(٢) سَيَّصَلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿[المسد: ٥٠-١]﴾^(١).

بعد هذا الموقف حدث أن قريشاً أرعدت وأبرقت ودقت طبول الحرب على رأس المصطفى ﷺ وأصحابه.

وانطلقت مكة على قلب رجل واحد لتصب البلاء والإيذاء صباً على رأس المصطفى ﷺ ففي البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود: أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلكي جزور بني فلان « وهي الجلدة التي يكون فيها الولد يقال لها ذلك من البهائم » فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئاً لو كانت لي منعه، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ»^(٢).

وورد في صحيح البخاري أن عقبة بن أبي معيط قد انطلق إلى النبي ﷺ وهو يصلي في حجر الكعبة، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٧٠) في تفسير سورة الشعراء باب « وأندر عشيرتك الأقربين » وفي الجنائز، باب ذكر شرار الموتى، وفي الأنبياء، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، ومسلم رقم (٢٠٨) في الإيمان باب قوله تعالى: ﴿ وَأندر عشيرتك الأقربين ﴾ والترمذي رقم (٣٣٦٠) في التفسير

(٢) رواه البخاري رقم (٢٤٠) في الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدراً وجيفة لم تفسد عليه صلاته، وفي سترة المصلي وفي الجهاد وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ وفي المغازي، ومسلم رقم (١٧٩٤) في الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، والنسائي (١/١٦١) في الطهارة، باب فرث ما يؤكل لحمه يصيب الثوب .

شديداً حتى كادت أنفاس المصطفى ﷺ أن تخرج بين يديه فجاء الصديق
ليدفع هذا الفاجر الكافر عن رسول الله ﷺ وهو يقول^(١) :
﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

[غافر: ٢٨]

أحبتني في الله :

رأى النبي ﷺ أن أرض مكة صلدة قاسية لا تقبل بذرة التوحيد
فانطلق الحبيب؟ إلى الطائف يبحث عن قلوب حانية لعلها تحمل هذا
النور لا إلى أهل الطائف فحسب بل إلى الدنيا كلها.

انطلق الحبيب ﷺ على قدميه المتعبتين، لا يركب راحلة فهو لا يملك
في هذا الوقت الراحلة!!

ينطلق المصطفى ﷺ تحت شمس محرقة تكاد تذيب الحديد والصخور
والحجارة وعلى رمال ملتبهة إذا ما انعكست عليها أشعة الشمس كادت
أن تخطف الأبصار!! .

انطلق الحبيب ﷺ في هذا الجو متعباً يتألم لا سيما وقد ازداد حزنه
بموت خديجة - رضي الله - عنها وبموت عمه أبي طالب الذي كان
حائطاً صدقاً منيعاً لحملات المشركين في الخارج.

النبي ﷺ ينطلق إلى هنالك على قدميه، والله لا يريد مالاً ولا يريد
جاهاً ولا يريد وجاهة إنما يريد لهؤلاء خير الدنيا والآخرة.

ولكن فعل أهل الطائف بالمصطفى ﷺ مالم يكن يتوقع، فلقد سلطوا

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٧٨) في فضائل أصحاب النبي ﷺ وباب قول النبي ﷺ :
لو كنت متخذاً خليلاً ، وباب مالقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، وفي تفسير
سورة المنافقين .

عليه الصبيان والسفهاء حتى وقفوا ورموا الحبيب المصطفى ﷺ بالحجارة ونزف الدم الشريف بأبي هو وأمي ﷺ .

إنه المؤيد بمدد السماء . . إنه المؤيد بوحى السماء . . تلقى عليه الرمال!!؟ ويلقى عليه التراب!!؟

ويقذف بالحجارة حتى يسيل الدم الطاهر من جسده ﷺ !!؟
فأجأه الصبيان والسفهاء إلى بستان لابني ربيعة، وهناك ارتفعت هذه الكلمات النيرة وتضرع الحبيب إلى الله بهذا الدعاء «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي وَقَلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتُ؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَّجِهْمُنِي؟! أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتُهُ أَمْرِي؟! إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي، أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلِحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَلَّا تُنَزِّلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُنْبِيُّ حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» (١)

وفي البخاري ومسلم : عن عروة أن عائشة - رضي الله عنها - حدثته أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

قال : «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ بَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِنِّي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمْتَنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي

(١) رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات ما عدا ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وقد ضعفه شيخنا الألباني ولله الحمد رأيت شاهداً آخر يقوى هذا الحديث عن ابن إسحاق موصولاً وكلاهما يقوى بعضهما الآخر .

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَتَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَطَبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ وَالْأَخْشَبَانَ جِبْلَانَ عَظِيمَانَ بِمَكَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).

هذا ملك الجبال يستأذن النبي ﷺ أن يحطم هذه الجماجم الصلدة وهذه الرءوس العنيدة المتكبرة الكافرة المتحجرة. ولكنه ما جزع لنفسه. . ما خرج لذاته. . إنما خرج لله وحده.

هذا نصر غيبي من الله للمصطفى ﷺ ولكن وصل الحبيب إلى مكة زادها الله تشريفاً - ليرى كرامة أخرى له من الله عز وجل ليرى جبريل هنالك في انتظاره ليأخذه إلى هذه الرحلة المباركة إلى رحلة الإسراء والمعراج .

وكان الله عز وجل قد أراد أن يقول لحبيبه المصطفى ﷺ: يا رسول الله إن كان أهل مكة وأهل الطائف قد رفضوك فإن رب السماء والأرض يدعوك .

يا محمد لا تظن أن جفاء أهل الأرض يعني جفاء السماء .

إن الله يدعوك اليوم ليعوضك بجفاء أهل الأرض حفاوة أهل السماء

(١) رواه البخارى (٦/٢٢٤، ٢٢٥) فى بدء الخلق، باب ذكر الملائكة وفى التوحيد، باب (وكان الله سميعاً بصيراً)، ومسلم رقم (١٧٩٥) فى الجهاد باب ما لقى النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين .

.. الله أكبر .

فتعالوا بنا لتتعرف على هذه الرحلة المباركة، ولنجمع بين الروايات إذ لا تعارض بينها كما قال الحافظ ابن حجر: في بيت أم هانئ يأتيه جبريل ليشق البيت ليأخذ المصطفى ﷺ من بيت أم هانئ إلى الحجر في بيت الله الحرام، ثم بعد ذلك تبدأ رحلة الإسراء وتبدأ رحلة الإسراء بشق صدر المصطفى ﷺ .

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أُتِيتُ فَأَنْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمَزَمَ، فَشَرَحَ عَن صَدْرِي (أَي شَق) ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمَزَمَ ثُمَّ أَنْزَلْتُ»^(١)

وأنتم تعلمون أنه قد شق صدره قبل ذلك وهو غلام صغير، حينما كان في ديار بني سعد عند مرضعته حليلة رضي الله عنها^(٢).

تبدأ الرحلة المباركة رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يقول المصطفى ﷺ واللفظ لمسلم من حديث أنس:

«أُوتِيتُ بِالْبُرَاقِ» والبراق بنص الحديث الصحيح دابة فوق الحمار ودون البغل، يضع حافرُه عند منتهي طرفه .

وقف الحافظ ابن حجر عند قوله البراق فقال: البراق من البريق من اللمعان لأن النبي ﷺ حدد لونه بالبياض وقال: البراق من البرق والبرق

(١) رواه البخارى ومسلم رقم (٢٦٠) فى الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦١) فى كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات .

ضوء وسرعة الضوء رهيبة هذا هو البراق .

ورد من حديث الترمذي وعند الإمام أحمد في المسند وعند عبدالرزاق في مصنفه وعند البيهقي في السنن من حديث أنس:

أن النبي ﷺ لما انطلق ليركب البراق استصعب عليه، فقال جبريل للبراق: ما حملك على هذا والله ما ركبك أحد من خلق الله أكرم على الله منه، أي من محمد بن عبدالله ﷺ .

ركب النبي ﷺ البراق وانطلق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

وعنصر الإعجاز في رحلة الإسراء الأرضية هو الزمن .

انطلق النبي ﷺ من مكة إلى المسجد الأقصى في زمن قليل وهذا هو الذي أنكره المشركون في مكة .

قالوا نضرب لها أكباد الإبل شهراً من مكة إلى بلاد الشام، وأنت تقول بأنك انطلقت من مكة إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماوات العلى وعُدت في جزء من الليل - لأن الله قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] وليلاً عند علماء اللغة أي في جزء من الليل، ولم يقل ليلة لتقول بأن الإسراء قد استغرق ليلة بكاملها لا بل استغرق جزءاً من الليلة .

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الإسراء: ١]

وانتبه لهذه الآية التي ختمت بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وكان من السياق أن يقول: «إنه على كل شيء قدير». «إنه عزيز حكيم» ليظهر



عظمته وقدرته وإنما قال: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أي الذي سمع قول قومك لك، ورأى فعل قومك بك، فأراد أن يكرمك وأن يشرفك .

لأن الإسراء معجزة فريدة ليست تأييداً للدعوة بقدر ما هي تأييد لصاحب الدعوة بأبي هو وأمي ﷺ .

ثالثاً: «الأقصى الجريح»:

الأقصى الجريح الذي تدوسه الآن أقدام إخوان القردة والخنازير من أبناء اليهود على مرأى ومسمع لا أقول من المسلمين إنما من العالم كله .

والمسلمون لا يجيدون إلا الاحتفالات . . نحتفل بذكرى الإسراء !!

ونسلم القصائد ونسمع الأشعار، ونسمع الكلمات !!

ونحتفل بذكرى المولد، ونحتفل بذكرى النصف من شعبان، هذا هو

الذي يجيده المسلمون الذين عشقوا الهزل يوم أن كرهوا الجد والرجولة والبطولة والجهاد في سبيل الله !!

المسجد الأقصى إنما هو أولى القبلتين . وهو المسجد المبارك الثالث

الذي أمر النبي ﷺ بشد الرحال إليه « لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَمَسْجِدِ الْمُصْطَفَى ﷺ » (١) .

المسجد الأقصى الآن يداس بأرجس الأرجل !!

المسجد الأقصى الآن الحفريات تحت جدرانه من كل ناحية إلى يومنا

هذا !!

(١) رواه البخاري رقم (١١٨٩) في التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم رقم (١٣٩٧) في الحج، باب لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ، وأبو داود رقم (٢٠٣٣) في المناسك باب في إتيان المدينة، والنسائي (٣٧/٢، ٣٨) في المساجد، باب ما تشد الرحال إليه في المساجد .

الحفريات تحت جدران المسجد بحجة التوسعة وبحجة الترميم؛
ليسقط المسجد الأقصى؛ وليقيم إخوان القردة والخنازير عليه ما يسمونه
بالهيكل المزعوم.

حقائق لا بد أن ترسخ في القلوب والعقول؛ الصراع بين اليهود وبين
المسلمين صراع عقدي، ولن ينتهي إلى قيام الساعة!!
الأقصى الجريح يئن!! افتحه عمر، وحرره صلاح الدين، فهل من
صلاح؟! هل من صلاح جديد!!؟

هل من صلاح بيننا وبين الله ليمدنا الله بصلاح!!؟

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الإسراء: ١]

أيها الأحبة: إن معتقد أهل السنة والجماعة أن الإسراء كان بجسد
النبي ﷺ وروحه يقظة لا مناما.

لماذا ينكر ذلك من يعبدون العقل؟! ينكرون ذلك لعنصر الزمن كيف
يقطع هذه المسافة التي يقطعها الناس في شهور في لحظات!!؟
وأنا أقول «سبحان»: تنزيه لأفعاله وأسمائه وصفاته جل وعلا.

أى إذا كان الفعل من الله فنزهوا فعل الله عن فعلكم ونزهوا صفات
الله عن صفاتكم ونزهوا قول الله عن قولكم.

﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ : والعبد لغة تطلق على الإنسان بروحه وبدنه
لا يطلق لفظ العبد على الروح دون البدن ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾
والسرى: هو السير ليلًا:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[الإسراء: ١]

قال القاسمي - رحمه الله - : دللت هذه الآية على ثبوت الإسراء وهو سير النبي ﷺ إلى بيت المقدس ليلاً .

قال القاضي عياض : وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهو الحق .

قال : والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار .

ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند وجود نص أو قرينة تدل على أن الظاهر غير مراد، إذ لو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده .

وقوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧] ولو كان مناماً لما كان فيه آية ولا معجزة، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه، ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به، إذ فعل هذا في المنامات لا ينكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته .

ومما يدل على أنه كان يقظة كذلك ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي - الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحَجْرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ »^(١) .

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٨٦) في مناقب الأنصار باب حديث الإسراء وقول الله تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾

فلو أنه أخبرهم بأنها رؤيا رآها لما اختبروه بالسؤال عن آياته وعلاماته
وهذه أيضاً معجزة ثانية لرسول الله ﷺ .
وأكتفي بهذا القدر في هذه الخطبة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي
ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه
وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .
أما بعد

فيا أيها الأحبة الكرام: وبدأت الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى، وفي المسجد الأقصى دخل النبي ﷺ المسجد وصلى ركعتين،
وبعد ما خرج وجد جبريل يقدم له إناء من لبن وإناء من خمر،
فاختار النبي ﷺ اللبن. فقال له جبريل قد أصبت الفطرة يا محمد.

ثم تبدأ رحلة المعراج، ولنرجع مرة أخرى إلى حديث أنس في
صحيح البخاري .

يقول: «ثم عُرِّجَ بنا إلى السماء، فاستفتح جبريلُ، فقيل: مَنْ أَنْتَ؟ قال:
جبريلُ، قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ
إليه فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بآدم، فرحَّبَ بي ودعا لي بخير.

ثم عُرِّجَ بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريلُ عليه السلام، فقيل: مَنْ
أَنْتَ؟ قال: جبريلُ، قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال:
قد بُعِثَ إليه. فَفُتِحَ لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم، ويحسى بن زكريا
صلوات الله عليهما، فرحبا بي ودعوا لي بخير.

ثم عُرِّجَ بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريلُ: فقيل مَنْ أَنْتَ؟ قال:

جبريل، قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعثَ إليه ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف عليه السلام، إذ هو قد أُعطي شَطْرَ الحِسنِ فرحَّبَ بي ودعَا لي بخير.

ثم عُرِجَ بنا إلى السماءِ الرابعةِ، فاستفتحَ جبريلُ فُقيلاً: مَنْ هَذَا؟ قال جبريلُ.

قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: محمدٌ، قيل: وَقَدْ بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعثَ إليه ففتحَ لنا. فإذا أنا بإدريس، فرحَّبَ بي ودعَا لي بخير، قال الله عز وجل ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

ثم عُرِجَ بنا إلى السماءِ الخامسةِ، فاستفتحَ جبريلُ فُقيلاً: مَنْ هَذَا؟ قال: جبريلُ، قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: محمدٌ. قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعثَ إليه، ففتحَ لنا، فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحَّبَ بي ودعَا لي بخير.

ثم عُرِجَ بنا إلى السماءِ السادسةِ، فاستفتحَ جبريلُ فُقيلاً: مَنْ هَذَا؟ قال: جبريلُ. قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: محمدٌ. قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعثَ إليه، ففتحَ لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحَّبَ بي ودعَا لي بخير.

ثم عُرِجَ بنا إلى السماءِ السابعةِ، فاستفتحَ جبريلُ فُقيلاً: مَنْ هَذَا؟ قال: جبريلُ، قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعثَ إليه ففتحَ لنا، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام سانداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كلُّ يومٍ سبعون ألفَ ملكٍ لا يعودون إليه.

ثم ذهبَ بي إلى سُدرةِ المنتهى، وإذا ورَّقُها كأذانِ الفيلةِ، وإذا ثمرُها كالقلال، قال: فلما غَشِيَهَا من أمرِ الله ما غَشِيَهَا، تَغَيَّرَتْ فما أحدٌ من خلقِ الله يستطيعُ أن ينعتها من حسنِها.

فأوحى الله إليَّ ما أوحى، فعرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة.

فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتَكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَحَبْرَتَهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبَّ خَفِّفْ عَن أُمَّتِي.

فحطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى - عليه السلام - حتى قال: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُمْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تَكُتَبْ شَيْئًا. فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ

قال: فنزلت حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ فأخبرتهُ فقال: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَجِيتُ مِنْهُ (١).

وهكذا أيها الأحبة تنتهي رحلة المعراج .
... الدعاء

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٨٧) في مناقب الأنصار، باب المعراج ومسلم رقم (٢٥٩) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.



الاستنساخ



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة، ونصح للأمة فكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيله حق جهاده حتى أتاه اليقين فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد :

فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الكرام الأعزاء وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتني في الله :

قنبلة علمية أذهلت العالم كله في الأيام الماضية!!

بل وأصابت العالم كله بالدوار!!

وذلك من خلال ما يسمى بالاستنساخ!!

ونظراً لأن الموضوع يمس العقيدة ويمس قدرة وعظمة الله في قلوب المسلمين رأيت أنه من الواجب عليّ في مثل هذا الجمع المهيب . . . في مثل هذا اليوم الكريم الحبيب أن أبين الحق في هذا الموضوع الخطير ليزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتابوا في عظيم قدرته وجلال عظمته جل وعلا .

ومن ثم كان لقاءنا في هذا اليوم المبارك بعنوان:

«الاستنساخ»

وكعادتنا فسوف يتنظم حديثنا مع حضراتكم في هذا الموضوع الخطير

في العناصر التالية :

أولاً : العلم يدعو إلى الإيمان .

ثانياً : هل خلقوا نعجة بالفعل؟!؟

ثالثاً : هذا خلق الله .

وأخيراً: يا أيها الإنسان ما غرك!!

فأعيروني القلوب والأسماع جيداً أيها الفضلاء الكرام والله أسأل أن

يتقبل مني ومنكم جميعاً صالح الأعمال .

أولاً : العلم يدعو إلى الإيمان :

إن نور الوحي لا يطمس نور العقل أبداً بل يباركه ويزكيه، ويقويه شريطة أن يذعن العقل مع الكون كله لله رب العالمين .

وإنه لواجب علينا أن نحترم العقل والإدراك البشري بالقدر الذي أَرادَه اللهُ له من التكریم في مجاله الذي يحسنه ويبدع فيه حتى لا نمضى بالعقل البشري والإدراك البشري بعيداً بعيداً عن حدود هذا المجال وعن حدود قدراته وإبداعه، وحتى لا نمضى في التيه والضلال بلا دليل أو برهان :

أيها الأحبة الكرام:

ما كان الإسلام أبداً ولن يكون نداءً للعلم . . وكيف ذلك!!؟

والإسلام هو الذي دعا للعلم منذ لحظاته الأولى يوم أن تنزلت الآيات

على قلب الأمي الذي علم المتعلمين نزل عليه قول الله جل وعلا :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم

الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [العلق: ١-٥] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي

الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ

تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٤٢] .

فالعلم صفة من أجل صفات الله جل وعلا:

فالله جل جلاله يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن

لو كان كيف كان يكون .

قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا

رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿ [الأنعام: ٥٩]

ولكن الله جل وعلا قدر منذ الأزل وشاء منذ الأزل أن يعلم الإنسان شيئاً من علم الله في الوقت الذي يشاءه الله، وبالقدر الذي يريده الله قال جل في علاه:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٥٥٢]

وقال جل جلاله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١: ٣٣]

فكل علم يعلمه الإنسان اليوم إنما ورثه الله جل وعلا لهذا الإنسان من خلال أبيه آدم الذي علمه الله أسماء وعلوم كل شيء وظل هذا العلم مكوناً في هذا الكون.

إن الإنسان الذي أسكرته نشوة العلم وأعماه غرور العلم.

هذا الإنسان إلى الآن لا يعلم نفسه!! لا يدري حقيقة مشاعره!! لا يدري حقيقة عقله!! لا يدري حقيقة روحه!!

ومع ذلك فإنه يتبجح ويستعلي على الله بما شاءه وأراده الله له أن يكتشفه!! وهنا فإن العلماء ينقسمون تجاه الآيات الكونية والآيات العلمية إلى قسمين:

القسم الأول: فريق من العلماء تزيده الاكتشافات العلمية عناداً وإلحاداً وكبراً وطغياناً وكفراً!!

وهؤلاء عند الله بعلومهم أضل من البهائم قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴾ [الاعراف: ١٧٩]

التسمم الآخر: تزيده الاكتشافات العلمية والآيات الكونية إيمانا برب البرية وهؤلاء الذين قال الله في حقهم :
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].
أيها الأحبة الكرام:

العلم يدعو إلى الإيمان بالله جل وعلا وأختم هذا العنصر الهام بكلمات دقيقة لعالم الطبيعة الفيلسوف الأمريكي (ماريت ستانلي) .
إذ يقول: إن العلوم التي يصل إليها الإنسان تبدأ بالاحتمالات وتنتهي كذلك بالاحتمالات، وأن أى نتيجة يصل إليها الإنسان من خلال نظرية علمية ليست نهائية وإنما هي اجتهادية وقابلة للتعديل بالإضافة أو الحذف وإنا لنرى العالم عندما يصل إلى قانون أو نظرية يقول: هذا ما وصلنا إليه حتى الآن، ثم يترك الباب مفتوحاً لما يستجد من التعديلات .
وهذه الكلمات تلخص حقيقة ما وصل إليه العلم من نتائج في أي جانب من الجوانب .

فطالما أن الإنسان هو الذي يحاول الوصول إلى هذه النتائج فإنه من الحتم أن تكون هذه النتائج مطبوعة بطباع الإنسان أي لها نفس خصائصه من قصور وجهل وخطأ ومحدودية ونقص !!
فالإنسان محدود من ناحية الزمان، ومن ناحية المكان، ومحكوم بقصوره وجهله وضعفه وشهوته ونزواته .

فالوسيلة التي يصل بها الإنسان إلى أى نتيجة هي التجربة والقياس،

وهذه الوسيلة باعتراف أهل العلم قاطبة تؤدي إلى نتيجة ظنية وليست يقينية .

ولا سبيل أبداً إلى نتيجة قطعية وحقيقة يقينية إلا عن طريق هدي الله الذي يبينه للناس .

ومن ثمَّ يبقى علم الإنسان لنفسه علماً ظنياً لا يصل إلى مرتبة اليقين بحال من الأحوال .

وهذا هو ما أثاره العلماء المتخصصون من تساؤلات حول استنساخ النعجة دوللي .

وهذا هو عنصرنا الثاني : هل خلقوا نعجة بالفعل ؟!

هل خلقوا نعجة بالفعل ؟!

لقد ثار العالم كله وهز مشاعره خبر هذه النعجة المستنسخة في معهد روزلين باسكتلندا، واصطاد العلمانيون في الماء العكر وخرجوا علينا بكلمات خبيثة تزعزع العقيدة في قلوب ضعاف النفوس الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان .

خرج علينا من يقول: «انتهت أسطورة الأمومة»!!!

وخرج علينا من يقول: «لم تعد هناك حاجة لدورٍ مُلحٍ للرجل»!!!

وخرج علينا من يقول: «لقد آن الأوان للعذراء التي لم تتزوج أن تختار

طفلاً بالصفات الوراثية التي تشاء دون الزواج»!!!

وخرج علينا من العلمانيين من يقول: «لقد أحدثت النعجة دوللي

انقلاباً في كل الموازين والمقاييس»!!!

وخرج علينا من يقول: « النعجة دوللي قلبت كل الموازين والمقاييس

البيولوجية والأخلاقية والدينية منذ أن خرجت إلى النور في يوليو

الماضي ووضعت الإنسان في حَيْصٍ بَيْصٍ، لسبب بسيط وهو أنها ولدت بدون أب!!^(١).

وخرج العالم كله والعلمانيون يطلبون ويزمرون.
وهذه كلها مغالطات وأوهام سخيفة.

فماذا حدث بالفعل حتى لا تختل العقيدة في قلب مسلم أو مسلمة!!؟
ولتقفوا على حقيقة ما حدث ليمتلئ قلبك الآن بعظمة الملك . . .
وجلال الملك . . . وقدرة الملك جل جلاله .

ما حدث بالفعل أن هذا الفريق العلمي قد أخذ خليةً من ثدي نعجة ومنطقة الثدي تسمى « activearea » أى منطقة نشطة .

هذه الخلية تحتوي على كافة الجينات التي تحمل كل الصفات الوراثية وهذه الخلية الحيوانية تحتوي على اثنين وخمسين كروموزوم ناتجة عن تلقيح حيوان منوي لبويضة، والحيوان المنوي في الحيوان يحتوي على ستة وعشرين كروموزوم والنواة في البويضة تحتوي على ستة وعشرين كروموزوم . فإذا ما اجتمع هذا العدد في الحيوان المنوي مع هذا العدد في نواة البويضة وخصبت البويضة تكونت الخلية التي تحتوي على اثنين وخمسين كروموزوم .

أما الخلية في الإنسان فإنها تتكون من ستة وأربعين كروموزوم، ثلاثة وعشرين كروموزوم في الحيوان المنوي للرجل، وثلاثة وعشرين كروموزوم في بويضة المرأة .

إذن فهذه الخلية تنتج حتما عن تلقيح الحيوان المنوي للبويضة ثم تتوالى انقساماتها بعد ذلك لتخليق أعداد هائلة من الخلايا الخاصة

(١) الأهرام في ٢٢/٣/١٩٩٧ بقلم : عزت العدني .

بالقلب والكبد والرأس وغيرها من أجزاء الجسم .

ماذا فعل هذا الفريق العلمى في اسكتلندا !!؟

أخذوا هذه الخلية التي أخذت من ثدي النعجة وضعوها في بيئة ذات تركيز غذائي منخفض لتجويج الخلية حتى لاتنقسم .

المرحلة الثانية: أخذوا بويضة من نعجة ثانية لم تخصب بحيوان منوي أى تحتوى على ستة وعشرين كروموزوم فقط فأزالوا النواة أو الدانا DNA من هذه البويضة أى تخلصوا من هذا القدر من الكروموزومات ثم دمجوا الخلية الأولى التي تحتوى على ٥٢ كروموزوم ودمجوها عن طريق الحث الكهربى بالبويضة الجديدة التي نزعوا منها النواة .

وبعد ستة أيام حملوا هذه البويضة الجديدة التي تحتوى على كافة الجينات كما لو كانت ملقحة .

حملوها إلى رحم نعجة أخرى ثالثة، فأخرجت نعجة صغيرة هي نسخة من الأم الأولى التي أخذوا منها الخلية الأولى التي تحتوى على ٥٢ كروموزوم .

هذا هو كل ما حدث في موضوع الاستنساخ ببساطة شديدة !!!

ثم خرج علينا من يدعى أن الإنسان قد شارك الله في الخلق !!!

أقول بعد هذا البيان : هل يدعي عاقل يحترم نفسه ويحترم عقله أنهم

خلقوا نعجة؟! !!!

إن الخلق إيجاد من عدم وليس تركيب مكونات هي أصلاً من خلق

الملك !!!

وأنا أسأل علماء الهندسة الوراثية على وجه الأرض بل وأتحدى أمام هذا الجمع أن يخلق علماء الهندسة الوراثية حيواناً منوياً واحداً أو أن يخلقوا بويضة أو أن يخلقوا خلية!!!

لماذا ذهبتم إلى الخلية التي هي أصلاً من خلق الملك فأخذتموها وأجريت التجارب؟!؟

لماذا لم توفروا على أنفسكم هذا الجهد الهائل وهذه المليارات الطائلة وتخلقوا خلية من أول الأمر تحمل كل الصفات الوراثية التي تريدونها والتي لا تريدونها؟!؟

فالخلية خلق مَنْ؟!؟

والحيوان المنوي خلق مَنْ؟!؟ والبويضة خلق مَنْ؟!؟

«ذلكم الله فأنى تؤفكون»

ثم ها أنذا أتساءل وأقول : أيهما أيسر أن نستنسخ إنساناً جديداً أم أن نبقي حياة إنسان يعيش بيننا؟!؟

الجواب: أن نبقي حياة إنسان يعيش بيننا .

إننا نتحدى الدنيا وعلماء الهندسة الوراثية في أمريكا وبريطانيا واسكتلندا وإيطاليا والصين وفي كل الأرض نتحداهم أن يخلدوا (بيل كليتون) أو (جون ميجور) أو (نتياهو).

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿ [الانباء: ٢٤]

اسمع أيها الموحد لربك ليتملى قلبك إيماناً بالله اسمع لقول الله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج : ٧٣ : ٧٤]

إننا نتحدى وسيظل التحدي قائمًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فإن استطاع الإنسان أن يستنسخ جنينا حيوانيا فإن الأمر في الجنين الإنساني يختلف تمامًا .

وهذا ما أكده جميع علماء الهندسة الوراثية .

والسبب هو أن الدانا (DNA) من أجنة الأغنام تختلف عن الدانا من أجنة الإنسان .

فضلا عن أن الجنين في بطن أمه في وقت محدد معلوم ينفخ الله فيه روحه ثم ينشأ خلقا آخر .

وعند هذه اللحظة التي تدب فيها الحياة في هذا الجنين خرج العالم الفرنسي الكبير (الكسيس كاريل) الذي ظل يتابع الجنين يوما بيوم، وساعة بساعة .

وحيثما تحرك الجنين في بطن أمه ودبت فيه الحياة بعدما نفخ الله فيه من روحه خرج هذا العالم وقال: « Here is God » . « هنا الله » .

من أين جاءت هذه الحياة !!؟ أإله مع الله !!؟

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الانبياء: ٢٤]

« هذا خلق الله » :

يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٥، ٦]

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٤]

وقال سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكْ نُطْفَةً مِّن مَّنًى يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾

[القيامة : ٣٦-٤٠]

فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى وجعل الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى .

سبحانه من شملت قدرته كل مقدور . . ومشيئته في خلقه بتصاريف الأمور .

﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]

والله لو فكر الإنسان المغرور في الحكمة من خلق الإنسان من ذكر وأنثى لسجد لله شكراً على هذه النعمة .

بل وكم من نعمة تغمرنا آناء الليل وأطراف النهار ! ونحن غافلون . . .
سآدرون بل ومن الناس متجبرون كآفرون !!

فلو خلق الله الإنسان من خلية واحدة تنقسم كما تنقسم البكتريا لأصبح ملايين البشر نسخة واحدة عملة مكررة !!

ولكن الحكيم الخبير جل وعلا ربط التناسل بالذكر والأنثى لينفرد كل إنسان عن غيره حتى ولو كانوا توأمين !!

فآلخلايا تحمل الكروموزومات التي تحمل الصفات الوراثية وتنقسم الخلية في خصية الرجل وفي مبيض المرأة بحيث يحتوي الحيوان المنوي على نصف العدد من هذه الكروموزومات وكذلك البويضة عند المرأة .
فإذا اجتمعآ كونا النطفة الأمشآج أي المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة وهكذا .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢]

إذن فالنطفة الأمشآج هي بداية مرحلة خلق الإنسان .
والله لو فكر الإنسان بإنصافٍ في مراحل أطوار الجنين في بطن أمه لسجد مع الكون كله لله رب العالمين !!

فها هو الرجل يلتقى بآمرآته ويلقي نطفته التي تحتوي على مئآت الملايين من الحيوانات المنوية التي تنطلق لتبحث عن البويضة .

والبويضة لا تخرج من المبيض عند المرأة إلا مرة واحدة في الشهر .

تخرج وعليها تاج مشع كأنها عروس تتهادى وتبعث شيئاً من أريجها لتلك الحيوانات الهائلة التي تقطع المفاوز والمخاطر لعلها تحظى ولو بنظرة إلى هذه العروس الفاتنة الجميلة فتهلك كل هذه الحيوانات المنوية ويختار الله جل وعلا حيواناً منوياً واحداً من بين هذه الملايين ليصل سالماً إلى البويضة !!

ولم يكتشف العلماء هذه الحقيقة العلمية إلا في القرن العشرين في الوقت الذي أخبر عنها المصطفى ﷺ منذ مئات السنين .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن الحبيب النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعُهُ شَيْءٌ»^(١).

يختار الله جل وعلا حيواناً منوياً واحداً من بين هذه الملايين ليصل سالماً إلى البويضة تلك العروس المزينة فتعش له مرحة وتفرز مادة لزجة لتسهل للحيوان المنوي أن يلتصق بجوارها .

ويقوم الحيوان المنوي هو الآخر بفرز مادة خاصة لها القدرة على إذابة جزء من المنطقة المشعة أو التاج المشع المحيط بالبويضة .

فإذا ما دخل الحيوان المنوي أغلقت الباب وأحكمته تماماً .

فإذا ما تم التخصيب وتكونت النطفة الأمشاج من الحيوان المنوي والبويضة، يصنع الله جل وعلا للبويضة الملقحة جداراً سميكاً مصمماً لا يمكن لأي حيوان منوي آخر اختراقه كما أن البويضة تخلع عنها

(١) رواه مسلم رقم (٨٣٤١) في النكاح باب حكم العزل .

تاجها المشع الذي كان يغري الحيوانات المنوية بالاقتراب منها .
ومنذ هذه اللحظة تبدأ بالانشطار في الخلية فتتحول إلى خليتين
والخليتان إلى أربع، وهكذا حتى تتكون مئات الخلايا على هيئة ثمرة
التوت، وفي خلال خمسة أيام أو سبعة أيام على الأكثر تكون قد
وصلت إلى الرحم الذي استعد لها هو الآخر بالفرش والوسائد أي
بالأوعية الدموية التي تغذيها وتنميتها .

ثم تتحول هذه النطفة الأمشاج بعد ذلك إلى المرحلة التالية وهي
مرحلة العلقه، وسميت بذلك لتعلقها بجدار الرحم .

وتبدأ العلقه في اليوم السابع في التمايز إلى طبقتين خارجية وداخلية
أما الخارجية فهي تأكل خلايا الرحم لتمتص الغذاء منها .
وأما الداخلية فوظيفتها تكوين الجنين .

وفي الأسبوع الرابع تتحول هذه العلقه إلى مضغة وقد سميت بذلك
لأنها بمقدار ما يمضغ من اللحم، وقد بين العلم الحديث أن الجنين في
هذه المرحلة يبدو وكأن أسنانياً قد غرزت فيه ومضغته ثم قذفته ثم تتحول
هذه المضغة بقدرة الله جل وعلا إلى عظام وعضلات .

وفي الأسبوع السادس والسابع تُكسى هذه العظام باللحم .
ثم يأتي الطور الأخير وهو طور التصوير والتسوية والتعديل ثم النفخ
في الروح وصدق ربي إذ يقول:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ
مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ

عَظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ ﴿ [المؤمنون : ١٢، ١٤]

وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري أن
النبي ﷺ قال : « إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا
فصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا
رَبِّ! أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا يَشَاءُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ! رِزْقُهُ؟ فَيَقْضِي
رَبُّكَ مَا يَشَاءُ، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ
عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ» (١)

وفي رواية بالصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال :

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحْمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ نُطْفَةٌ أَيُّ رَبِّ!
عَلَقَةٌ، أَيُّ رَبِّ! مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ الْمَلِكُ: أَيُّ رَبِّ!
ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ فِي
بَطْنِ أُمِّهِ» (٢)

إذا كان العلم الحديث يستطيع أن يتعرف على نوع الجنين في مرحلة
معينة من مراحل النمو فإن الله جل وعلا قد علم نوع الجنين قبل أن
يلتقى الرجل مع امرأته .

ويعلم الله سيكون المولود ولدًا أم أنثى

ويعلم الله هل سيكون هذا المولود شقيًّا أو سعيدًا

ويعلم الله رزقه ويعلم الله بأيِّ أرض يموت . أسألوا أهل العلم

١ : رواه مسلم رقم (٢٦٤٥) في القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه .

٢ : رواه البخاري ومسلم رقم (٢٦٤٦) في القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه .

وقولوا لهم أنتم أعلم أم الله؟!

يا شافِي الأَمْرَاضِ مَنْ أَرَدَاكَ؟!
عَجَزْتَ فَنُونِ الطَّبِّ مَنْ عَافَاكَ؟!
مَنْ يَا صَحْبِجُ بِالْمَنَابِ دَهَاكَ؟!
بَلَا اصْطِدَامٍ مَنْ يَا أَعْمَى يَقُودُ خُطَاكَ؟!
فَهَوَى بِهَا مَنْ ذَا الَّذِي أَهْوَاكَ؟!
مَنْ ذَا الَّذِي يَرَعَاكَ؟!
الوَلَادَةَ مَنْ ذَا الَّذِي أَبْكََاكَ؟!
فَسَلَّهُ مَنْ يَا تُعْبَانَ بِالسُّمُومِ حَشَاكَ؟!
تَحْيَا وَهَذَا السُّمُّ يَمَلَأُ فَكَ؟!
شَهْدًا وَقُلِّ لِلشَّهِدِ مَنْ حَلَاكَ؟!
وَدَمٍ مَنْ ذَا الَّذِي صَفَّأَكَ؟!
مَبِّتٍ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَحْيَاكَ؟!
وَخُدِّهِ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَرَبَاكَ؟!
فَاسْأَلْهُ مَنْ يَا نَخْلُ شَقَّ نَوَاكَ!!
أَنْوَارُهُ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَسْرَاكَ؟!
فَاسْأَلْ لَهَيْبِ النَّارِ مَنْ أَوْرَاكَ؟!
السَّحَابِ فَسَلِّهِ مَنْ أَرَمَاكَ؟!
أَقْلَهَا هُوَ مَا إِلَيْهِ هَدَاكَ!
عُجْبَابٌ لَوْ تَرَى عَيْنَاكَ!
حَاوَلْتَ تَفْسِيرًا لَهَا أَعْيَاكَ!

قُلْ لِلطَّبِّيبِ تَخَطَّمْتَهُ يَدُ الرَّدَى
قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِي بَعْدَمَا
قُلْ لِلصَّحْبِجِ يَمُوتُ لَأَمِنْ عِلَّةِ
بَلْ سَائِلِ الأَعْمَى خَطًّا بَيْنَ الرَّحَامِ
بَلْ سَائِلِ البَصِيرِ وَكَانَ يَحْذَرُ حُفْرَةَ
وَسَلِّ الجَنِينَ يَمِيشُ مَعْزُولًا بِلَا رَاعٍ وَمَرَعَى
وَسَلِّ الوَلِيدَ بَكَى وَأَجْهَشَ بالبُكَاءِ لَدَى
وَإِذَا تَرَى الشُّعْبَانَ يَنْفُثُ سُمَّهُ
وَسَلِّهِ كَيْفَ تَعِيشُ يَا تُعْبَانَ أَوْ
وَاسْأَلْ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ
بَلْ سَائِلِ اللَّبَنِ المُصْفَى كَانَ بَيْنَ فِرْتِ
وَإِذَا رَأَيْتَ الحَيَّ يَخْرُجُ مِنْ حَنَابِ
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّبْتَ فِي الصَّحْرَاءِ يَرْبُو
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّخْلَ مَشْثُوقَ النَّوَى
وَإِذَا رَأَيْتَ البَدْرَ يَنْسِرِي نَاشِرًا
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّارَ سَبَّ لَهَيْبُهَا
وَإِذَا تَرَى الجَبَلَ الأَشْمَّ مُنَاطِحًا قِمَمَ
لَلَّهِ فِي الأَفْصَاقِ آيَاتُ
وَلَعَلَّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ آيَاتِهِ عَجَبُ
وَالكُونُ مَشْثُوقٌ بِأسْرَارِ إِذَا

أإله مع الله؟! إله مع الله؟! إله مع الله!!!

سَلِ الْوَّاحِدَةَ الْخَضْرَاءَ وَالْمَاءَ جَارِيَا وَهَذِهِ الصَّحَارِي وَالْجِبَالِ الرَّوَاسِيَا
سَلِ الرُّوضِ مُزْدَانَا سَلِ الزَّهْرَ وَالنَّدَى سَلِ اللَّيْلَ وَالْإِصْبَاحَ وَالطَّيْرَ شَادِيَا
سَلِ هَذِهِ الْأَنْسَامَ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاءَا سَلِ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُ التَّوْحِيدَ لِلَّهِ سَارِيَا
وَلَوْ جَنَّ هَذَا اللَّيْلُ وَأَمْتَدَّ سَرْمَدًا فَمَنْ غَيْرُ رَبِّي يَرْجِعُ الصَّبْحَ ثَانِيَا

أإله مع الله؟! إله مع الله؟! إله مع الله!!!

انظُرْ لِتِلْكَ الشُّجَرَةِ ذَاتِ الْغُصُونِ النَّضِيرَةِ
كَيْفَ نَمَتَ مِنْ حَبَّةٍ وَكَيْفَ صَارَتْ شَجَرَةً
ابْحَثْ وَقُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يُخْرِجُ مِنْهَا الثَّمَرَةَ
ذَلِكَ هُوَ اللَّوَالِي الَّذِي أَنْعَمَ مِنْهُمِ الثَّمَرَةَ
دُو حِكْمَةٍ بِالْفِي وَقُدْرَةٍ مُفْتَدِرَةَ

وأخيرا : يا أيها الإنسان ما غرك؟!!

عتاب مخجل من الله للإنسان الذي يقف بين يديه سبحانه وهو مقصر
مذنب!! مغتر، متبجح!! غير مقدر لعظمة الله وقدرته وجلاله .

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ
فَعَدَّلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾ [الانفطار: ٦، ٨].

أيها الإنسان المغرور من تكون؟! وأين أنت من خلق السموات
والأرض؟!!

قال سبحانه : ﴿ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴿غافر: ٥٧﴾

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَعْرُوضَتَانِ لِلْإِنْسَانِ يَرَاهُمَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَقِيسَ نَفْسَهُ إِلَيْهِمَا، فَإِذَا عَلِمَ حَقِيقَةَ النَّسَبِ وَالْأَبْعَادِ وَحَقِيقَةَ الْقُوَى وَالْأَحْجَامِ يَتَصَاغَرُ وَيَتَضَاعَلُ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا ذَكَرَ لَهُ وَلَا كِرَامَةَ إِلَّا بِتَكْرِيمِ اللَّهِ لَهُ، وَتَشْرِيفِهِ بِعِبَادَتِهِ لَهُ جَلَّ وَعَلَا، لِيَنْسَجِمَ مَعَ هَذَا الْكُونِ الْهَائِلِ الَّذِي جَاءَ مَطِيعاً مُنْقَاداً لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ .

قال سبحانه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١]

فيا أيها الإنسان المغرور اعرف قدر ربك لتعرف قدر نفسك !!

اعرف عظمة ربك لتعرف قدر نفسك !!

اعرف كمال ربك لتعرف ضعف نفسك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿فاطر: ١٥-١٧﴾ .

... الدعاء



أمة لا تعرف قدر نبيها



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد..

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُّ محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

(خطب الشيخ محمد حسان جـ ٢)

ثم أما بعد: فحيا الله هذه الوجوه الطيبة المشرقة، وزكى الله هذه الأنفس، وشرح الله هذه الصدور وطبتم جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الإخوة الأعزاء، وطاب ممشاكم وتبواتم من الجنة منزلاً وأسأل الله جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتني في الله :

« أمة لا تعرف قدر نبيها »

هذا هو عنوان لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك ونظراً لأن الحديث في هذا الموضوع ذو شجون فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية :

أولاً: وإنك لعلی خلق عظیم .

ثانياً: القرآن يربي ويعلم .

ثالثاً: الواقع خير شاهد .

وأخيراً: هذا هو الحب أيها المحب .

فأعزني قلبك وسمعك أيها الحبيب، سائلاً المولى جل وعلا أن يجعلني وإياكم جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

أولاً: «وإنك لعلى خلق عظيم»:

روى الطبراني عن عبدالله بن سلام بسند رجاله ثقات أن زيد بن سعنه - وهو الحبر الكبير من أحرار يهود - قال : ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين الأولى: يسبق حلمه جهله، والثانية: لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلاًماً يقول زيد بن سعنه: فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحجرات مع علي ابن أبي طالب وإذ برجل من الأعراب يقبل على النبي ﷺ ويقول: يا رسول الله إن قومي في قرية بني فلان قد دخلوا في الإسلام، ولكنهم دخلوا في الإسلام طمعاً، فلقد أخبرتهم أنهم إن دخلوا في الإسلام أتاهم رزقهم رغداً وقد نزلت بهم اليوم شدة وقحط فأخشى أن يخرجوا من الإسلام طمعاً، كما دخلوا في الإسلام طمعاً فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت يا رسول الله

فالتفت الحبيب المصطفى ﷺ صاحب الخلق إلى علي بن أبي طالب وسأله: «هل عندنا شيء من المال؟»

فقال علي بن أبي طالب: لا والله يا رسول الله لقد نفذ المال كله . يقول زيد بن سعنه: فدنوت من محمد ﷺ وقلت له: يا محمد هل تبعننى تمراً معلوماً في حائط بني فلان إلى أجل معلوم، فقال النبي ﷺ: «نعم، أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل معلوم لكن لا تُسمي حائط بني فلان» فوافقت على ذلك، وأعطيت النبي ﷺ ثمانين مثقالاً من الذهب، يقول زيد بن سعنه: فأخذها النبي ﷺ كلها وأعطاهم لهذا الأعرابي وقال: «أذهب إلى قومك فأعنيهم بهذا المال» فانطلق الأعرابي بالمال كله، ولم يمض غير قليل من الوقت، ورسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه بعد أن صلى جنازة علي صاحب له وأتى إلى جدار

ليجلس إليه في ظله فاقترب منه زيد بن سعنه ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ وأخذ بقميص النبي ﷺ وردائه وهز الحبر اليهودي رسول الله ﷺ هزاً عنيفاً وهو يقول له: «أد ما عليك من حق ومن دين يا محمداً! فوالله ما علمتكم يا بني عبدالمطلب إلا مطلقاً في أداء الحقوق وسداد الديون».

فالتفت إليه عمر بن الخطاب وعينه تدور وقال له: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل برسول الله ﷺ ما أرى؟! والذي نفسي بيده لولا أنني أخشى فوته وغضبه لضربت رأسك بسيفي هذا . يقول زيد بن سعنه: وأنا أنظر إلى النبي ﷺ وإذا بالنبي ينظر إلي في سكون وهدوء، ثم التفت المصطفى ﷺ إلى عمر بن الخطاب وقال له: «يا عمر لقد كنت أنا وهو في حاجة إلى غير ذلك، يا عمر لقد كان من الواجب عليك أن تأمرني بحسن الأداء وأن تأمره بحسن الطلب...» فبهت الحبر أمام هذه الأخلاق السامية، وأمام هذه الروح الوضيئة العالية من الحبيب المصطفى بأبي هو وأمي ﷺ .

أتدرون ماذا قال الحبيب صاحب الأخلاق العظيمة؟

التفت الحبيب إلى عمر رضي الله عنه وقال:

«يا عمر خذهُ وأعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمرٍ جزاء ما روعته!»

يقول زيد بن سعنه: فأخذني عمر بن الخطاب وأعطاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر.

فقلت له: ما هذه الزيادة يا عمر؟!

فقال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدكها جزاء ما روعتك!!

فالتفت الحبر اليهودي إلى عمر وقال: ألا تعرفني؟

قال: لا، قال: أنا زيد بن سعنه .

قال عمر: حبر اليهود؟! قال: نعم .

فالتفت إليه عمر وقال: فما الذي حملك على أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت؟ وعلى أن تفعل برسول الله ﷺ ما فعلت؟

فقال زيد: والله يا ابن الخطاب ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه، ولكنني لم أختبر فيه خصلتين من خصال النبوة .

فقال عمر: وما هما ؟

قال حبر اليهود: الأولى: يسبق حلمه جهله، والثانية: لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، أما وقد عرفتهما اليوم في رسول الله فأشهدك يا عمر أنني: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ .
أيها الأحبة:

ماذا أقول أمام هذه الأخلاق؟! وبأي لغة أعلق؟!

وأنا أسأل الآن وأقول: هل في لغة البشر ما أستطيع أن أعبر به عن هذه الأخلاق السامقة؟ ألا ورب الكعبة فلا !!

فلندع المشهد يتألق سمواً وروعةً وجلالاً ولتردد معي أيها المحب للحبيب المصطفى ﷺ هذه الشهادة العظيمة من خالقه جل وعلا:
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وروى ابن اسحاق بسند صحيح مرسلٍ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: أخرجه الطبراني عن أنس ورجاله رجال الصحيح من حديث عروة بن الزبير أن عمير بن وهب أسرَ ولده وهب بن عمير في غزوة بدر فجلس عمير بن وهب مع صفوان بن أمية وكان على الكفر والشرك، جلسا إلى جوار الكعبة فتذكرا يوم بدر، فقال عمير بن وهب

لصفوان بن أمية: والله لولا دَيْنُ عليّ وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد لأقتله، فإن لى قبلهم علة، ابني أسيرٌ في أيديهم، فاغتنمها صفوان بن أمية وقال: عليّ دَيْنُك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، لا أمنع شيئاً عنهم .

فقال له عمير: فاكنم شأنني وشأنك، قال: أفعل فانطلق عمير إلى المدينة وقد شحذ سيفه وسمه، فلما أناخ راحلته على باب المسجد رآه الفاروق الملهم عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه . فقال عمر: هذا عدو الله عميرُ بن وهب والله ما جاء إلا لشر . ثم أخذ عمر بحمالة سيفه في عنقه، فلببّه بها ثم أدخله على رسول الله ﷺ :

فقال النبي ﷺ : «أرسله يا عمر»، ثم قال: «إذن يا عمير»، فدنا من رسول الله ﷺ ثم فقال له رسول الله ﷺ : «ما الذي جاء بك يا عمير؟» فقال: ابني أسيرٌ في أيديكم جئت لتحسنوا في فدائه . فقال النبي ﷺ : «اصدقني يا عمير، ما الذي جاء بك؟» قال: ما جئت إلا لهذا

فقال النبي ﷺ : «فَمَا بِالْسَيْفِ فِي عُنُقِكَ؟» فقال: عمير بن وهب : قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر؟!

فقال ﷺ : «اصدقني يا عمير ما الذي جاء بك؟»

قال عمير: ما جئت إلا لذلك .

فقال النبي ﷺ : «بَلْ جَلَسْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي حَجَرِ الْكَعْبَةِ فَذَكَرْتُمَا أَهْلَ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قُلْتَ لَصَفْوَانَ: لَوْلَا دَيْنُ عَلِيٍّ وَعِيَالُ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ بَعْدِي، لَرَكَبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ لِأَقْتُلَهُ، فَتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ بِدَيْنِكَ

وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ...» .
الله أكبر!!

فقال عمير بن وهب: أشهد أنك رسول الله ﷺ، فوالله هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم أنه ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: «فَقَهُوا أَحَاكُم فِي دِينِهِ وَأَثَرِنُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أُسِيرَهُ» هل في لغة البشر ما أستطيع أن أعبر به عن هذه الأخلاق السامية؟! وروى الإمام أحمد بسند صحيح من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله - عنه أنه قال: لما قسم النبي ﷺ الغنائم يوم حنين، أعطى لقومه من قريش ولسائر العرب ولم يعط الأنصار من الغنائم شيئاً حتى وجد الأنصار في أنفسهم على رسول الله ﷺ حتى قال قائلهم: والله لقد لقي رسول الله ﷺ قومه، فلما سمع سعد بن عبادَةَ الأنصاري هذه العبارة انطلق إلى الحبيب المصطفى ﷺ وقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي لقد وجدَ الأنصار عليك في أنفسهم .

فقال النبي ﷺ: «فِيمَ يَا سَعْدُ؟»

فقال سعد: لأنك قسمت الغنائم وأعطيت قومك من قريش، وأعطيت سائر العرب ولم تعط الأنصار .

فقال النبي ﷺ: «اجْمَعْ لِي الْأَنْصَارَ يَا سَعْدُ»، فجمع سعد بن عبادَةَ الأنصار رضوان الله عليهم وخرج النبي ﷺ على الأنصار وقام النبي ﷺ خطيباً في الأنصار:

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَنْتُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» . فسكت الأنصار فالتفت إليهم نبينا الحبيب المختار وقال:

«أَلَا تُجِيبُونَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟»

فقالوا: ماذا نقول وبماذا نجيب؟! المنُّ لله ولرسول الله ﷺ .
فقال الحبيب المصطفى ﷺ: « وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ: جِئْنَا طَرِيدًا
فَأَوْيْنَاكَ وَعَائِلًا فَوَاسَيْنَاكَ، وَجِئْنَا مَخْذُولًا فَانصَرْنَاكَ، وَجِئْنَا خَائِفًا فَأَمَّاكَ »
فقال الأنصار: « الْمَنُّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ » .

فقال النبي ﷺ: « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَقَدْ وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلَيَّ فِي
لُغَاةٍ تَأَلَّفَتْ بِهَا قُلُوبًا دَخَلَتْ الْإِسْلَامَ حَدِيثًا، وَوَكَّلْتُمْ أَنْتُمْ إِلَى مَا مَنَّ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ
النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ إِلَى رِحَالِهِمْ، وَتَذْهَبُونَ أَنْتُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ، يَا
مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: وَاللَّهِ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ
شِعْبَ الْأَنْصَارِ، وَاللَّهِ لَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَاللَّهُمَّ ارْحَمِ
الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ » (١) .

فبكى الأنصار - رضوان الله عليهم وأرضاهم - وارتفعت أصواتهم
بالبكاء واخضلت لحاهم وقالوا على لسان رجل واحد لصاحب الأخلاق
السامية: رضينا بالله رباً ورسول الله ﷺ قسماً ومغنماً .

هل في لغة البشر ما نستطيع به أن نعبر به عن هذه الأخلاق من
رسول الله ﷺ .

يوم أن قال لهم: « لَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ مِنَ الْأَنْصَارِ » ويوم أن كرمهم هذا
التكريم؟! ألا ورب الكعبة فلا . . . فلتردد معنى أيها المسلم هذه الشهادة
الزكية التي زكاه بها ربه وخالفه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] .

رواه البخارى (٣٧/٨ - ٤٢) فى المغازى، باب غزوة الطائف، ومسلم رقم (١٠٦١) فى

الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كَلِّهِمْ

* * *

أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبُوءَةِ خَاتِمٌ مِنْ نُورِ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَالَهُ اسْمَ النَّبِيِّ لِاسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدَّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَخْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

أيها الأحبة: والله الذي لا إله غيره لو ظللت الدهر كله أتحدث عن أخلاق رسول الله ﷺ ما استطعت، ولكن لخصت عائشة الصديقة الحصان الرزان هذا الخلق العظيم في كلمات محددة فقالت: كان خلقه القرآن.

كان رسول الله ﷺ قرآناً متحركاً بين الناس. . . ولقد جمع الله جل وعلا في شخص الحبيب المصطفى ﷺ أشخاصاً كثيرة ومتعددة في آن واحد.

فهو رسول من عند الله يتلقى الوحي من السماء، ليربط السماء بالأرض بأعظم رباط وأشرف صلة !!

وهو رجل سياسة من طراز فريد، يقيم أمةً ودولةً من فتات متناثر، فإذا هي بناءٌ شامخ لا يطاوله بناء تذل الأكاسرة، وتهين القياصرة، وتغير مجرى التاريخ في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئاً !!

وهو رجل حرب من طراز أوحده، يقود الجيوش، ويخطط للمعارك، ويتخذ غرفةً للعمليات عن بعد من أرض المعركة، وهذا لم يعلمه التاريخ إلا في القرن الحالى، وقام ليختار القادة فاختر قائداً للميمنة وقائداً للميسرة، بل ولما انفضت الجموع في حنين قام الحبيب المصطفى ﷺ رافعاً سيفه في ساحة الوغى وميدان البطولة والشرف، ذلكم الميدان الذي تصمت فيه الألسنة الطويلة، وتخطب فيه السيوف والرماح على منابر الرقاب .

وقف الحبيب المصطفى ﷺ يوم أن انفض الأبطال والقادة ليعلن بأعلى صوته قائلاً: «أنا النبيُّ لا كذبُ أنا ابنُ عبدِ المطلبِ». «اللَّهُمَّ نَزَلْ نَصْرَكَ».

قال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأسُ نتقى به وإن الشجاع منا الذي يحاذى به (يعنى رسول الله ﷺ) (١).

وهو أب وزوجٌ ورب أسرة كبيرة تحتاج إلى كثيرٍ من النفقات، من نفقات الفكر.. من نفقات الشعور.. من نفقات التربية.. من نفقات النصح.. فضلا عن نفقات المال. فيقوم الحبيب المصطفى ﷺ بهذا الدور على أعلى نسقٍ شهدته الأرض، وعرفه التاريخ.

وهو إنساني من طراز فريد كأنه ما خلق إلا ليزيل الدموع، كأنه ما خلق إلا لي مسح الآلام عن القلوب.. يمنح الناس وقته، وفكره، وعقله، وماله، ونصحه، وروحه وشعوره كأنه ﷺ ما خلق إلا ليعد الناس في الدنيا قبل الآخرة.

وهو قبل كل ذلك، وبعد كل ذلك قائم على أعظم وأشرف دعوة شهدتها الأرض، أخذت عقله، وفكره، وروحه، ودمه.

فيقوم المصطفى ﷺ بهذه الأدوار كلها كأنه ما خلق إلا لكل دورٍ من هذه الأدوار، ليقوم به على أعلى نسقٍ وأكمل صورة.

(١) رواه البخارى (٢١/٨ - ٣٧) فى المغازى، وفى الجهاد، باب من قاد دابة غيره فى الحرب، ومسلم رقم (١٧٧٦) فى الجهاد، باب غزوة حنين، والترمذى رقم (١٦٨٨) فى الجهاد، باب ما جاء فى الثبات عند القتال.

فلقد بعث الله نبيه المصطفى ﷺ قدوةً طيبةً فقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

والسؤال الآن: هل بعث الله نبيه المصطفى لتكون سيرته قصةً تُتلى في يوم من أيام شهر ربيع؟! ما أرخصه من حب!!
ما أرخصه من اتباع وما أرخصه من تقدير!!
أمة والله لا تعرف قدر نبيها!!

هل بعث الله نبيه المصطفى ﷺ لتكون سيرته قصةً تُتلى كقصة أبي زيد الهلالي!!؟ وكأننا ما كلفنا أن نحول هذه السيرة في حياتنا إلى واقع عملي ومنهج حياة .

حاول أعداء الأمة أن يحولوا بين الأمة وبين رسولها . . أن يحولوا بين الأمة وبين سيرة النبي العظيم الخاتم؛ لتظل سيرة النبي في حياة الأمة قصةً تُتلى، وحكاية جميلة ترددها الألسنة، وقصائد مزوقة، وكلمات منمقة، يحتفل بها عليّة القوم وسادة الناس .

تحتفل الأمة برسول الله ﷺ عبر قصيدة، أو عبر أبيات شعرية، أو عبر خطبة رنانة، أو عبر ندوة طنانة، أو عبر ليلة ماجنة . . . ليلة يؤتى فيها براقص يسمونه «مَدَّاحًا» يقف هذا الراقص بين جموع تصرخ، وترقص!!

ليس في بلادنا من الفقراء من هم في أمس الحاجة إلى هذا المال . . اتقوا الله يا أيها الناس والله إنه الكذب . . إنه الكذب . . إنه الدجل . . ينفق في ليلة من هذه الليالي الآلاف بحجة أننا نحتفل بذكرى رسول الله ﷺ . . نحتفل بذكرى رسول الله بالموسيقى والغناء ومزامير الشيطان . . إنه الدجل بعينه . . بدعة منكرة لا أصل لها ولا وجود .

والله ما فعل ذلك أبو بكر . . . والله ما فعل ذلك عمر . . . والله ما فعل ذلك عثمان . . . والله ما فعل ذلك علي . . . إن الإحتفال برسول الله ﷺ لا يتمثل في هذه الليالي الساهرة الماجنة التي يختلط فيها الشباب بالفتيات وترتكب فيها جُل المحرمات وإنا لله وإنا إليه راجعون .

أهذا هو الحب لرسول الله ﷺ !؟

أهذا هو الحب يا عباد الله !!؟

أيها الأحبة: لا يعلم قدر رسول الله إلا الله جل وعلا، فأنزل الله القرآن ليربي ويعلم أصحابه وليعلم المسلمين من بعدهم كيف يعاملون رسول الله ﷺ وكيف يوقرون رسول الله ؟ وهو عنصرنا الثاني من عناصر هذا اللقاء القرآن يعلم ويربي :

قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ② إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

عظيم ﴿ [الحجرات: ١-٣]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : أي لا تقولوا خلاف الكتاب

والسنة

قال مجاهد: أي لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على

لسان رسوله ﷺ .

قال الضحاك: أى لا تفضوا شيئاً من شرائع دينكم دون الله ورسوله ﷺ .

قال القرطبي : لا تقدموا قولاً ولا فعلاً على قول الله وعلى قول وفعل رسول الله ﷺ ، فإن من قدم قوله وفعله على قول وفعل رسول الله ﷺ فإنما قدمه على الله لأن رسول الله ﷺ إنما يأمر بما أمر الله عز وجل به .

قال الشنيطي: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ويدخل في ذلك دخولا أولياً تشريع مالم يأذن به الله، وتحريم مالم يحرمه، وتحليل مالم يحلله، إذ لا حلال إلا ما أحله الله على لسان رسوله ﷺ ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ .

والسؤال الآن: هل امتثلت الأمة أمر الله فتأديت مع رسول الله ﷺ؟!!

هل امتثلت الأمة أمر الله فلم تقدم قولها وحكمها وفعلها على حكم وقول وفعل رسول الله ﷺ؟!!

والجواب: لا، والواقع خير شاهد .

وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء أرجىء الحديث عنه إلى ما بعده جلسة الاستراحة وأقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صلّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام:

« الواقع خير شاهد »:

نعم أيها المسلمون : إن واقع الأمة خير شاهد على أن الأمة لم تمثل أمر الله وأمر رسوله .

أمة تدعي أنها تحتفل برسول الله ﷺ في شهر ربيع في الوقت الذي نحتّ فيه شريعته وسخرت فيه من سنته !!

هل هذا حب !!؟ هل هذا احتفال !!؟

أين السنة !؟ أين شريعة رسول الله ﷺ !؟

هل تعلمون أن الأمة الآن قد حكمت في الأموال والأعراض والدماء والفروج القوانين الوضعية الفاجرة الجائرة وعطلت شريعة النبي المصطفى

ﷺ !؟

إن الأمة قد عطلت كتاب الله !! وعطلت سنة رسول الله ﷺ !! واستبدلت بالعبير بعرأ، بالثريا ثرى، وبالرحيق المختوم حريقاً محرقة مدمراً.

أين الأمة من دماء تسفك !؟ وأشلاء تمزق !؟ وأعراض تنتهك !؟

ومقدسات تدنس !؟ وهي تغني لرسول الله ﷺ !!!؟

والله إنها أمة لا تستحي . . أين الأمة من قول رسول الله ﷺ :
 « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ ،
 إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » (١) .
 المسلمة في البوسنة تصرخ ، والمسلمون في بلاد المسلمين يأكلون
 عروسة المولود!! المسلمة في البوسنة ينتهك عرضها ولا زال الكبار
 يرقصون ويغنون بحب الرسول ﷺ !!

أين أنتم من رسول الله ﷺ ؟! أين أنتم من محبته ﷺ ؟!
 المسلمة من أربع سنوات تصرخ، وأخيراً قالت: أيها المسلمون إن
 عجزتم عن مدنا بالسلاح فأمدونا بحبوب منع الحمل حتى لا تعظم
 المصيبة !!

أين المسلمون الراقصون ؟! أين المسلمون الذين يتغنون في الليل
 والنهار ؟!! المسلمة في البوسنة تصرخ وتقول:

أَنَا لَا أُرِيدُ طَعَامَكُمْ وَشَرَابَكُمْ	فَدَمِي هُنَا يَا مُسْلِمُونَ بِرَاقُ
عَرْضِي يُدْنَسُ أَيْنَ شِيمَتِكُمْ	أَمَا فِيكُمْ أَبِي قَلْبُهُ خَفَاقُ
أُحْتَاهُ... أُمَّتُنَا الَّتِي تَدْعُونَهَا	صَارَتْ عَلَى دَرْبِ الْخُضُوعِ تُسَاقُ
أَوْدَتْ بِهَا قَوْمِيَّةٌ مَشْنُومَةٌ	وَسَرَى بِهَا نَحْوُ الضِّيَاعِ رِفَاقُ
إِنْ كُنْتُ تَنْتَظِرِينَهَا فَيَتَّهِي	نَفَقٌ مِنْ بَعْدِهِ أَنْفَاقُ
فَاهْدِ إِلَى الرَّحْمَنِ كَفَّ تَضْرُعُ	فَلَسَوْفَ يَرْفَعُ شَأْنَكَ الْخَلَاقُ
لَا تَيَاسِي فَأَمَامَ قُدْرَةِ رَبِّنَا	تَضَاعَلُ الْأَنْسَابُ وَالْأَعْرَاقُ

(١) رواه البخاري (٣٦٦/١٠) في الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ومسلم
 رقم (٢٥٨٦) في البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

يا من احتضنت طفلك في صدرك، وضحكت ملء فمك، وأكلت
ملء بطنك لقد أخذَ الطفل من أحضان أمه على أرض البوسنة، بل في
أرض الصومال .

والله الذي لا إله غيره رأيت بعيني على شاشات التلفاز في أمريكا
منظراً يخلع القلب رأيت امرأة صومالية خرجت في ظل هذه الحرب
الطاحنة وخرج معها أبنائها في صحراء مقفرة، نفذ الطعام، ونفذ
الشراب، وسقطت الأم من الإعياء وهي تحمل رضيعها، وتحمل طفلاً
آخرًا على ظهرها وأطفالها يجرون ثيابها من خلفها، تمشي هذه الأم في
الصحراء ونامت وطال نومها فقبض الله روحها وماتت، وانطلق الأطفال
يبحثون عن طعام وشراب، فلما لم يجد الأطفال طعاماً ولا شراباً انطلق
الأطفال يفتشون عن ثدى الأم، فالتقموا الثدي فلما جف الثدي ولم يعد
يعطي لبناً، انطلق الأطفال يبحثون عن شيء آخر، فلم يجدوا، فانقضوا
على لحم أمهم ليأكلوه !!

هذه صورة في الصومال على مرأى ومسمع من العالم كله .

وفي البوسنة ينتزع الطفل ليشوى ويبيع أمام أمه . . . طفل يباع
أمام أمه !!

أطفالنا ناموا على أحلامهم	وعلى لهيب القاذفات أفاقوا
أطفالنا بيعوا وأروبا التي تشري	ففيها راجت الأسواق
أين النظام العالمي... أماله أثر	ألم تنعق به الأبواق
يا مجلس الأمن الذي في ظله	كسر الأمان وضيع الميثاق
أو وما يحركك الذي يجري لنا	أو ما يثيرك جرحنا الدفاق
يعفى عن الصرب الذين طغوا	وتجبروا ويفرد بالعقاب عراق
وحشية يقف الخيال أمامها	متضائلاً وتمجها الأذواق

أين الذين يغنون ويرقصون بحب رسول الله ﷺ !!؟
 أين هم من هذه المآسي المروعة في الصومال في الشيشان في
 طاجكستان، في تركستان، في كشمير، في الفلبين، في كل مكان .

فَقِي كُلِّ بَلَدٍ عَلَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ يَنْهَدُ مِنْ هَوْلِهَا رَضْوَى وَسَهْلَانُ
 ذَبِيحٌ وَصَلْبٌ وَتَقْتِيلٌ بِأَخْوَاتِنَا كَمَا أَعَدَّتْ لِتُسْفِي الْحَقْدَ نِيرَانُ
 يَسْتَصْرَحُونَ ذَوِي الْإِيمَانِ عَاطِفَةً فَلَمْ يُغْنِهِمْ يَوْمَ الرَّوْعِ أَعْوَانُ
 فَهَلْ هَذِهِ غَيْرَةٌ أَمْ هَذِهِ ضِعَّةٌ لِلْكَفْرِ ذِكْرٌ لِلْإِسْلَامِ نَسِيَانُ

وأخيراً:

« هذا هو الحب أيها المحب » :

فرق كبير بين حب مبني على الابتداء وحب مبني على الاتباع .
 فالحب الصادق هو الذي يبني على الاتباع . . امتثال أمر النبي
 ﷺ، واجتناب نهْي النبي ﷺ والوقوف عند حدود النبي ﷺ .
 يقول النبي ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبُّ
 إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَوَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (١) .
 لا يكتمل الإيمان في قلبك إلا إذا كان حبك للنبي يفوق حبك
 لولدك . . . لوالدك . . . للناس أجمعين، بل لنفسك التي بين جنبيك .
 فليسأل كل منا نفسه الآن :

هل أنا أحب رسول الله ﷺ أكثر من حبي لولدي ؟

لا تخدع نفسك . . كن صادقاً مع نفسك وابحث عن إجابة دقيقة

(١) رواه البخاري في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان رقم (١٤)، ومسلم رقم (٤٤) في الإيمان، باب وجوب محبة النبي ﷺ، والنسائي فيه أيضاً (٨/١١٤، ١١٥) باب علامة الإيمان، وابن ماجه في المقدمة رقم (١٦٧).

لهذا السؤال .

هل حب رسول الله ﷺ في قلبك يفوق حبك لوالدك؟!؟

هل حب رسول الله ﷺ في قلبك يفوق حبك لنفسك التي بين

جنبيك؟!؟

ففي صحيح البخاري عن عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ

وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب .

فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي

فقال النبي ﷺ: « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من

نفسك » .

فقال له عمر: والله لأنت أحب إلي من نفسي .

فقال النبي ﷺ: « الآن يا عمر »

والمراد أنه لا يكمل إيمان العبد حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من

نفسه التي بين جنبيه فضلا عن ماله وأهله وولده .

أحبتني في الله : إن المحبة الصادقة ليست كلمة تقال باللسان

فحسب. فما أسهل الادعاء، ولكن المحبة الحقيقية هي اتباعه ﷺ واقتفاء

أثره وامثال أمره، واجتناب نهيه، فإن المحب لمن يحب مطيع .

وقد ذكر العلماء علامات لمعرفة محبة النبي ﷺ نذكر أهمها باختصار

من أهم العلامات لمعرفة محبة النبي ﷺ .

* فقد رؤيته أشد من فقد أي شيء آخر في الدنيا .

بمعنى أنه لو خير بين رؤية النبي ﷺ إن كان ذلك ممكنا وبين أن يفقد في

سبيل ذلك أي شيء هام من أغراض الدنيا لاختار أن يرى حبيبه ﷺ .

* يتمنى حضور حياته عليه الصلاة والسلام كي يبذل نفسه وماله دونه .

* يمثل أوامره ويجتنب نواهيه .

* ينصر سته ويذب عن شريعته .

ولقد ضرب الصحابة الكرام أروع الأمثلة لأسمى مراتب الحب لرسول الله ﷺ وأكتفي بهذا المشهد المهيب لهذا الصحابي الجليل الذي يعلمنا درساً في الحب الصادق ليس له نظير .

ها هو خبيب بن عدي - رضي الله عنه - يصلبه المشركون في مكة ويحتشدون حوله في شماته ظاهرة ويشحذ الرماة رماحهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر في جنون ووحشية، فالتفت إليهم خبيب - رضي الله عنه - قائلاً: دعوني أركع ركعتين، فتركوه فضلاهما فلما سلم قال: والله لولا أن تقولوا أن ما بي جزع لزدت .

ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدءاً ولا تبق منهم أحداً فاقترب منه أبو سفيان قائلاً: أيسرُك أن محمداً عندنا نضرب عنقه وإنك في أهلك ؟

فقال : لا والله ما يسرُّني أني في أهلي وأن محمداً ﷺ في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه^(١) .

بالله هل في لغة البشر من الكلمات ما نستطيع أن نعبر بها عن مدلول هذا الحب ؟

وجوابي: اللهم لا . ألا فلندع المشهد بروعته وجلاله يعمل في القلوب عمله دون تدخل أو تعليق !!

أيها الأحباب هذا هو الحب والحديث عن محبة الصحب الكرام

(١) انظر القصة كاملة في خير غزوة الرجيع في صحيح البخاري في كتاب المغازي رقم (٤٠٨٦) باب غزوة الرجيع ورعل زكوان وبثر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن الثابت وخبيب وأصحابه . ومسنند أحمد (٧٩١٥)، وابن سعد (٥٥/٢)، وغيرهم وانظر أيضا زاد المعاد (٣/٢٤٤، ٢٤٥) ط. مؤسسة الرسالة .

لرسول الله ﷺ حديث طويل جميل فعلينا أن نراجع أنفسنا بصدق .
أين نحن من هؤلاء الأطهار؟؟
وهل نحن حقاً محبوبون للحبيب المصطفى ﷺ؟!
أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعنا بالحبيب المصطفى ﷺ
وأن يسقينا بيده الشريفة شربة هنيئة لانظماً بعدها أبدا حتى نستمتع
بالنظر إلى وجه الله جل وعلا . . .
. . . الدعاء



وقف مع النفس



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة فكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته .

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .
أما بعد فحياكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء، وأيها الأخوة الأحباب الكرام، وطبتم جميعاً وطاب ممشاكم وتبواتم جميعاً من الجنة منزلاً .

وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتني في الله:

عام هجري جديد قد أهل علينا اليوم بذكرياته الكريمة التي تثير

الجراح والأفراح . . والآلام والآمال في آن معاً .
ولست متحدثاً اليوم عن الهجرة فقد تحدثنا مراراً في أعوام ماضية
عن الهجرة .

عام يهمل علينا . . وعام مضى . . فيها هي الأيام تمر والأشهر تجري
وراءها تسحب معها السنين، وتجر خلفها الأعمار وتطوي حياة جيل بعد
جيل ، وبعدها سيقف الجميع بين يدي الملك الجليل ليسألنا عن الكثير
والقليل مصداقاً لقوله سبحانه :

﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

[الزلزلة: ٧، ٨]

من نفيس ما قاله لقمان الحكيم لولده: أي بني إنك من يوم أن
نزلت إلى الدنيا قد استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة !!

فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها!!

وكان توبةُ بن الصِّمَّة - رحمه الله تعالى - من أشد الناس محاسبة
لنفسه فلما بلغ الستين من عمره تقريباً. عد أيام سنواته التي مضت
فوجدها تزيد على واحد وعشرين ألف يوم .

فصرخ وقال: ياويلاه . . ياويلاه!!

ألقى ربي بواحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم آلاف

الذنوب !!؟

والناس صنفان:

صنف حاسب نفسه وانتصر عليها وقهرها وجعلها مطية إلى الجنة!!

وصنف ظفرت به نفسه وانتصرت عليه نفسه وأمرته بالشهوات والنزوات

فامثل أمرها فقادته إلى النار!!

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٣٧) وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧-٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشعر: ٧-١٢].

عام مضى وانتهى ولن يعود إلى يوم القيامة، فأبعدنا عن الدنيا عاماً . . . وقربنا إلى الآخرة عاماً .

فأحببت أن يقف كل واحد منا مع نفسه وقفه صدق ليحاسبها الآن حساب الشريك الشحيح قبل أن يُحاسب بين يدي الله جلَّ وعلا يوم القيامة. ولذا فإن عنوان لقائنا اليوم مع حضراتكم «وقفة مع النفس»

وكما تعودنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعاً فسوف ينتظم حديثي مع حضراتكم تحت هذا العنوان في العناصر التالية:

أولاً: النفس في القرآن الكريم .

ثانياً: محاسبة النفس .

ثالثاً: مشقة الحساب يوم القيامة .

وأخيراً: أفق ياسابحاً في بحار الغمرات!!

فأعزني قلبك وسمعك أيها الكريم فإن هذا الموضوع والله من الأهمية والخطورة بمكان .

أولاً: « النفس في القرآن » :

لقد وصف الله النفس في القران بثلاث صفات، وهي النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء .

قال تعالى في حق النفس المطمئنة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]

والنفس المطمئنة هي النفس التي اطمأنت بالرضا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .

هي النفس التي اطمأنت إلى أمر الله ونهيه .

هي النفس التي اطمأنت إلى وعد الله وخافت من وعيده . هي النفس التي اطمأنت بذكر الله وعبادته وعبوديته .

هي النفس التي اشتاقت لربها جلّ وعلا .

والنفس اللوامة هي النفس التي قال الله في حقها بل وأقسم بها في

قوله: ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ [القيامة: ١-٣]

والنفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها على الخير والشر .

تلوم صاحبها على الخير لماذا لم تكثر منه !؟

تلوم صاحبها على الشر لماذا وقعت فيه !؟

قال الحسن: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه في كل حالاته ،

أما الفاجر فإنه يمضي قدماً لا يعاتب نفسه!! .

فالمؤمن يحاسب نفسه ويعاتب نفسه . أما الفاجر فيرى نفسه في

أعلى عليين وفي أكمل درجات التمام والكمال .

أما النفس الأمارة بالسوء فهي التي قال فيها ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴿[يوسف: ٥٣]

وهذه النفس هي التي تأمر صاحبها بالشر والمعصية دوماً! وتريد أن تخرجه من طريق الهداية إلى طريق الغواية والضلال!!
هذه النفس إن أهملها صاحبها وأهمل حسابها قاداته إلى الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.

وإن استعان بالله جل وعلا ووقف لها بالمرصاد وحاسبها محاسبة الشريك الشحيح قاداته إلى الفلاح في الدنيا والآخرة .
وهذا هو العنصر الثاني:

« محاسبة النفس » :

قال الله جلا وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْتَظِرْ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - :
يأبها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا!!
وتزينوا للعرض الأكبر يوم لا تخفى منكم خافية . فإنما يخف الحساب يوم القيامة عن حاسب نفسه في الدنيا .

وقال ميمون بن مهران :

لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه محاسبة الشريك الشحيح .

وقال الحسن البصرى :

إن المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة .
نعم أيها الأجاب، فالمسلم إذا حاسب نفسه في الدنيا قبل أن

يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال بين يدي الله
جوابه .

والمحاسبة نوعان: محاسبة قبل العمل ومحاسبة بعد العمل .

محاسبة قبل العمل : لمن أعمل؟ وكيف أعمل؟!

لماذا عملت؟! لماذا تكلمت؟ لماذا صَمْتُ؟ لماذا أُجِبت؟! لماذا

أبغضت؟! لماذا واليت؟! لماذا عاديت؟! لماذا أعطيت؟! لماذا منعت

؟! لماذا أتيت؟! لماذا دخلت؟! لماذا خرجت؟!!

هل تبتغي بعملك وجه الله؟! ثم هل كان عملك هذا موافقا هدي

رسول الله ﷺ؟

فالسؤال الأول عن الإخلاص، والسؤال الثاني عن المتابعة .

فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً .

والخالص هو ما ابتغيت به وجه الله والصواب هو ما وافقت به

هدي الحبيب رسول الله ﷺ .

ومحاسبة بعد العمل : إن المؤمن يشمر عن ساعد الجد والطاعة

فإن رأى نقصاً أتمه، وإن رأى قدمه قد زلَّت في حُفْرِ المعاصي وبرك

الذنوب تاب وأتاب إلى علام الغيوب .

إن رأى أنه مع الغافلين ومن الغافلين تذكر رب العالمين وعاد إلى

الله سبحانه وتعالى فهو يحاسب نفسه على كل شيء!! يحاسب نفسه

على ما تكلم به لسانه، أو مشى رجلاه أو سمعت أذناه .

مصدقاً لقول مولاه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

فالمؤمن الصادق هو الذي يحاسب نفسه على كل شيء . المؤمن

الصادق دائما يتهم نفسه بالتقصير ولا يرى للنفس فضلا ولا خيراً إلا برحمة الله له .

الأخ الحبيب الكريم: حاسب نفسك الآن وقل لها، يا نفس إن العمر هو بضاعتي فإن ضاع العمر فقد ضاع رأس المال ولن أربح أبداً .
يا نفس لقد أمهلني الله في هذا اليوم الذي أحياء وأعيش فيه الآن .
وإذا توفاني فربما تمنيتي الرجعة لتعملي صالحاً .

فتوهمي يا نفس أنك قد طلبت الرجعة من الله وأعادك الله جلّ وعلا فلا تضيعي هذا اليوم واعملي صالحاً قبل أن تقولي كما جاء في كتاب الله: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

فيأتي الجواب كالصفحة «كلا» قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩]

ويحك يا نفس!! إن كنت قد تجرأت على معصية الله وأنت تعتقدين أن الله لا يراك فما أعظم كفرك بالله !! .

ويحك يا نفس!! إن كنت قد تجرأت على معصية الله مع علمك أن الله يراك فما أشد وقاحتك وأقل حيائك من الله .

ويحك يا نفس!! هل تعرفين قدر نعمة الإسلام!!

يا نفس هل عشت بالإسلام وبذلت للإسلام!!

يا نفس هل حققت التوحيد لله جلّ وعلا!!

يا نفس هل استعنت بالله في كل أمر!!

يا نفس هل أخلصت العبادة لله وحده!!

يا نفس هل أذعنت لشرع الله وحده!!

يا نفس هل حافظت على الصلاة!!

هل حافظت على صيام رمضان، هل حافظت على الزكاة والحج
مع قدرتك!!

يا نفس هل حرصت على بر الوالدين. يا نفس هل صدقت الوعد
ووفيت العهد!!

يا نفس هل أعطيت من حرمك ووصلت من قطعك. وعفوت
عمن ظلمك!!

يا نفس هل أحسنت إلى الجيران؟ هل أحسنت إلى الناس في كل
مكان؟ هل تخلقت بأخلاق الإسلام؟ هل حرصت على قراءة القرآن؟
هل حرصت على قيام الليل لله جل وعلا!!

ويحك يا نفس إلى متى تعصين وعلى الله تجترئين؟!

يا نفس إن القبر بيتك، والتراب فراشك، والدود أنيسك، والموت
موعذك!!

ويحك يا نفس أما تنظرين إلى أهل القبور، كانوا كثيراً وجمعوا
كثيراً فأصبح جمعهم بوراً، وبنيانهم قبوراً، وأملهم غروراً!!
ويحك يا نفس أمالك إليهم نظرة!!؟

أما لك فيهم عبرة!! أنظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من
المخلدين!! هيهات . . هيهات . . ساء ماتوهمين!!

ويحك يا نفس . . كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب!!

ويحك يا نفس . أما تخافين من سوء الخاتمة!!

ويحك يا نفس أما تخافين من عذاب القبر وأيامه . . أما تخافين من
سكرات الموت وآلامه . . أما تخافين من الحساب ودقته . . أما تخافين من
الصراط وحدته!!

أما تخافين من النار والأغلال والأهوال !!
 أما تخافين أن تمحجبي عن النظر إلى وجه الكبير المتعال !!
 ويحك يا نفس .. اعلمي قبل أن لا تعلمي !!!
 وحاسبي قبل أن تمحاسبي !!!
 فإن الوقوف بين يدي الله طويل .. وإن الحساب عسير .. وإن
 الخطب كبير !!

وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء
 « مشقة الحساب يوم القيامة » :
 أخي الحبيب : هل فكرت في يوم سيتولى حسابك فيه ملك الملوك
 جلّ وعلا !!؟ هل فكرت في هذا المشهد ؟!
 ستخرج من قبرك حافيًا عاريًا كما في صحيح البخاري ومسلم من
 حديث عائشة أن النبي ﷺ قال :
 « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةَ غُرُلًا » (١).
 حفاة: لا يلبسون نعالاً. عرأة: لا يلبسون ثياباً.
 غرلاً: (جمع أغرل) وهو الطفل قبل ختانه !!
 ستحشر إلى الله بهذه الهيئة وتصور معي هذه المشاهد التي تخلع
 القلوب !!

في أرض المحشر والناس في طريقهم للحساب بين يدي الله جل
 جلاله كما في الحديث الذي رواه الترمذي بسند حسن يقول ﷺ :
 « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ صَنِفًا مُشَاةً وَصَنِفًا رُكْبَانًا وَصَنِفًا

(١) رواه البخاري (٤٣٣/١١) في الرقاق، باب الحشر، ومسلم رقم (٩٥٨٢) في الجنة، باب
 فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، والنسائي (٤/٤١١) في الجنائز، باب البعث.

يَمْشُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ» قيل : يا رسول الله ، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال : «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَمْشِيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ» (١)

الله أكبر . . . اللهم سلم . . . سلم يارب العالمين .

صنفًا مشاة يحشرون إلى الله جلَّ وعلا وهم يمشون على أقدامهم .
وصنفًا ركبانا يركبون في هذا اليوم العصيب !؟

نعم يركبون نجائب من نجائب الآخرة عليها سُرج من الذهب ، لا يعرف عظمتها وقدرها إلا من أعدها جل جلال الله .

قال جلَّ وعلا : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً ﴾ [مریم: ٨٥]

وفدأ: أى ركبانا، يركب التقي وهو في طريقه إلى الرب العلي .

وصنفًا على وجوههم !! كيف يمشون على الوجوه !؟

إن الذي أمشى الحية على بطنها بدون أرجل سيمشي الكافر على

وجهه يوم القيامة .

قال تعالى ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصَمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧]

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ

مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٤]

وفي صحيح البخاري من حديث أنس سأل رجل رسول الله ﷺ

فقال: يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟

(١) رواه الترمذي رقم (٣١٤١) في التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل وقال الترمذي: هذا

حديث حسن ، وللحديث شواهد بمعناه يقوي بها .

فقال المصطفى ﷺ: « أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيه عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١).

قال قتادة: بلى وعزة ربنا، إنه لقادر على أن يمشي الكافر يوم القيامة على وجهه. تصور معي هذه المشاهد التي تخلع القلب. صنف من الناس يحشر كما بينا في «سلسلة الدار الآخرة» يحشر والنور يشرق من وجهه، وعن يمينه، ومن بين يديه.

اللهم اجعلنا من أهل الأنوار قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [الحديد: ١٢]

وصنف يحشر ونوره على إبهامه يوقد مرة، ويطفأ مرة، ومنهم من يحشر وهو ينادى في أرض المحشر بالتلبية « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ.. لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ »... من هذا؟! إنه الذي مات بلباس الإحرام في الحج والعمرة، يبعث يوم القيامة

مليئاً كما مات مليئاً .

وهذا ينطلق إلى أرض المحشر وينبعث منه دم، اللون لون الدم، والريح ريح المسك . من هذا؟! إنه الشهيد في سبيل الله جلّ وعلا . ومنهم من يبعث بطنه متنفخة لا يقوى على القيام بل ولا على

الجلوس يتخبط ينام يمنا وينام يسراً . من هذا؟! إنه آكل الربا .

﴿ إِنْ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٣٣) في الرقاق، باب الحشر، وفي تفسير سورة الفرقان، باب قوله: ﴿ الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾، ومسلم رقم (٢٨٠٦) في المنافقين باب يحشر الكافر على وجهه .

وهذا آخر يحشر ومن حوله من الأطفال الصغار يدفعونه دفعاً ويجرونه جراً وقد تعلقوا به!! من هذا؟! ومن هؤلاء؟! إنه أكل أموال اليتامى وهؤلاء هم اليتامى!!

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]

وهذا ينطلق في أرض المحشر وهو يحمل على كتفه ما سرقه في هذه الدنيا!! من سرق بيضة!! من سرق دجاجة!! من سرق نعجة!! من سرق ناقة!! من سرق بنكاً!! من سرق أمة!!

﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦٦]

ومنهم من يبعث وكأس الخمر معلق في يده.

قال المصطفى ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَيَّ مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(١).

هؤلاء جميعاً بهذه المناظر التي تخلع القلوب قد انقادوا لداعية كريم من عند الله جاء ليقود البشرية كلها للحساب بين يدي الملك جل جلاله السؤال همس!! والكلام تخافت!! وجلال الحي القيوم قد غمر المكان والنفوس بالهيبة والعظمة والجلال.

قال سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾

[طه: ١٠٨-١١١]

(١) أخرجه مسلم رقم (٨٧٨٢) في الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

بعد هذا الحشر حساب وعرض!! تصور نفسك الآن بين يدي الله
جلّ وعلا ليحاسبك عن كل ما قدمت .

الملائكة تحيط بك!! البشرية كلها في أرض المحشر!! الأنبياء
والملائكة، الجن، الكل صامت!! الكل خاشع!! وجلال الحي القيوم غمر
النفوس والمكان بالهيبة والعظمة والجلال .

وفجأة : أين فلان بن فلان !؟ ... أنا !؟

هذا هو اسمي . ماذا تريدون يا ملائكة الله ؟

أقبل للعرض على الله جلّ وعلا .

فتتخطى الصفوف يا عبد الله صفوف الملائكة و صفوف الإنس

و صفوف الجن لترى نفسك بين يدي الملك .

يقول المصطفى ﷺ كما في الصحيحين من حديث عائشة :

«مَنْ نُوقِسَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدِّبَ» .

فقال عائشة : يا رسول الله ، ألم يقل الله :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾

[الانشقاق : ٨٠٧]

قال رسول الله ﷺ : «يَا عَائِشَةُ لَيْسَ ذَلِكَ هُوَ الْحِسَابُ إِنَّمَا ذَلِكَ هُوَ

الْعَرْضُ فَمَنْ نُوقِسَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدِّبَ» (١) .

ومعنى العرض : أن الله سيوقفك بين يديه ليعرض عليك الأعمال

(١) رواه البخارى رقم (١٠٣) في العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، وفي

تفسير سورة ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وفي الرقاق ، باب من نوقس الحساب عذب ، ومسلم

رقم (٢٨٧٦) في الجنة ، باب إثبات الحساب ، وأبو داود رقم (٣٠٩٣) في الجنائز ، باب عبادة

النساء ، والترمذي رقم (٢٤٢٨) في صفة القيامة ، باب من نوقس الحساب عذب .

كلها!! يعطيك صحيفة . هذه الصحيفة لم تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسرتها .

فكم من معصية قد كنت نسيتها ذكرك الله إياها !!؟
وكم من مصيبة قد كنت أخفيتها أظهرها الله لك وأبداها !!؟
فياحسرة قلبك وقتها على ما فرطت في دنياك من طاعة مولاك !!
اسمع لحبيبك المصطفى ﷺ وهو يقول كما في الصحيحين من حديث عدى بن حاتم :

« مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيِّئٌ لَهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنْ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١)

فإذا كنت من الصادقين المؤمنين الذين حاسبوا أنفسهم في هذه الدنيا أعطاك الله كتابك بيمينك وقربك منه سبحانه، وأدناك وستر عليك .
يقول المصطفى ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما :

« يُدْنِي الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ عَلَيْهِ كَفَّهُ وَيَقْرُرَهُ بِذُنُوبِهِ وَيَقُولُ: لَقَدْ عَمِلْتَ كَذًّا وَكَذًّا، فِي يَوْمٍ كَذًّا وَكَذًّا، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّ أَعْرِفْ أَعْرِفُ، فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: وَلَكِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ

(١) رواه البخاري رقم (٧٥١٢) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل، رقم (٧٤٤٣) في باب قول الله تعالى: ﴿ وَجْوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ وفي الزكاة، باب الصدقة قبل الرد وأخرجه مسلم رقم (١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، والترمذي رقم (٢٤٢٧) في صفة القيامة باب في شأن القصاص .

في الدنيا، وأغفرها لك اليوم»^(١).

فيعطيك الله كتابك بيمينك فيشرق وجهك، وينبعث النور من أعضائك، ويقال لك: انطلق إلى إخوانك . . إلى من هم على شاكلتك من أهل الأنوار فذكرهم بأن مصيرهم اليوم هو الجنة، فينطلق في أرض المحشر، وكتابه بيمينه، والنور يشرق من وجهه، ومن بين يديه، ومن أعضائه .

فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً .

قال الله جل وعلا : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤]

وإن كانت الأخرى أعادنا الله وإياكم من الأخرى .

أعطاه الله كتابه بشماله أو من وراء ظهره واسودَّ وجهه وكسى من سراويل القطران وانطلق في أرض المحشر يصرخ ويقول :

﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩) خَذُوهُ فَعْلُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُرُ عَلَيَّ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ

(١) رواه البخاري رقم (٢٤٤١) في المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾

وفي تفسير سورة هود، باب قوله تعالى: ﴿ويقول الأَشْهَادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَيَّ رَبِّهِمْ﴾

وفي الأدب، وفي التوحيد، ومسلم رقم (٢٧٦٨) في التوبة، باب توبة القاتل وإن كثر قتله .

غَسِيلِينَ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٧]

دَعَّ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكَانَ حِينَ نَسِيْتَهُ
وَالرُّوحُ مِنْكَ وَدَيْعَةٌ أُوذِعْتَهَا
وَعُرُورٌ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا
اللَّيْلُ فَاَعْلَمَ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا
وَأَذْكَرُ ذُنُوبِكَ وَأَبْكَهَا يَا مُذْنِبُ
بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهُ تَلْعَبُ
سَتَرَدُّهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلِّبُ
دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
أَنْفَاسَنَا فِيهِمَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ

وفي صحيح مسلم من حديث أنس:

ضحك عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجزه.

فقال لأصحابه: «أَلَا تَسْأَلُونِي: مِمَّ أَضْحَكُ؟»

فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ: «أَضْحَكُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ
سُبْحَانَكَ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ فَيَقُولُ رَبُّنَا: بَلَى، فَيَقُولُ الْعَبْدُ:
فَأَنَا لَا أَجِيزُ شَاهِدًا عَلَيَّ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَيَخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيَأْذَنُ اللَّهُ
لأَرْكَانِهِ وَجَوَارِحِهِ أَنْ تَشْهَدَ فَتَنْطِقُ فَتَشْهَدُ عَلَيْهِ فَيُخَلُّ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الكَلَامِ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَلْعَنُ أَرْكَانَهُ وَجَوَارِحَهُ وَيَقُولُ: سَحَقًا لَكُنَّ، فَعَنْكُنَّ
كُنْتُ أَنَاضِلُ» يقول الله جل وعلا:

﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
(٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
أَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا
اليَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ



وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿يس: ٦٥-٦٧﴾

أيها الحبيب: اعلم بأنك لن تترك سُدَى فما خلقت سدى، وما تركت سدى، وما خلقت عبثاً ولن تترك هملاً.

قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]
وقال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

أيها الحبيب: لم الغفلة؟! وإلى متى هذا البعد؟!
إلى متى هذه الغفلة؟! إلى متى هذا الانحراف؟!
أيها الحبيب: أقبل فإن الأنفاس محسوبة، وإن الأيام معدودة وإن أقرب غائب تنتظره هو الموت!!

فيا أيها الوالد ويا أيتها الأخت ويا أيها الأخ ويا أيها الابن الحبيب:
فلنعاهد ربنا أن نمثل أمره، وأن نجتنب نهيه، وأن نقف عند حدوده
وأن نبدأ صفحة جديدة في حياتنا. لأنك لا تضمن متى سيأتيك ملك الموت.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى
كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها الحبيب الكريم:

« وأخيراً : أفق يا سابعاً في بحار الغمرات » :

أيها اللاهي . أيها الساهي . أيها المفرط . . أيها العاصي فلنعد
جميعاً إلى الله، ولنبدأ صفحة طاعة مشرقة مع الله .

فلا تيأس ولا تقنط فإن الفقيه هو الذي لا يُقنط الناس من رحمة
الله ونعوذ بالله ممن يملأ القلوب قنوطاً .

بل إن الله لا يجمع على العبد أمنين أو خوفين، فمن أمّنكَ في
الدنيا عَرَضَكَ للخوف في الآخرة، ومن خوّفَكَ في الدنيا وجهك إن
شاء الله تعالى لحياة الأمان في الآخرة .

فيا أيها الخيار الكرام:

اعلموا أننا عبيده . . وأنه الرحمن الرحيم .

فأقبل على الله سبحانه . واتهم نفسك وقف على عيوبها وأحذر
نفسى وإياك بأن مكمّن الخطر أن تتخدع بنفسك!! وأن تغرك نفسك!!

وأن تظن أنك على الهدى والخير مع تفريطك وتقصيرك . ولقد قالت
عائشة - رضي الله عنها - في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ
اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴿ لو لقيت الله في كل يوم بذنب، فعد أيام عمرك لتقف على حجم الذنوب ولا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر في حق من عصيت .

اتهم نفسك أخي الحبيب، فهذه عائشة الصديقة التي أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات، التي أحبها النبي ﷺ من كل قلبه قال عبدالله بن عمرو كما في صحيح البخاري: مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قال: «عائشة»، قال: من الرجال؟ قال: «أبوها» قال ثم مَنْ؟ قال: «عمر»^(١).

عائشة يسألها رجل ويقول: يا أمه أريد أن أفهم قول الله سبحانه ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]

فقالت عائشة: أي بني، السابق بالخيرات هؤلاء هم الذين سبقوا مع رسول الله وشهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة .
والمقتصد: هم الذين مضوا على أثر رسول الله ﷺ من أصحابه حتى لحقوا به .

والظالم لنفسه: مثلى ومثلك !!!

فقالت: « والظالم لنفسه مثلى ومثلك » فجعلت عائشة - رضي الله عنها - نفسها معنا .

وهذا عمر فاروق الأمة ينام على فراش الموت ويشي عليه ابن عباس

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٨٤)، والترمذي رقم (٣٨٨٥) وقال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أيضاً أحمد في الفضائل (٢١٤) وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٢٣٥) والنسائي في الفضائل رقم (٥) .

خير الشاء .

فيقول عمر: والله إن المغرور من غررتموه، وددت والله لو أن لى ملء الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه. وددت أن أخرج من الدنيا لا لى ولا على .

وخذ هذا المشهد لتابعي علكم إنه سفيان الثوري - رحمه الله - .
لما نام على فراش الموت دخل عليه حماد بن سلمة .
فقال له حماد: أبشر يا أبا عبد الله إنك مقبل على من كنت ترجوه
وهو أرحم الراحمين!!

فبكى سفيان الثوري وقال: يا حماد أستحلفك بالله أتظن أن مثلي
ينجو من النار؟! فلا تغتر بعمل . . ولا تغتر بطاعة . . فنفسك أمانة .
ما وفقت للخير إلا بتوفيقه ومدده فضع أنفك في التراب ذلاً لمولاك .
لا تغتر بجاه . . لا تغتر بمنصب أو كرسي، فلو دام الكرسي لغيرك ما
وصل إليك!! ولا تغتر بمال ولا تغتر بأولاد، ولا بطاعة الله .
وكن دائماً على وجل، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون .
ومع هذا أقبل على الله بجدة ورجولة .

أقبل على طاعة الله امثله أمره واجتنب نهيه وقف عند حدوده ولا
تنشغل بالدنيا، لا تقضي عمرك كله للدنيا، فإن الدنيا إلى زوال وإن
العمر إلى فناء. فمهما طالت دنياك فهي قصيرة!! ومهما عظمت دنياك
فهي حقيرة!! لأن الليل مهما طال لا بد من طلوع الفجر، ولأن العمر
مهما طال لا بد من دخول القبر .

واسمع لهذا النداء العلوي من الرب العلي جلّ وعلا:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]

وفي الحديث القدسي الجليل الذي رواه مسلم والترمذى من حديث أنس واللفظ للترمذى قال المصطفى ﷺ:

«قال الله تعالى: «يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»^(١)

وضع رأسك في الأرض شكراً لله فإنك من أمة الحبيب رسول الله ﷺ فإن أمة النبي ﷺ أمة مرحومة.

وأختم بهذا الحديث الذي رواه مسلم أنه ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٣٦] ﴿[إبراهيم: ٣٦]

وقرأ قول الله في عيسى ﴿إِن تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]

فبكى المصطفى وقال: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي!!»

يا جبريل اذهب إلى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك؟ فاتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله جلَّ وعلا: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نَسُوْكَ^(٢)

(١) رواه الترمذى رقم (٣٥٣٤) في الدعوات باب رقم (١٠٦) وقال: هذا حديث حسن

غريب وذكره الحافظ في «الفتح» وقال رواه ابن حبان في صحيحه

(٢) رواه مسلم رقم (٣٤٦) في الإيمان باب دعاء النبي ﷺ لأُمَّتِهِ وبكائه شفقة عليهم.

فأقبل ولا تخف ما من يوم يمر عليك إلا وربك ينادى كما في صحيح مسلم من حديث أبي موسى أنه رضي الله عنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

أيها الشباب أيها الأحباب عودوا إلى الله وليحاسب كل واحد منا نفسه حساباً شديداً.

فإن محاسبة النفس من أعظم الأدواء التي تنجي صاحبها من الهلاك في الدنيا والآخرة.

وإن إهمال محاسبة النفس من أعظم الأمراض التي تؤدي بهلاك صاحبها في الدنيا والآخرة.

... الدعاء

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٥٩) في التوبة باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة .



عبدة الشيطان



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .



ثم أما بعد :

فحيّاكم الله جميعاً أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأحباب الكرام
الأعزاء، وطبتم جميعاً وطاب ممثاكم، وتبوأتم جميعاً من الجنة منزلاً.
وأسأل الله العظيم الكريم جل وعلا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت
المبارك على طاعته، أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة
المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .
أحبتني في الله :

لا ينبغي للعلماء والدعاة أن يكونوا بموضوعاتهم في وادٍ، وأن تكون
الامة بجراحها ومشكلاتها وأزماتها في وادٍ آخر، ومن هذا المنطلق فإن
لقاءنا اليوم مع حضراتكم بعنوان :

«عبدة الشيطان»

وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان في
العناصر التالية

أولاً: كلمات حزينة!!

ثانياً: تاريخ أسود!!

ثالثاً: عقيدة فاسدة وطقوس شيطانية غامضة.

رابعاً: الشياطين تعترف !!

وأخيراً: الأسباب والعلاج.

فأعيروني القلوب والأسماع، فإن هذا الموضوع من الأهمية والخطورة
بمكان، والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أولئك
الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

أولاً : كلمات حزينة:

مسكين والله هذا الجيل الذي يُنشأ ويربى في ظل حملة هائلة من المتناقضات والأزمات والمشكلات ، وكأنه يعيش في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب، إذا أخرج يده لم يكد يراها .

بل إذا امتدت إليه يد حانية مشفقة طاهرة لتنقذه من هذا الفرق المحقق، جذبته أيادٍ أخرى كثيرة بكثرة الأعداء المتربصين بهذا الجيل ممن لا يريدون لهذا الجيل أن يتربى أبداً على منهج الإسلام وعلى سنة النبي محمد ﷺ بعد سنوات طوال عجاف .

وبعد تجربة مريرة طويلة حان وقت الحصاد، فلن تجن الأمة إلا الفشل الذريع في كل مجالات الحياة يوم أن أعرضت الأمة عن الله جلّ وعلا .

وأيقن الآن المنصفون ممن يحترمون أنفسهم ويحترمون عقولهم، الذين كانوا يدافعون بالأمس القريب عن المناهج التربوية الغربية الدخيلة على عقيدتنا وأخلاقنا وديننا .

أيقن المنصفون منهم أنهم قصدوا سرايا وزرعوا حنظلا ، وحصدوا شقاءً، وتعاساً، وصدق ربي إذ يقول :

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]

إنهم يرون الآن نبتة السوء!!

يرون النبتة التي سقيت طيلة السنوات الماضية بمداد خبيث!!

يرون النبتة التي غذيت طيلة السنوات الماضية بفكر منحرف زائغ ضال ضائع تائه .

تمثل هذه النبتة في مجموعة من شباب هذه الأمة يعبدون الشيطان

الرجيم !! لا في أوروبا ، ولا في أمريكا ، بل في مصر بلد الأزهر ، وأنا لله وأنا إليه راجعون!!

وخرج علينا الإعلام بل وخرج علينا الكثيرون ليقولوا إنهم مساكين!!

إنها شرذمة شاذة خرجت من بين هذه الضغوط التي مورست عليهم في وسط هذا المجتمع!!

يريد الإعلام أن نعتقد أن هذه الجماعة قد خرجت من خلال الصدفة، وأرادوا أن يلبسوا على الأمة ذلك !!

إن جماعة عبدة الشيطان جماعة منظمة لها عقيدة مؤصلة ، ولها طقوس منظمة ، وها هو عنصرنا الثاني بإيجاز لأعرج على العناصر كلها إن شاء الله تعالى .

تاريخ أسود:

أيها المسلمون، لا شك أن الشيطان قد عبد في الأرض منذ أول لحظة كفر فيها الإنسان بالرحمن ، وأطاع فيها الشيطان .

إلا أن أقدم وثيقة وجدت لعبادة الشيطان ترجع إلى العام الثاني والعشرين بعد الألف من ميلاد المسيح - عليه السلام - في مدينة «أورلانس» بفرنسا .

ومن فرنسا خرجت جماعة « فرسان الهيكل » الماسونية مع الحملات الصليبية المبكرة على بلاد المسلمين ، واستطاعت هذه الجماعة أن تنشئ لها كنيسة خاصة لتمارس فيها طقوس عبادة الشيطان لأول مرة في بلاد المسلمين في عام ١١١٨ م ، وذلك في مدينة القدس بفلسطين .

ومن القدس الشريف أخذوا في نشر دعوتهم إلى عبادة الشيطان داخل أوروبا .

ومع هجرة الأوربيين إلى أمريكا الجديدة نقلوا معهم معتقداتهم الفاسدة، وأصبحت أمريكا بعد ذلك مرتعاً خصباً لعبادة الشيطان، بل وقفزت هذه العبادة قفزات هائلة جداً على يد هذا الكاهن الأمريكي الخيث «أنطون لافي».

الذي أنشأ أخطر كنيسة على وجه الأرض تسمى «كنيسة عبدة الشيطان» التي يقدر عدد المنتمين إليها بحوالي خمسين ألف عضو من الشباب والفتيات يتسبون إلى أغنى العائلات !!! ثم أنشأت الكنيسة فروعاً لها في بعض الولايات الأمريكية، وفي بعض المدن الأوربية، وفي جنوب أمريكا.

وأخرجت مبشرين لها ودعاة لفكرها في مختلف أنحاء العالم !! ثم كتب أنطون لافي «الإنجيل الأسود» ونشره في عام ١٩٦٩ بأكثر من لغة في عدة طبعات فخمة فاخرة يدعو فيه إلى عبادة وتمجيد الشيطان وكراهية الملك الرحمن !!

وفي عدد أكتوبر من عام ١٩٨٢ أفردت مجلة التايم الأمريكية موضوعاً في خمس وعشرين صفحة تحت عنوان «عودة الشيطان المقدس إلى الولايات المتحدة الأمريكية»

وقالت : إن عبادة الشيطان تتم ضمن أجواء خاصة في احتفالات أسبوعية دورية تبدأ بالرقص العاري مع الموسيقى الصاخبة، ثم يعلن بعدها البدء في ممارسة الجنس بصورة جماعية مع استمرار الموسيقى الصاخبة والأضواء المتحركة إلى أن يصل الجميع إلى حالة من الهستيريا تُرتكب خلالها بعض الجرائم الشاذة والغامضة !!!

لاحظ أن هذه الصورة قد انتقلت بحذافيرها إلى هؤلاء المجرمين المتمردين في مصر بلد الأزهر !!!

وقد أعلنت الجرائد ذلك، بل وقد صرحت التقارير الأمنية بذلك ونشر ولم يعد هذا خافياً على أحد، وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر هذا اللقاء:

ثالثاً: عقيدة فاسدة وطقوس شيطانية غامضة:

أيها المسلمون، إن هؤلاء المتورين يعتقدون أخبث وأقذر عقيدة على وجه الأرض، إنهم يعبدون الشيطان. ويكفرون بالرحمن الذي حذر من عداوة هذا العدو اللدود.

فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]

وبين سبحانه أن الشيطان سيترأ من أتباعه فقال تعالى:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[إبراهيم: ٢٢]

هم يعتقدون أن الله تعالى قد ظلم إبليس بإخراجه من الجنة !!! وهم يعتقدون أنه لا بد من اتباع إبليس لأنه هو الذي سيخلص العالم من الشر !!! وما ملأ العالم كله بالشر إلا إبليس !!

عقيدة خبيثة !!! عقيدة فاسدة !!!

في طقوس شيطانية يقدمون العبادة للشيطان !!

التي لا تخرج عن الجنس الفاضح وتعاطي المخدرات. فالهدف الرئيسي هو إشباع الغريزة الجنسية بغض النظر عن الوسيلة !!

فهم يبيحون ممارسة الجنس بين الذكور والذكور، وبين الإناث والإناث، وبين الذكور والإناث، ولا يجدون غضاضة في فعل الفاحشة في جثث الموتى أو الاعتداء على الآباء والأمهات والأبناء !!

وتبدأ حفلاتهم بالرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة وسط جو مشبع بالبخور، ودخان المخدرات، ويقوم أعضاء الجماعة بتمديد إحدى الفتيات على الأرض وهي شبه عارية !!

ثم تبدأ الطقوس الخبيثة بذبح خنزير أو دجاجة على جسد الفتاة ثم يلطخون جسدها بالدماء إيماناً بقبول النذر للشيطان !!

ثم يتناوب عليها أعضاء الجماعة لممارسة الجنس الفاضح !!

ثم يلتفون ويدورون حول نجمة خماسية وضعت الشموع السوداء في أركانها، ثم يمرون عليهم كوباً قد ملئ بالدماء، فيرتشفون منه كدليل عملي على ولائهم للشيطان !!

ثم يقومون بهز رؤوسهم بشكل رأسي بصورة هستيرية حتى يصابون بحالة دوار يفقدون فيها الوعي !!!

وها هي بعض الاعترافات الخطيرة لبعض قادة هذا التنظيم الشيطاني في مصر، وهذا هو عنصرنا الرابع:

الشياطين تعترف:

يقول المتهم الأساسي : (وهو شاب في العشرين من عمره في المدرسة الثانوية الإنجليزية بالزمالك) : لقد تلقى المصريون هذه الأفكار من خلال مجموعة من الإسرائيليين !!

فالصهاينة لا يملون من تدمير المؤامرات لتدمير الشباب المصري، فملأوا أرض سيناء الطاهرة بالعاهرات اللاتي أفسدن شباب البدو، ومصصن دمه .

وهم الذين نشروا العاهرات اللاتي يحملن فيروس الإيدز في كل مكان !!

وهم القائمون على صناعة سينما الديانة والدعارة في هوليوود ، ومنها إلى كل مكان !! وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]

إن اليهود هم الذين بدأوا في نشر أفكار و معتقدات هذا المذهب الخبيث في أوساط الشباب المصري عن طريق استدراجهم من خلال الجنس، وتعاطي المخدرات ، والخمور، ومن خلال الحفلات الموسيقية الصاخبة!!

ثم يقنعون هذا الشباب بعد ذلك بمعتقدات هذه الطائفة التي تركز على تقديس وتمجيد ، وعبادة الشيطان وكراهية الرحيم الرحمن .

ثم يقول: وهناك اتصالات وتبادل معلومات بين أعضاء هذه الطائفة في مصر وإسرائيل .

ويقول طالب آخر وهو في كلية الهندسة: نحن نعبد الشيطان

لسببين!!

السبب الأول: لأن الشيطان يبيح المتعة السريعة في الدنيا ، ويبيح كل

ما حرمة الدين!!

والسبب الثاني: هو الخروج عن المؤلف، والظهور بمظهر يختلف عن الآخرين للتمييز عليهم!! .

يقول: فالفتيات مثلا يستخدمن المانيكير الأسود لطلاء الأظافر!!
والرّوج الأسود للشفايف!! ويتعمدن إطالة الأظافر بشكل ظاهر!!
أما الشباب فالمظهر هو الشعر الطويل، والأظافر الطويلة، ورسم
الوشم.

ثم يقول: وقد قمت بتنظيم حفلات قدمت فيها أغاني تمجد
الشيطان، وكل شيء في هذه الحفلات مباح لأن أي شيء تحرمه الشريعة
نمارسه في حفلاتنا بعد رسم النجمة الخماسية المقدسة على الأرض
للرقص حولها!

نبته سوء... وحصاد مر!!

ومأساة مروعة تخلع قلوب الغيورين الصادقين الذين تتقطع قلوبهم
حسرات على أحوال هذه الأمة المسكينة التي يتكالب عليها الأعداء من
شتى أقطار الأرض حتى لا تقوم لها قائمة، بالقضاء على شبابها بل
على سواعدها التي تبنى وتعمر!!!

السؤال الخطير: فما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه النبته
السيئة!!؟

وهذا هو عنصرنا الخامس من عناصر هذا اللقاء.

خامسا : ما الأسباب ؟ والعلاج ..
 السبب الأول: استقالة الأسرة وغياب القدوة.
 أيها الآباء .. أيتها الأخوات .. أيها الأخوة :
 ماذا تقولون لو قلت لحضراتكم إن والدأ قدم استقالة مكتوبة لأسرته
 من تربية أبنائه !!؟

ستضحكون بملء أفواهكم وستقولون: إنه أب مجنون .
 ماذا تقولون، لو قلت لكم، إن أمأ قد قدمت استقالة مكتوبة أو شفوية
 لزوجها من تربية الأبناء ؟! ستتهم بالجنون .
 وهنا أقول: إنكم لو نظرتم نظرة فاحصة مدققة لواقع مُر أليم تحياه
 بيوت المسلمين، لرأيتم استقالة لا أقول فردية بل جماعية من كثير من
 الآباء والأمهات .

استقال الأب عن أعلى وظيفة له!!
 واستقالت الأم أيضا من أشرف وظيفة لها وهي التربية!!
 الطفل ينزل كصفحة بيضاء، وأول الخطوط التي تخط على هذه
 الصفحة تخط في داخل الأسرة وفي داخل البيت
 أين الوالد؟! أين الأم ؟! أين الأب الذي استقال منذ زمن؟!
 أين الأم التي استقالت منذ زمن؟!
 ظن الأب المسكين أن وظيفته أن يكون ممثلاً لوزارة المالية!!
 لقد صرح والد أحد هؤلاء المنحرفين وقال: أنا لم أر ولدى منذ
 سنة!! قلنا ربما كان الوالد مسافراً .

قال: لا لم أكن مسافراً!!
 وقالت أم: أنا لم أدخل غرفة ولدى، ولم أر هذه المناظر إلا الآن!!
 أين الأم؟! أين الأب؟!

انشغل الأب بالوظيفة ، بالتجارات والأموال بالسفر ، بالحل والترحال قد أقول لكم الآن بأنني أعذر كثيراً من الآباء لأن الظروف الاقتصادية تطحن الناس طحنا، فقد لا يجد الوالد رمقاً من الوقت ليوفر لأولاده الحياة الطيبة الكريمة!! هذا صنف .

لكنني أتكلم عن صنف آخر حتى لو تبقى له رمقاً من الوقت في آخر النهار يرجع ليقتل هذا الرمق قتلاً بالمشكك أمام الشيطان الذي جسم على صدورنا في البيوت !!

يجلس ليقضي ما تبقى من الوقت أمام فيلم داعر ، أو مسلسل هابط أو برنامج العالم يغني، وهاهم الأولاد رقصوا وغنوا. أين الأب !؟ . إن جلوس الأب بين أبنائه ولو كان صامتا فيه من عمق التربية ما فيه . فما بالك لو تكلم !؟

لو ذكّر أبنائه بالجنة والنار، لو حل مشكلة . . لو أجاب على تساؤل . . لو أزاح همّاً . . لو خطط لأبنائه في داخل البيت وخارجه . . ماذا ستكون النتيجة؟

وتزداد الكارثة إذا انضمت إلى استقالة الأب استقالة الأم ، فانشغلت الأم المسكينة بالمسلسلات والمباريات والأفلام والضرب في الأسواق واللهث وراء أحدث الموضات والموديلات .

انشغلت الأم وتركت الأبناء وانشغلت عن الأبناء فانطلقوا وهم يشعرون باليتم التربوي ليقفوا من الشوارع ، ومن وسائل الإعلام التي تبث الرذيلة

وَلَيْسَ الْيَتِيمُ مِنْ انْتَهَى أَبَوَاهُ وَخَلَّفَاهُ فِي هَمِّ الْحَيَاةِ ذَلِيلًا
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَرَى لَهُ أُمَّا تَخَلَّتْ أَوْ أَبَا مَشْفُولًا

ويشعر الأبناء حقاً باليتم، فأنا أقول لكم إن غالب فساد الأبناء يرجع في المقام الأول إلى إهمال الأمهات والآباء، إلا ما رحم ربك .
فقد يكون الوالدُ صالحاً، وقد تكون الأمُ سالحة، ويخرج الولد على غير الطريق ، وهذا الاستثناء لا ينقض أصل القاعدة .

فها أنذا أتذكر الآن بيتا هو أظهر بيت في زمانه، الوالد الذي يقوم فيه على التربية نبي من أنبياء الله، ومع ذلك خرج ابن هذا النبي كافرا مشركا بالله جل وعلا:

﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤٢) قَالَ سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴿ [مرد: ٤٢، ٤٣]

وفي المقابل أرى بيتا هو أخبث بيت على وجه الأرض في زمانه إنه بيت فرعون يقوم على أمر التربية فيه طاغوت يقول: «أنا ربكم الأعلى» . . ومع ذلك خرج من هذا البيت نبي الله موسى عليه السلام الذي قال الله جل وعلا: ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٤١]

لكن غالب فساد الأبناء يرجع إلى إهمال الأمهات والآباء .

أيها الآباء الفضلاء: كما أن للوالدين حقوقا على الأبناء فإن للأبناء حقوقا على الآباء .

وما أروع ما أصَّله فاروق الأمة عمر يوم أن جاءه والد يشكو إليه عقوق ولده فقال : أتني به فجاء الشاب فوقف بين يدي عمر .
فقال له : لم تعق والدك؟

فقال الشاب: ما حقي على أبي يا أمير المؤمنين!؟
قال: حَقُّك عليه أن يحسن اختيار أمك ، وأن يحسن اختيار اسمك ،
وأن يعلمك القرآن .

فقال الشاب : والله ما فعل أبي شيئا من ذلك يا أمير المؤمنين .
فالتفت عمر إلى الوالد وقال : لقد عرفت ولدك قبل أن يعقك
ولذلك!!

عقوق متبادل !!!

إن إهمال الوالدين للأبناء لم يضر الأبناء فحسب بل يضر الآباء قبل
الأبناء في الدنيا والآخرة قال تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٦]

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال :
« كَلِّمُوا رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَإِلَامَامٌ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،
وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا
وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (١)
فإن غش الراعي الرعية حرم الله عليه الجنة .

ففي الصحيحين من حديث معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال :
« مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيَهُ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ
إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » (٢) .

(١) رواه البخاري (٧١٣٨) في الأحكام في فاتحته، وكذلك في الجمعة والاستقراض والعنق
وفي الوصايا ، وفي النكاح، ورواه مسلم رقم (١٨٢٩) في الإمارة باب فضيلة الإمام
العادل، والترمذي رقم (١٧٠٥) في الجهاد ، باب ماجاء في الإمام ، وأبو داود رقم
(٢٩٢٨) في الإمارة ، باب ما يلزمه الإمام من حق الرعية .

(٢) البخاري (١٣/١١٢) في الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح، ومسلم رقم
(١٤٢) في الإيمان ، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، وفي الإمارة، باب فضيلة
الإمام لعادل ، وأخرجه أيضا أحمد في مسنده (٥ / ٢٥ ، ٢٧) .

فاستقالة الأسرة وغياب القدوة أمر خطير!! الولد الذي يرى أباه لا يصلي كيف يتعلم الصلاة؟!، إلا إذا وفقه المولى جل في علاه.
البنات التي ترى الأم متبرجة مستهترة لا تخلص لزوجها كيف ستتعلم الفضيلة؟

مَشَى الطَّائِوسُ يَوْمًا بِاخْتِيَالٍ فَقَلَّدَ مَشِيَّتَهُ بَنُوهُ!!
فَقَالَ عَلَامٌ تَخْتَالُونَ؟ قَالُوا لَقَدْ بَدَأَتْ وَنَحْنُ مُقَلِّدُونَ
يَشِبُّ نَاشِئُ الْفَتْيَانِ مَنًّا.. عَلَيَّ مَا قَدْ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

العلاج: أن تعي الأسرة مسئولية التربية، وأن يتقي الله الوالدان، وأن يعلما يقينا أنهما مسئولان بين يدي الرحمن جل وعلا.
أسأل الله أن يستر عليّ وعليكم في الدنيا والآخرة.
السبب الثاني: المناهج التعليمية الحديثة.

إن المناهج التعليمية الحديثة في مدارسنا وجامعاتنا تحسن أن تعلم الجيل المعارف والمعاني، والعلوم، ولكنها لا تحسن أن تعلم عيونهم الدموع ولا قلوبهم الخشوع.

قد يدرس الشاب أربع سنوات لا يجد آية تقربه إلى الله!!!
لا يجد قدوة بين يديه يذكره بالله.

فالعملية التعليمية تحتاج إلى مراجعة. اختلاط مدمر!! وأعتقد أنه قد آن الأوان أن يحترم كل منصف نفسه، ولا يقول بأن الاختلاط سيخفف حدة الكبت الجنسي عند الصنفين والنوعين، فهذا هي نتيجة الاختلاط!!

نقدم النار فنقربها من بنزين يضطرب ونقول إياك أن تشتعل.

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ إِيَّاكَ.. إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ

أمر عجيب: شاب له غريزته، له شهوته. شابة أو فتاة لها غريزتها لها شهوتها.. متزينة.. متجملة.. كأنها ما خرجت إلا لمسرح

أولسينما، ما خرجت إلى «الحرم» الجامعي كما يقولون !!!

ماذا تنتظرون يا سادة بعد هذا !!؟

الصحابة وهم أصحاب أظهر القلوب على وجه الأرض بعد الأنبياء أمرهم الله جل وعلا، إذا كلموا أمهات المؤمنين أن يكلموهن من وراء حجاب: ﴿إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾

[الأحزاب: ٥٣]

إن قلنا أن الإسلام حرم الاختلاط . قالوا: هذا عين التطرف !!

انظروا إلى التاريخ الإسلامي في كتب أبنائنا !!؟

أين سير الصحابة في كتب التعليم !!؟

حذفت من كتب أبنائنا قصة الفدائي الصغير لعلي بن أبي طالب يوم

أن فدا النبي ﷺ ليلة الهجرة .

قلت :لعلهم وضعوا الفدائي الكبير أبو بكر أو رسول الله ﷺ ، وإذا

بهم في مثل هذا الموضع يضعون قصة مخترع السينما . بدلا من علي

ابن أبي طالب !!!

والله لا نقول هذا للإثارة أبدا، وإنما أحمل الجميع المسئولية أمام الله

فمحال أن يخلوا هذا الجمع الكبير المهيب من مسئول له كلمة تسمع

فاتق الله أيها الحبيب وقل قَوْلُهُ حق بأسلوب طيب رقيق رقيق رقيق، لعل

الله أن ينفع بقلمك ، لعل الله أن يرفع بنصيحتك الضرر الكبير عن

أبنائنا وبناتنا ، وبالجملة عن هذه الأمة المسكينة .

وأكمل الحديث عن الأسباب والعلاج

بعد جلسة الاستراحة ، وأقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه، وخليله، أذى الأمانة وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، فكشف الله به الغمّة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته، ورسولا عن دعوته ورسالته وصلّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد فيا أيها الأحبة الكرام:

السبب الثالث: الإعلام.. وما أدراك ما الإعلام!؟

إن القائمين على الإعلام لا يرقبون في المؤمنين إلا ولا ذمّة، وأستطيع أن أعلن بكل ثقة واطمئنان أن الناظر إلى الخريطة الإعلامية المقدمة سيخرج بهذه النتيجة الحتمية ألا وهي: أن هذه الخريطة في الجملة تعزف على وتر الجريمة، والعنف والجنس!!

كم عدد الأفلام التي تعرض للفاحشة بأدق التفاصيل!؟

كم عدد الأفلام التي تعرض للعزف على وتر الجريمة!؟

يجلس الطفل المسكين أمام التلفاز أو حتى الشاب فيرى ممثلاً ساقطاً هابطاً لا يجيد إلا أدوار العنف والقذارة والجريمة، وفي فيلم آخر ومسلل جديد يرى نفس المجرم يلبس العباة، وقد ركب لحية وأمسك مسبحة ويتمم بآيات القرآن ويحدث النبي عليه الصلاة والسلام.

فتختل في قلب أبنائنا وبناتنا الفضيلة، وتستوي الفضيلة مع الرذيلة، ويستوي الحلال مع الحرام، والحق مع الباطل!!
وفي وسط هذا الغناء «حديث الروح» ثم فاصل من الرقص الراقص الذي يسمى بفن البالية، وإن شئت فقل فن البلاء!!!
وأصبح الممثلون والممثلات واللاعبون هم القدوة ويقدمون على أنهم الأبطال فيتمنى الطفل أن يصبح مثل هؤلاء!!
غياب القدوة أمر خطير، ونعتقد أن جهاز التلفاز من أخطر الوسائل للدعوة إلى الأفكار.

رابعاً: الفراغ الديني القاتل، وعدم قيام المساجد بدورها التي ينبغي أن تقوم به.

إن هذا الشباب الذي خرج ليعبد الشيطان ما عرف الرحمن وغيره من الشباب يعيش الآن في فراغ ديني قاتل، والدين هو الوقاية والعصمة والحصن.

قال تعالى :

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]

وأنا أود أن أقول للجميع الآن قارنوا مقارنة سريعة بين هذا الشباب الطاهر الطائع الذي بين يدي، وبين هذا الشباب التائه الضائع..

إنه الدين... إنه الدين

شاب يُتَلَّى وَيُفْتَنَ وَمَعَ ذَلِكَ يَقْبِضُ عَلَى دِينِهِ كَأَنَّمَا يَقْبِضُ عَلَى الْجَمْرِ، إِنْ ذَلَّ بِمَعْصِيَةِ يَبْكِي وَيَعْتَصِرُ قَلْبَهُ

والله لقد وقفت على دراسة كاد قلبي أن ينخلع .
 أجريت الدراسة في جامعة القاهرة على عينة عشوائية من الطلاب
 تتكون هذه العينة من سبعمائة طالب وطالبة فكانت النتيجة مروعة
 ستة وثلاثون وأربعة من عشرة في المائة (٤, ٣٦ /) من نتيجة العينة
 شربوا المخدرات وخمسين في المائة (٥٠ /) من نتيجة العينة شَمُوا
 الهيروين .

الشباب يتجهون إلى المخدرات لأنهم يعانون من فراغ ديني قاتل .

والعلاج : هو المسجد

المساجد هي الحصن التربوي الطاهر الذي يحمي أبناءنا بإذن الله من
 الانحراف . . لما أقفلت المساجد في وجوه الشباب، انطلق الشباب
 لبيحثوا عن العلم في الظلام فأتى العلم مظلمًا!!
 ولما حيل بين الشباب وبين العلماء والدعاة، انطلق الشباب لبيحثوا عن
 العلم في بطون الكتب، فجاء العلم في بعض الأحيان منحرفاً من
 خلال الفهم الخاطيء، فمن كان شيخه كتابه غلب خطؤه صوابه .
 فلم تخشوا من المساجد!؟

افتحوا المساجد للعلماء وللدعاة وللشباب ليترى أبناءنا وبناتنا، بل
 وآباؤنا وأمهاتنا في الأحضان التربوية الطاهرة، وقد آن الأوان أن تُرْفَع
 من كل وسائل الإعلام كل صور الامتهان للعلماء والشيخ والدعاة .
 لازلنا إلى الساعة نمر على أبنائنا في المدارس فيقولون: إرهابي!!
 متطرف!! إفراز للإعلام .

قدمت له هذه الصورة ، صورة للحية صورة سنة الحبيب محمد ﷺ

على أنها الإرهاب ، ولم يفرق الإعلام بين الإرهاب وبين الدين
فينبغي أن تُردَّ كرامة التدين وكرامة أهل الدين .

أسأل الله العظيم أن يقر أعيننا وإياكم بنصرة الإسلام وعز الموحدين

... الدعاء

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	كلمة الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى • الجزء الرابع •
٩	الغفلة
٣٢	مقتضيات الحب الصادق
٥٦	الدر المنثور في الذود عن أصحاب الرسول ﷺ
٧٨	الهزيمة النفسية
١٠١	صفحات سود من تاريخ يهود
١٢٤	رسالة إلى أصحاب الأسرة البيضاء
١٤٨	في رحاب سورة • الجزء الخامس •
١٦٧	الشرك بالله
١٨٤	السحر
١٩٨	السحر وعلاجه
٢٢٢	قتل النفس التي حرم الله
٢٤٠	أكل الربا

- ٢٦٧ التولي يوم الزحف
- ٢٨٣ قذف المحصنات الغافلات المؤمنات
- الجزء السادس •
- ٣٠٧ الوقت هو الحياة
- ٣٢٧ الطريق إلى القدس
- ٣٤٧ في ظلال الإسراء والمعراج
- ٣٦٧ الاستنساخ
- ٣٨٥ أمة لا تعرف قدر نبيها
- ٤٠٥ وقفة مع النفس
- ٤٢٧ عبدة الشيطان
- ٤٤٧ الفهرست